



# ملاذی

روایت

یارا شریف رضوان

# إهداء

للقلوب التي تصلح أن تكون سكناً وملاذاً آمناً  
التي تُثبتُ مشاعرا على هيئة وروود، تفيضُ على أصحابها  
بطيب الروائح..

عسى كل قلبٍ يجدُ ملاذَه ذات يوم.

"عند عينيها.. ليس العجب  
ممن هلك كيف هلك! لكن  
العجب ممن نجا! كيف نجا  
؟؟?"

(1)

الإسكندرية

يوليو، 2018

وقفت على الشاطئ تطالع أمواج بحره أزرق اللون، تراقب المياه وهي تتصارع حتى تصل عند قدميها فتختال في خطواتها فجأة لتتكسر أمواجها الهادرة إلي أمواج بسيطة تداعب قدميها العاريتين المنعزتين وسط حبات الرمال الناعمة..

ثوبها الطويل يتطاير خلفها بحرية، طالما ربط ذهنها بين الاثواب الطويلة المنقوشة بالورود والبحر، مثلما يربط تماماً بين البحر والحرية..

أخذت نفساً عميقاً مغمضة عينيها، بدأ جسدها برسم تمايلات طفيفة على وقع أنغام الأغنية التي تخترق أذنيها عبر سماعات هاتفها..

"نطرتك أنا، ندهتك أنا.."

رسمتك على المشاوير

ياهم العمر، يا دمع الزهر

يا مواسم العصافير"

الشاطئ فارغ من حولها، والبحر خالي من السباحين لارتفاع  
أمواجه ذاك اليوم، شعرت بحالة استثنائية من الحرية في مواجهة  
الأمواج العاتية، زاد تمايل جسدها وهي ترسم خطواتها على  
الشاطئ تتقدم حيناً للداخل فتغرق أطراف ثوبها بالمياه، وتراجع  
حيناً آخر فتعلق ذرات الرمال بثوبها المبتل.

"شايف البحر شو كبير.."

كبر البحر بحبك" ..

فتحت عينيها على اتساعهما وتحفز جسدها فجأة بعد انقطاع  
انتشائه مع أغنيته المفضلة على حين غرة؛ رأت من بعيد رجل  
يخلع تيشيرته ثم يتقدم صوب البحر عاقداً النية على العوم.

يا مجنووون!

صاحت من موقعها البعيد كلياً عنه وهي تعلم أنه لن يسمعها،  
التفتت حولها تحاول الاستعانة بأي شخص لإخراج ذاك المتهور  
فلم تجد؛ الشمس شارفت على الغروب وشدت حراس الشاطئ على

عدم نزول المياه لذا فضل الجميع العودة إلى منازلهم حتى إشعار  
آخر!..

رأته يتقدم أكثر، أمواج البحر الهادرة تلتهمه داخلها بسرعة ليسقط  
قلبا بين قدميها!!



القاهرة

سبتمبر، 2018

دخل الي قاعة المحاضرات وعلى وجه تلك النظرة الغامضة، لطالما  
تساءل لم ألقى به القدر الي هذه النقطة تحديدا، لم تسير حياته  
على هذا النهج الممل و الذي لا يرضيه أبداً، نعم هذا هو الدرب  
الذي اختاره... لكنه مؤخراً بات يشعر بثقل خطواته عليه.. سرعان  
ما نفض هذه الأفكار عن رأسه سريعا عندما انتبه لجمع الطلاب  
الذين ينظرون إليه ينتظرون بدء المحاضرة، تنهد برتابة ثم قال :  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حابب أرحب بيكم ف الكلية  
بصفتكو لسه فرقة أولى واسمحو لي أدردش معاكم شوية، احم...  
أعرفكم بنفسى ف البداية ولو انى مبحبش الجزء ده م الاستقبال

ابتسم الدكتور ثم أكمل : أنا اسمي أدهم، عندي 35 سنة وسعيد  
جدا إني بستقبل النهاردة دفعة جديدة لكليتنا، كلية الإعلام، بس  
اسمحولي أتكلم معاكم بصراحة ف البداية، لو مش حابب الكلية  
حول، لو حاسس إنك مجبر عليها عشان مش هاتين عليك مجموعك  
حول، لو شايف نفسك متصلحش في المجال ده حول، لو حاسس  
إنك مش لاقى نفسك هنا حول، المرحلة اللي انتا فيها دي أهم  
مرحلة ف حياتك ومينفعش حد يقرر نيابة عنك خليك أنت دائما  
سيد قرارك ..

قاطعته احد الطلاب رافعا يده بخوف فأذن له د. أدهم بالكلام فنهض  
قائلا : حضرتك بتعقدنا قبل ما نبدأ.

أدهم : علي العكس أنا بحاول أفيدكم من تجارب ناس كتير قبلكم  
دخلو هنا من غير اقتناع لمجرد انهم مستخسرين ال حاجة و90%  
إنهم يروحوا آداب أو غيره من الكليات والآخر بنلاقيهم بعد سنة  
واتنين ف الكلية حولوا وبدأوا من نقطة الصفر من تاني، تقدر  
تسأل طلاب أكبر منك لو مش مصدقني .



أوما له الطالب ثم جلس، بالتأكيد كان لديه المزيد من الكلام يدور في خلدته ولكنه اول مرة يقف امام هذا الجمع وكلهم غريبون عنه لذا أثر الانسحاب ...

د.أدهم : أنا عارف إنكم مستغربني وبتقولوا إيه الدكتور ده بدل ما يحببنا ف الكلية بيطفشنا منها بس الكلية مش هتستفيد حاجة من مجرد أعداد زيادة ف الكشف من غير ما يكونوا مؤهلين لتوصيل رسالتها، عامة أنا عامل محاضرة النهاردة محاضرة افتتاحية هتعرف فيها عليكم وهنتكلم عن محتويات مقررنا التيرم ده وأتمنى كدة إنكم تتسوا ثانوية عامة شوية وتستقبلو حياتكم الجديدة بنظامها الجديد...

قاطع حديثه عند تلك النقطة صوت طرقات متفرقة على الباب ثم دلفت فتاة يافعة ناظرة إليه بابتسامة وقالت :

\_\_ آسفة على التأخير يا دكتور، المواصلات بقى .

نظر اليها أدهم مندهشاً من دخولها فكان قد حذر أمن القاعة من السماح لأي طالب بالدخول بعده، لكنه في النهاية قال :

\_\_ اتفضلي يا آنسة بس دي آخر مرة أنا محدش بيدخل بعدي .

دخلت الفتاة مُحافِظة علي نفس الابتسامة وجلست في أول مقعد  
فُبالته مباشرةً ...

أدهم : يلا نبدء كل واحد يقول اسمه وكان نفسه يدخل كليه اي  
واي اللي منعه ..

رفع احد الطلاب يده فأذن له فقام وقال : اسمي (.....)، وكان  
نفسي ادخل كلية زراعة بس كل أهلي اعترضوا لأنني جايب 97  
% وقالولي خسارة مجموعك ف الآخر وافقت ودخلت إعلام .

علق د. أدهم علي كلامه ثم استمر الطلاب في التعريف عن أنفسهم  
حتى انتهوا جميعاً ما عدا تلك الفتاة التي دخلت متأخرة، نظر لها  
أدهم في نفس الوقت الذي كانت تنظر فيه إليه مما جعلها تخفض  
بصرها سريعاً ..

فقال : معدش إلا انتي يا آنسة، اتفضلي .

فنهضت من مكانها مبتسمة ونظرت له قائلة :

\_ احم، اسمي ملاذ إبراهيم محمد وكان نفسي أدخل كلية فنون  
جميلة وفعلاً دخلتها بس ف الآخر لقتني بحول لإعلام ف السنة

الثالثة ليا هناك، أنا عندي عشرين سنة والسنتين اللي قضتهم هناك مخلونيش أتردد عن قرار التحويل .

د.أدهم : احنا كنا بنتكلم عن الموضوع ده قبل ما تدخل، ممكن تتفضلي هنا تشرحي لزملائك كل حاجة لو معنديش مانع طبعاً .

ترددت ملاذ لوهلة ولكنها في النهاية تقدمت وصعدت لتقف بجواره، كان فارق الطول بينهما جلياً للجميع، أدهم بطوله الرجولي وجسده المنتاسق وملاذ بضالة حجمها بجواره، شعرت لوهلة أنها تخشاه فله طلة تهيمن على الجو، كأنه محاط بهالة تحميه إن اقتربت منها أكثر من اللازم أحرقتها .. ابتسمت وهي تستعيد بعضاً من ذكرياتها، هذه ليست أول مرة تقف أمامه على كل حال!

نظرت إليه لتأخذ منه المايك حتى تتحدث، هي لا تقو على رفع صوتها مثله ليصل لكل الطلاب وليست بحاجة إلي من يسخر من صوتها المنخفض، مدت يدها بابتسامة قائلة : ممكن المايك ؟.

نظر إلي عينيها ثم توقف به الزمن، إنها هي، أيعقل هذا؟! .. بالتأكيد هي نفسها فلا يعتقد أن أحداً سواها يمتلك هذه العيون العسلية الكحيلة إلي حد لا يصدق، مرت عليه الذكري سريعاً لكنه

تدارك الموقف وناولها المايك صامتاً، أخذته ونظرت للبقية ثم قالت  
بمرح :

\_ بصوا بقى من غير مقدمات أنا بحب الرسم جدا من وأنا صغيرة  
عشان كدة دخلت فنون كنوع من إني حابة أتقن الشيء اللي بحبه،  
بس بعد كدة وخلال فترة دراستي ورغم إني كنت سعيدة بيها  
حسيت إنه لاء ده مش مكاني، أنا آه بحب الرسم ومتقناه بس ده  
هوايتي ومش حابة انه يتقلب ف النهاية لشغلي، حسيت ان فيه  
حاجة ناقصة وفيه جزء ملغي مني ف المكان ده، قابلت وقتها ف  
المصيف شخص قالي كلمة أثرت فيا " لو حسيتي ان ده مش  
مكانك اهربي واوعي حتى تلفي تبصي وراكي، لو بصيتي ممكن  
تضعفي وترجعي عن قرارك ساعتها هتعيشي عمرك كله ندمانة "  
. . أنهت جملتها تلك ونظرت الي أدهم باسمه، وجدته ينظر إليها  
مندهشاً، إذا إنها هي، ها هي تؤكد له ذلك بنفسها؛ لقد كان هو  
ذاك الشخص الغامض صاحب تلك النصيحة، تدارك نفسه سريعاً  
وسألها :

\_ وعملتني إيه بقى؟

مفيش، خدت وقتي لغاية ما أخذت القرار ونفذته وأهو جيت هنا، حسيت إن ده مكاني المناسب واللي هقدر الأقي نفسي فيه .

طلب منها العودة إلي مكانها واستأنف المحاضرة يناقش الطلبة في نفس الموضوع ويتلقى أسئلتهم برحابة صدر ثم عرفهم على مقرر مادته وطمئنهم أن ما يهمه هو الفهم وليس الحفظ وأن الجميع سينجح ولكنه يريد منهم جميعاً الاجتهاد وغيره من الوصايا العلمية المهمة .. كان يتحدث بطريقة جادة وحازمة أغلب الوقت، لم يلتفت إليها ولو لمرة، وهي لم تخفض أنظارها عنه ولو للحظة ..

عادت ملاذ إلي منزلها سعيدة، هي لم تصدق عيناها عندما دلفت إلي القاعة ووقعت عيناها عليه، لم يكن تذكره أمراً صعباً فهي قد حفظت ملامحه سابقاً عن ظهر قلب، فهو صاحب الفضل في قرارها " المتسرع" على حد قول والدتها .. لا تدر لم نفذت كلامه بهذه السرعة وكأنها كانت تنتظر من يقول لها " اهربى "، ولا تدر كذلك لم ظلت تتذكره بين الحين والآخر مذ التقت به في المصيف

...



كان يوماً جميلاً ممتلاً بأشعة الشمس الذهبية وأمواج البحر متقلبة المزاج والتي لم تسمح للهواه بالسباحة آنذاك، رآته يتقدم نحو البحر وهو عاقد الهمة علي العوم به، استغربته، نادى على أي أحد كي يوقف جنونه الهادر كالبحر الذي يستعد لالتقافه، لم يسمع نداءها أحد كما لم يتوقف هو، هدأت وتيرة أعصابها قليلاً وهي تراه يجيد السباحة، جلست على صخرة عالية تراقب هذا المتهور والمأساه التي سيتعرض لها بعد قليل، ولكنها اندهشت حين اختفي سريعاً عن أنظارها فقد تقدم في البحر تقدماً يوحي بأنه سباح ماهر ظلت تتلفت بعينيها هنا وهناك باحثة عنه ولكن ما من أثر له ...

خرج أدهم من البحر ينثر حبات المياه عن شعره فوجدها واقفة أمامه، كأنها حورية خرجت لتوها من المياه، كانت ترتدي فستاناً طويلاً تتراقص أطرافه مع هواء البحر الهادر من خلفه، ملامحها هادئة وشائعة لدي معظم فتيات بلاده، لكن نظراتها لم تكن عادية، كانت خليطاً من الخوف والإعجاب والدهشة، عيناها الجميلتان سحرتاه، عسلية محاطة برموش كثيفة سبحان من جعله يصمد أمامها، انتظر منها حديثاً لكنها لم تفعل، وهو لم يصبر؛ فقال :

\_\_ فيه حاجة يا أنسة!؟

\_\_ معلىش أزعجتك أنا بس مصدقتش إنك ..يعني، لسه عايش .

رد بعدم فهم : لسه عايش ؟!

نظرت إليه لتردف بحرج شديد:

\_\_ أنا بلّغت كل فرق الإنقاذ عنك لأنك غوطت جامد ف البحر  
واتاخرت فخوفت تكون غرقت، أنا آسفة جداً لحضرتك .

ضحك أدهم ضحكاً شديداً إثر كلماتها القلائل، كان لديه غمازتان  
تزينان وجهه الرجولي الوسيم، ذقنه خفيفة وشعره مبعر علي  
وجهه، لا تدر لم ضحكت هي الأخرى ولم ظلت تتأمل ملامحه ...



في حجرة مكتبه داخل منزله، جلس أدهم بعد يوم عمله الطويل  
يراجع بعضاً من أبحاثه العالقة، عبرت ملاذ ذكراه ليترك القلم  
فجأة ويرجع رأسه للوراء سارحاً بذكرياته إلي ذلك اليوم الذي  
التقاها به، ابتسم ثم تحولت ابتسامته إلي ضحكات عندما تذكر ما  
فعلته حينها....



أدهم : بلغتي فرق الانقاذ، لا بجد متشكر جدا أنا كدة سمعتي بقت  
ف الارض.

\_ ليه يعني؟! الحق عليا بنقذ روح بريئة من الغرق.

\_ الروح البريئة دي معاها بطولات سباحة وانتي رايحة تبلغي  
علي صاحبها إنه غريق!.

\_ هوا أنا يعني قولتلهم اسمك؟

انتبه ادهم عند تلك النقطة أنهما لم يتعارفا بعد، فنظر لها وقال:  
صحيح متعرفناش، اسمي أدهم .

\_ ملاذ ..

ابتسم ليقول بهمس : ملاذ.... اسم جميل!.

أمضيا بقية ذاك اليوم سوياً يتمشيان على شاطئ البحر وهذا على  
غير عادتتهما، فملاذ لم تسمح يوماً لأحد أن يقول لها حتى صباح  
الخير وها هي الآن تسير مع رجل غريب عنها في أكثر الأماكن  
شاعرية في الأرض، وأدهم ليس من النوع الذي يُحدث الفتيات  
ولا حتى يميل إليهن بسبب تعرضه المباشر لفتيات في الجامعة  
منحلات أخلاقياً على حد وصفه جعلنه يفقد الثقة فيهن ...



تذكر أدهم كيف أخبرته حينها عن عدم راحتها في الكلية التي  
تدرس بها وتشجيعه لها علي تركها ....

\_ بس خايفة أندم بعدين.

\_ القرار اللي القلب بياخده عمر ما يتندم عليه..



دبب بالقلم عدة مرات وابتسامته تتسع رويداً رويداً، قال:  
ياه يا ملاذ، سبتي كليتك وجيتي لغاية عندي، طالبة تحت ايديا،  
وأنا اللي كنت مفكر إني مش هشوفك تاني، أكيد دي مش مجرد  
صدف ..



دخلت منزلها سعيدة، لا صوت بالداخل كالعادة، والدها متوفي  
ووالدتها لم تعد بعد من عملها ولا أخوة لديها، صعدت إلي غرفتها  
وجلست علي الفراش متنهدة.

قالت:

\_ من ساعة ما شوفتك يا أدهم وأنا حاسة نفسي متغيرة، فيا حاجة متغيرة مش قادرة أعرف هيا ايه، بس لما شوفتك النهاردة فرحت أوي، أنا بيتهيالي مفرحتش الفرحة من ساعة ما بابا اتوفى، بس ده مش صح، مينفعش أحس بكدة، انتا راجل غريب عني وكمان بقيت دكتورى ف الجامعة لازم احط حد لمشاعري دي ..

عادت لشرودها من جديد، هي لا تتذكر أنه أخبرها عن حالته الإجتماعية، ولا تتذكر كذلك أنها رأت معه امرأة ترافقه، كذلك لا يوجد خاتم في يده، نفضت تلك الأفكار سريعاً ووبخت نفسها قائلة : وانتى مالك انتى، أنا هقوم أصلي أحسن ..



## (2)

كان يعد نفسه جيداً لمحاضرات اليوم التالي، هو لا يحب أن يباغته أحد الطلبة بسؤال لايعرف له إجابة، بدأ بمحاضرات فرقته الأولى، فرقة ملاذ، تخيل نفسه وهو يقف يشرح أمامها، يصعب عليه كثيراً أن يتلبس الشخصية الرسمية في حضرتها بعد أن سبق وتجرد منها أمامها، ابتسم تلقائياً، كل ما يعرفه عن نفسه أنه شعر بالسعادة عندما التقى بها في المصيف وتكررت سعادته عندما التقاها اليوم، لكنه كان يتعامل معها على أنها ربما صديقة وتحدث معها بمنتهى الطلاقة، كيف الآن يستطيع أن يعاملها على أنها طالبة ويضع بينهما آلاف الحدود، سيحاول ذلك، بالنهاية لا يصح أن يتجاوز معها بالكلام ...

كان لايزال جالساً في غرفة مكتبه، سمع طرقات خفيفة علي الباب ثم دخلت برشاقة فتاة جميلة ترتدي ملابس عصرية بعض الشيء تاركة لشعرها الطويل العنان علي كتفيها، نظر إليها أدهم غاضباً، لطالما كره ملابسها الضيقة مثلما كره مطارداتها له في كل مكان.

قولتك ألف مرة يا رنا متدخليش مكتبي.

تقدمت منه أكثر، دون اكتراث بنظراته المستنفرة، وحاجباه الذين  
انعقدا رفضاً لتقدمها أكثر.

قالت بعد أن توقفت أخيراً:

انتا ليه بتعاملني كدة؟ حتى مش صابر تسمع أنا عاوزة أقولك  
ايه.

ومش عاوز اسمع، رنا انتي بالنسبالي بنت خالتي وبس فياريت  
تقتنعي انتي ومامتك بكدة.

تأففت ثم استدارت لتخرج لكنها نظرت له مبتسمة وقالت: بكره  
قلبك يلين ي دومي.

زفر بضيق فور خروجها، هو لم يتمن يوماً ان يكره زيارة خالته  
لهم ولكنه صار يفعل بسبب أفعال ابنتها معه، رغم أن عمرها 25  
عامًا إلا أنها تتصرف كالنساء الخبيرات في اجتذاب الرجال ولا  
شك لديه من أن كل هذا تأثير والدتها عليها...



في اليوم التالي في الجامعة...

جلست ملاذ على المقعد الأول وأخرجت أدواتها ثم هاتفها النقال وفتحت مسجل الصوت لتسجيل المحاضرة لكن دكتور أدهم لم يأتي بعد، أرادت أن تستغل هذه الفرصة لتتعرف عن حولها وتكون صداقات، نعم هي أكبرهم عمراً ولكنها لن تمضي سنوات الجامعة هكذا وحيدة، استدارت خلفها، فهي كانت الوحيدة التي تجلس في المقعد الأول، رأت فتاه منهمكة في كراستها لا يظهر من وجهها شيء..

\_ احم، بتعملي اي يا جميل؟

نظرت إليها الفتاه مبتسمة، كانت بلامح هادئة ووجه أبيض يزينه بعض النمش الخفيف وعينان سوداوتان جذابتان.

قالت : اممم، بكتب شعر.

تهللت أسارير. ملاذ لتقول بلهفة:

\_ بجد، ممكن أقرأ؟!!

اومات لها الفتاه خجلة فانتقلت ملاذ وجلست بجوارها ناظرة لها سعيدة، وقالت: اسمي ملاذ وانتى؟!!

الفتاه : قمر

قمر وانتى قمر فعلاً..

ظلت ملاذ تتحدث معها وتطلع على شعرها وتريها بعضاً من رسوماتها في دفترها الذي تحمله دائماً أينما ذهبت، شعرت أنها وجدت جزءاً من روحها يختبئ داخل هذه الفتاة، أنها تصلح لأن تكون رفيقة لها ولقلبها الذي قلما يجد من يستكين إليه...

دخل أدهم فعم الهدوء المكان فجأة فيما عدا ضحكة ملاذ الرقيقة الصادرة عن طرفة ألقها قمر ولكنها انتبهت للهدوء المفاجئ فالتفتت لتلتقي أعينهما من جديد، نظر أدهم لها مخبئاً ابتسامته على صوت ضحكتها العذب، كل ما لديها عذب، يالهي ها هو يشرد متأملاً إياها من جديد، نبه نفسه سريعاً وبدء في شرح المحاضرة، أخفضت هي بصرها مبتسمة ثم فعلت مسجل الصوت وانتبهت إليه، لم تدر أنها كانت شاردة طيلة الشرح، تلتهم كلامه التهاماً، كأنها لم تسمع صوت بشر مذ خرجت إلى الدنيا، وكان هو يتنقل بعينيه أثناء الشرح بين جميع طلابه، وحدها كانت تتلقى النصيب

الأقل من نظراته، فبمجرد أن تلمح عيناه طيفها تنتقل سريعاً وبحركة لا إرادية منه إلى الجانب الآخر، كأنه يهرب بقلبه منه ومن تأثيرها الغريب جداً عليه.

أنهي شرحه قائلاً :

\_ إن شاء الله المحاضرة الجاية هوزع عليكم الأبحاث، أنا عارف اننا لسة بنسمي بس عشان تلحقوا تخلصوا وأهو تفضوا وقت للمذاكرة.

قال ذلك ضاحكاً ثم استدار خارجاً من القاعة..

أوقفت المسجل ناظرة إلي قمر، وقالت : شكلي هسجل كل محاضراته المادة شكلها ثقيلة.

\_ ما انتي خبرة بقى وبتشمي المادة الثقيلة وهيا طيارة

\_ لا يا خفة أصلاً المادة الثقيلة هتطير ازاي، دي بتفضل تزحف فوق دماغنا لما تجيب أجلنا..

ضحكت الفتاتان وأكمتا يومهما الدراسي بين المحاضرات في مختلف قاعاتهم وفي النهاية جلست ملاذ زافرة وقالت: ياربي يعني نفضل طالعين نازلين كدهو طول اليوم.

\_\_ معلى أهو عشان تخسى شوية

\_\_ فشر ده أنا سمباتيكاية

كان أدهم حينها يغلق مكتبه واستمع إلى حديثهم حيث كانتا قريبتان منه بعض الشيء ولكن دون أن يرياه، لفت سمعه صوت شاب يتدخل في المحادثة، فسار حتى رأى بوضوح ذاك الفتى في الفرقة الرابعة، يعرفه من صيته الذائع في اتحاد الطلاب، سمعه يقول لملاذ بجرأة :

\_\_ محدش قالي إن كليتنا بقى فيها قمرات كدة، تشرفنا يا آنسة.

لكنها نظرت له غاضبة و ردت :

\_\_ لا متشرفناش ومن فضلك امشي من هنا .

ردتا فعل مختلفتان على كلامها؛ فالفتى أكلته الصدنة وأدهم كتم صوت ضحكاته ولكن نغمة صوته وصلت إلي أذنها فبحثت عنه بعينيهما وسرعان ما التقت بعينيه الخلابتين، كان ينظر لها مبتسماً ثم استدار وغادر...

استمر الفتى في كلامه لكنها نهضت وجذبت قمر من يدها وغادرتا المكان، سارت خلف طيفه، عطره لايزال يحوم في كل مكان خطت



به أقدامه، كيف ومتى حدث كل هذا، أبهذه السرعة تحفظ إيقاع  
صوته ورائحة عطره، توقفت فجأة وقمر تسير خلفها كالبلهاء،  
حدثت نفسها :

\_ ماشية وراه ليه انتي عبيطة، أكيد مروح دلوقتي، مش قولتي  
إنك هتبطلي تفكير فيه، ده انتي م الصبح وإنتي ماشية تتبصصي  
عليه ف كل مكان، كفاية كدة أوي يا ملاذ

قاطعت قمر تفكيرها قائلة : ملاذ انتي رايحة على فين .

انتبهت لها وقالت :

\_ ها لا ولا حاجة مش احنا خلصنا يللا نروح بقى

\_ اشطة ده معاد الباص بتاعي أصلا ..

خرجتا من الجامعة وملاذ تخبرها أنها معزومة على الغداء عندها  
في الغد، وأمام إصرارها الرهيب وافقت قمر مترددة ..

ركبت تاكسي لمنزلها وأعطته عنوان منزلها القريب؛ فهي تسكن  
في نفس الحي الذي به الجامعة، ابتسمت عندما تذكرت كذبتها  
على أدهم البارحة وقتما أخبرته أن سبب تأخرها عن محاضراته  
هو المواصلات فقالت في سرها :

\_ آه لو يعرف بيتي فين هينفخني .

دخلت المنزل لتجد والدتها جالسة امام التلفاز، ألقت عليها السلام ولكنها لاحظت أنها منهكة فقالت قلقة : ماما انتي كويسة؟!!

\_ متخفيش يا حبيبتى حبة تعب صغيرين وهيروحو لحالهم .

\_ يا ماما متهمليش في صحتك أرجوكي، إنتي بقالك مدة مطنشة تعبك ده فلو سمحتِ قومي يلا البسي عشان ننزل نكشف.

\_ يا حبيبتى والله هكون كويسة وبعدين مش لما تتغدي الأول

\_ متخفيش اتغديت ف الجامعة يلا بس ...

وأمام إصرار ابنتها الرهيب رضخت لها أخيراً، ذهبت بها إلي أقرب مشفى اختصاراً للوقت ، وكانت تابعة لإدارة الجامعة ...



(3)

وقفت خارج غرفة الكشف متوترة، تدعو الله من كل قلبها ان يحفظ لها أمها، هي تشعر أنها على غير مايرام منذ زمن ولكنها كانت تكذب أحاسيسها، أمها هي المتبقية لها في هذه الدنيا ومن بعدها ستضيع..

"يا أمي قولتلك إنني هعدي عليكى اتاخرتى ليه بس... طيب ماشى هستناكى ف العربية بقى وامرى لله... يا ستي لاء بس مبحبش الجو العام هنا طيب يلا سلام"...

أنهى مكالمته مع أمه التي تعمل رئيسة تمريض في ذاك المشفى واستدار ليغادر لكنه لمح طيفها، عاود النظر فرآها تقف مضطربة وتجيء وتذهب في الممر، ألم يتركها في الجامعة منذ قليل ماذا جاء بها إلى هنا، انتابته فكرة سريعة أن أصابها مكروه فاخذته خطواته السريعة المتلهفة إليها دونما تفكير..

"ملاذ!"...

استدارت مسرعة على صوته الذي انتشلها في الوقت المناسب من أفكارها السوداوية، هي مريضة بالتفكير، ولو ناداها ألف شخص ما كانت لتنتبه ولكنه ليس بأي شخص..

\_أد.. احم دكتور أدهم!

تداركت نفسها سريعاً، كانت على وشك مناداته باسمه دون ألقاب كما كانت تفعل على الشاطئ في ذلك اليوم، الآن أدركت أن هذه أول مرة يجمعهما حوار منفرد مذ تفاجأت به في قاعة المحاضرات..

\_بتعملي ايه هنا؟!..

\_ماما جوة بتكشف بس اتاخروا وأنا قلقانة عليها أوي .

وبدون أن تشعر نزلت دمعة حزينة من عيناها، أشفق أدهم عليها ورق قلبه فقال :

\_متقلقيش إن شاء الله خير متفترضيش حاجة وحشة بس..

كأنها كانت تنتظر من يحدثها لتبث له ما يدور في خلدتها، تحدثت وكأنها تتحدث إلي نفسها قائلة :

\_ أنا أمي آخر حاجة فضلاي ف الدنيا، والدي اتوفى وأعمامي كأنهم مش موجودين، أمي رغم سنها إلا إنها بتشتغل عشان ما نحتجش لحد وعشان أكمل تعليمي، لما كنت ف فنون حسيت إني عبء كبير اوى عليها بطلباتي الكثير وهيا مش سمحالي اشتغل، كرهت الكلية ومبقاش عندي أي استعداد أكمل فيها فحولت... صممت عندما شعرت بالدموع تتراكم في عينيها واختنق صوتها... تمزق قلب أدهم إثر كلماتها، يا الله يا ملاذ كم تحملين من حزن داخلك، دعى الله من كل قلبه أن ينجى لها امها..

\_ مامتك ست بميت راجل ي ملاذ وإن شاء الله تكون بخير..

لم يعرف شيئا آخر أكثر رسمية من هذا ليقوله رغم أنه أراد قول الكثير...

فتح باب الغرفة أخيراً لتخرج منه امرأة اندهشت عندما رأت أدهم فقالت : أدهم مش قولت هتستنائي تحت..

لفت نظرها الفتاه التي تقف بجواره فقالت : احم إنتي بنت المريضة اللي جوه؟!!

\_ آه، هيا كويسة أقدر أدخل..

\_ بصي هيا إن شاء الله كويسة بس فيه شوية تشخيصات الدكتور  
عاوز يعملها ف هتتجز هنا لبكرة..

وقع كلامها كالصاعقة على مسامعها، الاحتجاز يكون لشيء مهم،  
التشخيصات تكون لشكوك خطيرة، ارتجف قلبها واسرعت  
بالدخول للطبيب الذي كان لايزال يتحدث إلى أمها بالداخل..

نظر أدهم الي أمه وعيناه تتساءلان فهزت رأسها في أسف، هي  
اختارت أهون الكلام عندما رأت أدهم برفقتها، لاتحب أن تجرح  
أي شخص يقترب من ابنها..

\_ يعني اي؟

\_ مشاكل ف القلب...

في الداخل كانت ملاذ تستمع لكلام الطبيب غير مستوعبة، قلب،  
أي قلب، قلب أمها؟! بالتأكيد هو مخطئ، لا يوجد قلب في العالم  
كقلبها، لديه من القوة والحب والعطاء ما يكفيه ويكفي كل قلب  
ينبض على ظهر الأرض، كيف يصيبه التعب، هل أذاه العالم، هل  
تمكن منه مثلما تمكن من آلاف القلوب قبلا؟

نظرت إلي أمها وتمتمت في حزن : ماما ...

بادلتها أمها النظرات الحزينة، هي كانت تشعر دوماً أن بها شيء  
ولكنها كانت تخش المستشفيات، لم تعي أن الأمر بهذه الخطورة،  
لكنها لا تخاف الموت بقدر ما تخاف على ابنتها من متاعب الحياة،  
تمتت قائلة :

\_ متخفيش يا ملاذ ماما كويسة، يللا انتي روعي وعدي خوديني  
بكرة ان شاء الله ..

\_ لا أنا هفضل معاكِ.

\_ مينفعش يا آنسة وجود أي مرافق، اتفضلي انتي دلوقتي لأنها  
هتتنقل أوضة تانية ..

مرغمة سلمت ملاذ على والدتها واحتضنتها لوقت طويل وهي  
تدعو الله في سرها أن ينجيها ..

خرجت لتجد أدهم ووالدته ينظران إليها، شعرت بنظراته تكتنفها  
وتبثها الأمان، وتبوح بما يعجز اللسان عن البوح به.

أم أدهم: متقلقيش يا حبيبتي هتكون كويسة إن شاء الله .

اومات لها ونظرت إلي أدهم، لاحظت الأم منذ البداية النظرات المتبادلة بينهما، هي لم تعد ذلك من ابنها على أية حال ولكن الظرف لا يسمح حالياً بأي تعقيب ..

\_ خلاص يا ملاذ امشي انتي لأن الوقت أتأخر..

\_ متقلقش يا دكتر كدة كدة البيت فاضي محدش هيقلق عليا ..

\_ يا خبر يعني هتباتي لوحدك !؟

\_ عادي يا طنط متخفيش، عن اذنكم ومتشكرة جدا لوقوفكم معايا النهاردة ..

همت بالانصراف لكن نادتها والدة أدهم قائلة : استني نوصلك معانا، صح يا أدهم ..

حمم أدهم وقال : طبعاً، اتفضلي يا ملاذ ..

انصاعت لرغبتها واستقلت السيارة، ركبت بالخلف فسألها أدهم عن العنوان، تذكرت كذبتها من جديد، لا مفر من الصدق على ما يبدو، أعطته العنوان خجلة وهو لاحظ ولكنه لم يعقب فظنت هي أنه قد نسي الأمر برمته ..



وعند المنزل، همت بالنزول فنظر لها في المرآة التي تعكس وجهها  
له وابتسم قائلاً :

\_ ياريت المواصلات تكون سهلة بكرة.

نظرت للمرأة مصدومة فرأت ابتسامته العذبة ليتلون وجهها  
بالخجل ولكنها ضحكت في النهاية وقالت مازحة :

\_ قول يارب انتا بس.

ترجلت من السيارة وسلمت علي والدته وألقت عليه نظرة خاطفة  
ثم دخلت المنزل ..

أم أدهم : بنوتة جميلة ورقيقة مش كدة.

\_ اها

\_ هي طالبة عندك!؟

\_ اها

\_ اممم أول مرة يعني..

نظر لها بعدما فهم ما ترمي إليه : ماما مش وقته الله يرضيكي

\_هوا أنا قولت حاجة أنا بس أول مرة أشوفك مهتم بحد كدة فاستغربت.

استعادت ذاكرته إثر كلماتها مواقف البسيطة معه على الشاطئ،  
مر اليوم كله على عقله كطيفٍ خفيف يزغزغ مشاعره، ابتسم  
بشروود وقال دون أن يشعر: بس ملاذ مش أي حد ..

صمت عندما أدرك تسرعه وابتسمت الأم، يبدو أن قلب ابنها قد  
فتح أبوابه على مصراعيه لهذا الملاذ، عله يكون ملاذاً آمناً  
وسلاماً ..

أحكمت إغلاق كل نافذة وكل باب، هي تخشى الوحدة حقاً، الآن  
هي وحيدة مع عقلها المريض بالتفكير، ياإلهي كم ستكون لييلة  
طويلة !.

أخرجت هاتفها واتصلت بقمر لتبثها أحزانها، تريد أن تتحدث مع  
أحد بحرية، منعها الخجل من الاسترسال في الكلام مع أدهم ولكنها  
حقاً ترغب بالكلام والتنفيس عما يدور في صدرها ...

\_ ياخبر يا ملاذ طب هيا عاملة اي دلوقتي؟!

\_ احتجزوها يا قمر، أنا خايفة أوي ..

\_ متخافيش يا حبيبتي ادعيها كثير وبإذن الله ربنا ينجيها..

\_ أنا ماليش حد غيرها، والله ما ليا غيرها ..انهمرت دموعها  
فصمتت قمر مفسحة لها المجال لكي تخرج كل شحنة الحزن التي  
أصابتها ...



جلس أدهم على فراشه مرتدياً ملابس النوم، ولكن النوم قد جافاه،  
ظل يفكر في ملاذ وماذا عساها تفعل الآن وهي وحيدة في المنزل،  
يشعر بالقلق من وحدتها تلك ويعلم جيداً أنها تدعي القوة ولكنها  
أضعف ما يكون ..

\_ طب والعمل دلوقتي ...

آتته فكرة مجنونة وكالعادة لم يفكر بل شرع بالتنفيذ، يبدو أن عقله  
يتوقف عن العمل عندما يتعلق الأمر بملاذه ..

وعند منزلها، ركن سيارته وأخفض الزجاج ونظر للنافذة الوحيدة  
المضاءة، فهم أن هذه هي غرفتها وأنها لاتزال مستيقظة، بعد مدة  
انطفأ الضوء فتنهد بارتياح وأراح رأسه للخلف وغط في النوم  
دون شعور ...



خرجت ملاذ من المنزل ويبدو على وجهها أنها لم تتم جيداً، تفاجأت بسيارة أدهم تعترض مدخل البيت، اقتربت منها لتجده نائماً بالداخل .. اعترتها الدهشة مما يحدث فما الذي جاء به إلي هنا وما الذي دفعه للنوم هكذا؟ أيعقل أنه كان هنا طيلة الليل؟! أعادت النظر إليه واستطاعت رؤية ملامحه الرجولية الجذابة، هذه الملامح الوسيمة تدعوها لحفظها داخل طيات قلبها والذي صار ينبض بنبضة غريبة في حضرتها، ابتسمت عندما جاءت في عقلها فكرة أنه خاف عليها فجاء ليطمئن، نبهت نفسها ودقت علي زجاج النافذة نصف المفتوح ليستيقظ هو على الفور، تلاقت أعينهما من جديد ليشعر كلاهما بخفقة قوية في قلبه، تلون وجهها بالحمرة فتخففت بصرها سريعاً ..

ترجل هو من السيارة وقال لها : عاملة ايه دلوقتي؟! .!

\_ال.. الحمد لله، هو حضرتك .. هنا من امته؟

توتر أدهم من سؤالها، كان ينوي الرحيل باكراً قبل استيقاظها ولكن النوم قد غلبه لتوقظه هي في النهاية، لكنه نظر إلي عينيها مبتسماً وقال : من بالليل .

ازداد خجلها، نظرته وابتسامته وكلامه كل شيء يؤكد فكرتها،  
أكان خائفاً عليها حقاً؟؟

قاطع أدهم أفكارها قائلاً بشجاعة أكبر : بصراحة قلقت عليكي إنك  
تفضلي لوحدك فجيت بس النوم غلبنى ف الآخر زي ما شوفتي  
كدة .

ضحكت وشعرت بسعادة غامرة ورقص قلبها فرحاً، نظرت له  
وقالت مبتسمة : شكراً لحضرتك يا دكتور أنا فعلاً كنت خائفة أوي  
.

\_ العفو يا ملاذ انتي رايحة الجامعة ؟

\_ لاء، هروح لماما .

\_ بس الزيارة بتبتي من الساعة اتنين، احضري محاضراتك  
الأول بعدين روحيلها، هي أكيد مش هتكون سعيدة وانتي بتهملي  
ف دراستك علشانها ..

اقتنعت ملاذ بكلامه وبدا ذلك على وجهها ففتح أدهم باب سيارته  
ناظراً لها وقال : اتفضلي

\_ لالا يا دكتور أنا هتمشاها أو هاخذ تاكسي .

\_ ليه يعني منا رايح نفس المكان؟ ولو خايفة من القيل والقال  
هنزلك قبل الجامعة يا ستي ها ..

انصاعت لرغبته، ورغبة قلبها، ركبت بجواره خجلة .. كانت  
السيارة مفعمة بعطره الذي باتت تعشقه، مهلاً، نبهت نفسها من  
جديد .. ملاذ هذا كله خطأ، إنه الآن ليس ذاك الرجل الجذاب الذي  
التقيت به على شاطئ البحر وقضيتي معه يوماً شاعرياً، بل هو  
مُحاضرِك في الجامعة والذي يجب أن تُحافظي على المسافات  
الفاصلة بينك وبينه مهما حدث .. كان هو قد ركب وأدار محرك  
السيارة وقطع فكرها كالعادة قائلاً بمرح : يلا يا ستي حارس  
بالليل وسواق الصبح ودكتور بعد الساعة تسعة اي رأيك؟ .

ضحكت علي كلماته ولاحظت أنه لا يضع بينهما اي حدود، هو  
يتعامل معها كيوم الشاطيء، أهذه طبيعته مع الكل أم ماذا ؟

\_ أنا آسفة، أنا فعلاً تعبتك معايا ..

شعر بالانزعاج، لم تستمر في محادثته بهذه الرسمية؟ ولم لا  
يستطيع هو أن يحافظ علي رسميته أمامها، إنه يرغب في نزع  
هذا الحاجز الذي بينهما، حاجز الطالب ومعلمه .. تمنى للحظة لو

أنها لم تكن طالبة لديه، بالتأكيد كان اختلف كل شيء ولكن يبقى  
الوضع حالياً على ما هو عليه ..

\_ احنا من ساعة ما اتقابلنا وانتي مبتقوليش غير آسفة وشكراً  
وانا بزهدق بسرعة .

\_ خلاص متشكرين وآسفين، حلو كدة؟ .

\_ اي حاجة منك حلوة .

انتابتها حمرة الخجل من جديد وكانا قد اقتربا من مدخل الجامعة  
فاستغلت هي ذلك وقالت : ممكن انزل هنا من فضلك؟

لكنه استمر في القيادة عندما رآها تقف هناك منتظرة حضوره، رنا  
ابنة خالته، إذا توقف فستركب هي بدلاً من ملاذ بل وسترافقه  
للدخل أيضاً وكم كره هذه الفكرة ! ولكنه علي النقيض تماماً شعر  
بالراحة عندما فكر أن ملاذ هي من سترافقه، بمقدار كرهه لمرافقة  
رنا له أحب مرافقة ملاذ، مهلا يا أدهم أتحبها ؟

توقف عند تلك النقطة ونظر لملاذ التي كانت تنظر لأسفل خشية  
أن يراها أحد في سيارته، كيف يورطها في أمر كهذا، مهما كانت  
مشاعره تجاهها يجب أن يحافظ عليها أمام نفسه وأمام الناس ..

\_ أنا آسف يا ملاذ بس مكنش ينفع أقف هناك، تقدري تقولي إني قريبك لو حد اتعرضلك بالكلام ولو إني اشك، انت أخلاقك لا غبار عليها .

ابتسمت له وقالت :

\_ ما فيش داعي للأسف، عن اذنك بقى لأن عندي دكتور رخم أول محاضرة بينفخ اللي بيتاخر لاء وايه ماسكنا ف مادتين .

ضحك أدهم علي كلامها وقال :

\_ طب يلا بدل ما الرخم ده ياخذلك غياب السنة كلها دلوقتي .

نزلت ضاحكة وهي تقول :

\_ لا وعلي ايه الطيب أحسن يا عم

كانت رنا تقف تراقب ما يحدث فصقت أسنانها بغیظ وهي تقول :  
وعامل عليا مؤدب يا أدهم، ماشي أنا هوريك هعمل فيك ايه .(رنا  
طالبة دراسات عليا في كلية الحقوق لذلك تدخل الجامعة بسهولة)



(4)

شرح أدهم المحاضرة ووزع الأبحاث كما قال لهم بالمرّة السابقة  
وقال في الختام :

\_ بصوا أنا عندي محاضرة ثانية دلوقتي اللي عنده أي استفسار  
يجيلي المكتب آخر اليوم، السلام عليكم .

التفتت قمر لملاذ الجالسة بجوارها وقالت :

\_ ها بقى المحاضرة خلصت اهي قوليلي اتقابلتي فيه ازاي وجيتي  
معاه ازاي؟!!

اضطرت ملاذ للكذب قائلة :

\_ دكتور أدهم قريبي من ناحية أمي وكان بيظمن عليا وكدة لأنني  
بايتة لوحدي زي ما قولتلك وبعدين هوا زي أخويا  
\_ اممم أخويا، طيب يا ستي هزحلقها .

في نهاية اليوم جلس أدهم على مكتبه في الجامعة يراجع بعض الأمور المهمة على حاسوبه ليقترح ذاك العطر الأنثوي الذي يبغضه خلوته، فتأفف ونظر لها قائلاً :

\_ انتي فعلاً إنسانة بجحة ومعدكيش دم .

خطت رنا بغرور نحو الداخل دون اكتراث لتجلس على أريكته المقابلة لمكتبه، رفعت إحدى قدميها على الأخرى وهي تقول: بطل تسمعي كلام م النوع ده لأنه مش هيجيب نتيجة معايا، أنا بس جيت أحذرك، انتا ليا يا أدهم بمزاجك أو غصب عنك ولو فكرت ف غيري هحرقها وأرجع أحرقك .

نهض عن مكتبه غاضباً وصرخ في وجهها قائلاً :

\_ اطلعي برا يا حيوانة وحسابي مع أمك مش معاكي .

دخلت ملاذ المكتب عند تلك النقطة وتفاجأت بهذه الفتاه المتبرجة ولاحظت الجو المشحون الذي تمتلئ به الغرفة ..

\_ انا آسفة بس كنت عاوزة استفسر عن حاجة يا دكتور .

تدخلت رنا قائلة :

\_ ست الحسن والجمال وصلت أهي، ياريت يا شاطرة متقربيش  
من حاجة مش بتاعتك بدل ما تتلوعي .

استغربت ملاذ لتقول: افندم؟!!

قاطع أدهم رد رنا إذ قال بغضب: اطلعي برا يا رنا .

\_ طالعة يا أدهم، أنا بس بنبهها إنه ميصحش تركب عربية راجل  
غريب عنها خاصة إذا كان خاطب .

وقعت تلك الكلمة كالصاعقة على ملاذ ولاحظ أدهم ارتباك  
ملامحها، كاد أن يتدخل ولكن ملاذ قاطعته عندما قالت :

\_ أنا آسفة يا آنسة والله دكتور أدهم زي أخويا الكبير لا أكثر ولا  
أقل ووجودي هنا دلوقتي لسؤال علمي مش لحاجة شخصية ولو  
حضرته مش فاضي هجيله ف وقت تاني، عن اذنكو ..

استدارت مغادرة المكتب حزينة شاعرة أن قلبها تحطم إلي آلاف  
الأجزاء ..

خاطب؟! إذا لم يتجاوز الحدود معها في الحديث هكذا أم تراه ينوي  
التلاعب بها وبمشاعرها؟! قالت لنفسها مواسية : كويس إنك  
عرفتي دلوقتي قبل ما الأمور تطور ..



وفي غرفة المكتب قال أدهم غاضباً : خاطب مين إن شاء الله يا رنا؟! دا انتي لو آخر واحدة في الدنيا .

\_ليه يا أدهم؟ ليه مش أنا؟

\_لأنك مش علي مزاجي، مش من النوع اللي بحبه بصراحة ومهما حاولتي هتفشلي ف النهاية

\_هنشوف يا أدهم بس أوعدك إنك مش هتلق تخطبني حتى ده انتا هتجوزني علي طول كمان ..

أقلت كلماتها الأخيرة وغادرت المكتب، جلس أدهم غاضباً وقال :  
كدة الحكاية زادت أوي ولازم أحطها حد .

تذكر ملاذ وكيف غادرت حزينة، أتراها تبادله المشاعر، أتغار؟  
إن كانت كذلك فسيضع حداً نهائياً لرنا وسيكون بالزواج كما قررت  
هي قبلا ...

ذهبت ملاذ لزيارة والدتها متناسية ما حدث بينها وبين أدهم  
وخطيبته كما اعتقدت هي، سألت عن الغرفة ودخلت لتتفاجئ به

يجلس بجوار والدتها ويتضحان سوياً، أسرع إليهما وتعمدت تجاهله، فقالت : ماما عاملة اي النهاردة يا حبيبتي .

ابتسم فها هي قطه بدأت بتعلم الخريشة، نظرت الأم إلى أدهم وقالت :

\_ مش تسلمي علي أدهم طيب ده حتى ابن حلال وجه يطمن عليا قبلك .

\_ احم، طبعاً يا ماما دكتور أدهم دكتور محترم بس حقيقي انا مستغربة لحق يسيب خطيبته ويجي هنا امته؟! كتم ضحكته وقال :

\_ معلىش يا ملاذ أصل رنا بتغير عليا أوي، إنتي عارفة بقى تفكير البنات مش محتاج اشرح لك.

كظمت غيظها لترد :

\_ آه يا دكتور بس معلىش على صراحتي يعني مش كل الناس يستحقوا الغيرة دي .

\_ اممم معاكي حق، عامة أنا كنت جاي اطمن على والدتك واستئذنها إنك هتيجي تباتي عندنا النهاردة .

فتحت فمها على آخره وقالت : نعم يا أخويا!!

قالت أمها مسرعة: ملاذ، عيب !

\_ العيب اللي بجد إنك توافقي ع الكلام ده..

نظر لها أدهم بمكر ليقول :

\_ معلش يا ملاذ بس أنا مقدرتش أخبي عنها اللي شوفته امبارح

قالت مستغربة: امبارح، حصل ايه امبارح!؟

\_ ما انتي كنتي نايمة بقى واضطريت أني اتصرف، للأسف جه

حرامي وحاول يقتحم البيت لولا العبد لله .

\_ متصدقيهوش يا ماما العبد لله ده كان نايم زي الفسيخة ف

عربيته .

\_ يا بت لمي لسانك ده، مش كتر خيره إنه نام ف الشارع علشانك

وكان قلقان عليكي، عامة أنا موافقة إنك تروحي معاه لغاية ما

اطلع من هنا .

\_ أنا آسفة يا ماما مش هقدر أقعد في بيت واحد مع راجل غريب

أدهم بحزم : مهو مش هيكون غريب .

\_ ازاي يعني؟! ولا تكون أخويا ف الرضاعة وأنا مش عارفة؟

ضحك ثم قال : مالك قارشة ملحتي ليه كدة يا ملاذ؟ يا ستي لاء  
مش أخوكي ف الرضاعة حاجة أحسن من كدة.

\_ ماهو انتا أصغر من إنك تكون أبويا الحقيقي.

\_ يا بنتي ارحميني

\_ أخويا واتسرقت مننا وانتا صغير وأخيراً أمي لقتك؟؟

\_ بتتفرجي علي هندي كثير مش كدة!؟

أوشكت ملاذ علي الكلام ولكنها أجمها قائلاً : تتجوزيني ؟

شعرت بصوت الكون يسكت من حولها، اتسعت نظراتها المندهشة  
وتزايدت دقات قلبها حتى كذبت نفسها وأن لم ينطق بما سمعته  
لتوه..

قالت باضطراب : انتا هتهزر يا دكتر، أول مرة أشوف واحد خاطب  
واحدة ورايح يتقدم لواحدة تانية ..

قال بجديّة : مش خطيبتي يا ملاذ، هي بنت خالتي وبتتظلي ف كل مكان بس أنا مش بحبها ويستحيل اتجوزها، هيا قالت كدة قدامك عشان عاوزة تبعدك عني .

صمت لينظر إلي وجهها يرى وقع كلماته عليه وأكمل : عشان عارفة إنه مش أدهم اللي يسبب أي بنت تقرب منه أوي كدة ...  
كم أربكتها كلماته فعلى قدر بساطتها ووضوحها علي قدر ما كانت تحمل من رسائل لامست قلبها بعمق ..

نظرت ملاذ لأمها التي بادلتها النظرات بابتسامة، عاودت النظر إليه لتجده ينظر لها نظرة أذابت قلبها فأخفضت بصرها سريعاً.  
ابتسم على خجلها الذي عشقه فيها ليسأل :

\_\_ ها يا ست ملاذ موافقة ولا لاء مع إني لقطه والله وزي العسل .  
كتمت ضحكاتهما، هو محق بكلامه على أية حال، ولكنها لم تقو على الرد، هي منجذبة له منذ أول لقاء لهما، كلما منعت نفسها عن التفكير به وجدته أمامها في كل مكان، انشغل قلبها وعقلها به رغماً عنها رغم أن الحديث بينهما قليل ولكنه القلب، ليس بحاجة



ملاذي

إلي وقت أو حديث، تكفيه نظرة قادرة على تغيير مسار حياته برمته .

قال ناظراً لأمها : يظهر اني هاخذ سرير جمبك هنا يا أمي لغاية ماترد

لتقول ملاذ مسرعة : بعد الشر عنك .

ابتسم سعيداً وقال : على خيرة الله

اخفضت بصرها قائلة : أنا لسة مردتش..

\_ يا صبر أيوب..

ضحكت أم ملاذ لتقول : ربنا يكون في عونك يا ابني والله، بصي يا ملاذ أنا هفضل هنا لغاية ما أعمل العملية.

نست ملاذ كل فرحتها السابقة ليحل محلها خوفٌ كبير، قالت مضطربة: عملية؟! عملية إيه؟!!

\_ آه يا بنتي ده قضاء ربنا، وأنا أخاف عليكي تقدي لوحدك فعشان خاطري روعي عند أدهم ومامته ..

\_ ماما بجد مينف عش إني أسكن معاهم وأكيد مش هتجوزه وإنتي  
مش معايا

تدخل هو قائلاً:

\_ الله أكبر، يعني موافقة أهو، ملاذ أنا وأمي ساكنين لوحدنا  
ووالدي متوفي وبيتنا دورين الدور الثاني المفروض إنه عش  
الزوجية بتاعي فهضطر آسفا إني أسكنك فيه بس من غير الزوج  
لغاية ما والدتك تقوم بالسلامة ونتجوز , ومتخفيش هغير المفاتيح  
وأديكي كل النسخ عشان تظمني إني مش هتعرضك ..

قالت مقاطعة : مش قصدي والله يا دكتور

\_ آه نيحي للنقطة المهمة، اسمي أدهم مش دكتور وحضرتك

\_ بس يا ..

\_ يا ايه ..

ملاذ خجلة : يا أدهم ..

لم يدرك أن سماع اسمه منها قادر على إذابة قلبه إلى هذا الحد،  
فنظر إلي والدتها وقال :

\_\_ ما احنا ممكن نتجوز دلوقتي وانتي هتقومي بالسلامة إن شاء الله ونبقى نعملك فرح تاني وخير البر عاجله ..

انفجرت أم ملاذ بالضحك وشعرت هي بالخجل الشديد منه ومن جرأته، جاء الطبيب ليقول بعملية : مش كفاية ضحك بقى، كدة غلط على قلبها .

طالعه أدهم ورد بحزم : تمام متخفش، اتفضل انتا ..

ملاذ : ممكن اظمن من حضرتك على حالتها؟!!

ابتسم الطبيب لها وقال : طبعا يا آنسة انتي بنتها مش كدة ؟

ملاذ : اه , ممكن نتكلم على افراد ..

خرجت ملاذ مع الطبيب الشاب تحادثه وأدهم يكاد ينفجر من الغضب، لايدري لم تريد الانفراد به؟ يفترض أنه لم يعد غريبا عنها، يفترض ألا تحادث أي شخص ينظر لها نظرة إعجاب، لقد رأي الإعجاب في عيني ذاك الأحمق وهي كالبهاء لم تستطع قراءة عينيه، و كيف ذلك وهي لا تستطيع النظر في عيني من يحدثها ..لم يتمالك نفسه فنهض وخرج خلفهما ..

سمعتها تقول : يعني يا دكتور لو حبيت أعملها العملية دي ف  
مستشفى خاصة هتتكلف كام؟!!

تدخل أدهم ناظرا لها بحزم وقال للطبيب :

\_ شكرا ليك يا دكتور مش محتاجين تفاصيل من دي ..

صمتت ملاذ بناء على رغبة نظراته ولكنها انتظرت حتى غادر  
الطبيب وقالت : ليه كدة؟!!

\_ انتي مالك ومال التفاصيل دي، دي حاجة تخصني؟!!

\_ ازاي بس دي أمي ولازم أعالجها في مستشفى مضمون وأنا  
المتكفلة بكل حاجة .

\_ انتي هتكوني مراتي ومن دلوقتي فانتى وأي حاجة متعلقة بيكي  
تحت مسئوليتي وملزمة مني أنا.

خجلت منه ومن كلماته التي تفقدها صوابها، لم تكد ترفع عينها  
في عينه حتى قال لها : ها بقى، تتجوزيني؟

لم يُصر على إرباكها بهذه الطريقة؟! أيستمتع بخجلها أم ماذا؟  
أخفضت نظرها، فقال لها : بصيلي

لم تقو هي على ذلك

\_ ملاذ، بصيلي

نظرت له وهي تشعر بالخجل الشديد، أطل هو النظر في عينيها  
الكحيلتين اللواتي أسرتاه داخلهما منذ أول نظرة، قال :

\_ لو مردتيش هفضل مذنبك كدة، وتردي وانتي بصالي .

شعرت أنها ستفقد كل حصونها إن استمر في أفعاله تلك أكثر من  
ذلك، نظراته، الهيبة التي يفرضها جسده الضخم بجوار جسدها  
الضئيل، عطره الذي لا تعرف كيف لا يكون من المحرمات، وفوق  
كل ذلك ابتسامته الخلافة بهاتين الغمازتين، قالت حتى تخلص  
نفسها منه :

\_ آه ..

ابتعد عنها بضع خطوات بعدما شعر بأنها أوشكت على الذوبان  
وقال مرحاً :

\_ طب يلا نسلم على مامتك وعلشان تجي معايا تجيبي حاجتك  
وكتبك م البيت ونروح سوا ..

(5)

استقلت بجواره السيارة وآثرت الصمت لتغرق في تفكيرها، لاحظ  
هو أنها تشرد كثيراً ولكنه ترك لها الوقت لتعيد لملمة شتات  
نفسها، الأحداث تسارعت بالفعل آخر يومين ومن الصعب الإمام  
بها بهذه السرعة، نزلت عند منزلها وحادث هو والدتها وأخبرها  
بكل شيء وبقراره بالزواج منها وهي كادت تطير من السعادة؛  
منذ أن رأتها وهي تتمناها زوجة له، استمر أدهم في محادثة والدته  
وطلب منها تجهيز شقته لتعيش بها ورحبت هي بذلك ..

أنهى المكالمة قائلاً : أمي فرحانة أكثر مني ولا ايه؟ .

خرجت ملاذ حاملة عدة حقائب كبيرة فاسرع بحملها منها قائلاً :

\_ حيلك حيلك اي كل ده؟! انتي عبيتي البيت كله ولا ايه ..

\_ دول يادوب لبسي وكتبي

\_ يادوب؟! ماشاء الله اللهم لا حسد ، ليه فاشون بلوجر ؟

\_ حظ ف العربية وبلاش لماضة لغاية ما أجيب الشنط اللي لسة

جوة .

\_\_ لسة جوة ؟ استنتي أجيب عربية نقل بقى أحسن

ضحكت وهي تدخل المنزل وانتهت من إخراج كل الحقائب وانطلق هو بالسيارة من جديد ..

شعر بتوترها كلما ابتعد عن الحي الذي تسكن فيه فقال :

\_\_ أنا بيتي بعيد عن هنا شوية، مش كل الناس محظوظة عشان تسكن في حي الجامعة زيك كدة وبصراحة الجو هنا دوشة وزحمة وناس كتير وأنا بحب الهدوء .

إنه يحدثها بمنتهى الأريحية، وهي لا تزال عاجزة عن ذلك، رغم مشاعرها القوية تجاهه ولكن كل شيء حدث بسرعة أجمتها، قالت محاولة تبادل أطراف الحديث معه :

\_\_ هتعمل ايه مع رنا؟!!

\_\_ شوف السيرة اللي تصد النفس بقى، سيبك منها يا ملاذ أهم حاجة دلوقتي إننا نطمئن على والدتك ونتجوز .

تجرات وسألته السؤال الذي شغل بالها طيلة الطريق قائلة : هوا انتا عاوز تتجوزني ليه ؟ انتا مشفق عليا مش كدة؟!!

نظر لها أدهم بضيق، لا يحب أن تظلمه أو أن تشعر أنها مدعاة للشفقة، قال محذراً :

\_ الكلام ده لو سمعته تاني هزعلك.

\_ أومال ليه طيب ؟

ابتسم لها وقال عابثاً :

\_ مش عاوزة تجبيها البر مش كدة، وأنا مش هريحك .

وصل المنزل فانقطع حديثهما بقوله :

\_ يللا يا ستي وصلنا بيتنا ..

أعجبتها نون الجماعة في كلامه، نظرت للمكان فوجدته حي راقى بيوته أشبه بالقصور وكل منزل محاط بحديقة كبيرة، وكان منزل أدهم واحداً من تلك المنازل الخلابه التي تأسر العين وحديقته كبيرة ومليئة بالأشجار العالية والزهور، لاحظ شرودها في الحديقة فقال باسمًا :

\_ ضيفي للسباحة إني بحب أزرع ورد، بيريح أعصابي أوي بألوانه الحلوة دي ... بصي تعالي أوريكي حاجة قبل ما ندخل وأمي



تكبس علينا، سارت معه إلي جانب من جوانب الحديقة فأشار إلي  
وردة توليب غاية في الجمال وقال :

\_؛اليوم اللي بيحصلي فيه حاجة حلوة بازرع فيه وردة  
توليب،الوردة دي زرعتها يوم ما قابلتك في المصيف ..

ابتسمت خجلة وشعرت بسعادة كبيرة، ماذا فعلت بحياتها لترزق  
بقلب كقلبه ؟

ابتسم هو وأكمل :

\_ وفيه وردة زرعتها جمبها لما قابلتك في الجامعة بس طبعاً لسة  
مطلعتش وهزرع واحدة النهاردة كمان، ثم نظر إلي عينيها مباشرة  
وقال :

\_ عشان النهاردة خدت موافقتك ع جوازنا وعشان هتعيشي معايا  
ف بيتي .

لم تخفض عينيها هذه المرة، أحبت شعاع الشمس الغارب في  
عينيها، نظرتة المليئة بالحب والكلام الذي لا يقو بعد على البوح  
به ..

قالت مشاكسة : على كدة الحديقة دي هتتملي توليب بسببي .

\_حاسبي بس لا تفرقي م الغرور، يللا ندخل بقى ..

حمل أدهم ما قدر على حمله من حقائبها ودخل بها الي المنزل  
وملاذ تسير خلفه خجلة ومتوترة ...كانت والدته السيدة سمية  
تنتظرهما على أحر من الجمر وبمجرد أن رأتهما يدخلون قامت و  
التفت ملاذ في أحضانها واستقبلتها أحسن استقبال، كانت الأخيرة  
تشعر بالخجل في البداية ولكنها سرعان ما اندمجت مع أمه شديدة  
الطيبة ولم تشعر منها بأي ضيق او ضجر ..

\_ حضرتك طيبة اوي

\_ انتي الغالية خطيبة الغالي وأنا كنت مستتية اليوم ده من زمان،  
ابني بيكبر قدام عيني والعمر بيقتوت بيه وهو لسة متجوزش وانتي  
جيتي وحققتيلي اللي كنت بتمناه يا بنتي ..

كان أدهم خلال ذلك الوقت يبديل ملابسه ويعد طاولة الغداء بنفسه،  
هو معتاد على مساعدة أمه دائماً، انضم اليهما وقال : يللا الغدا  
جاهز .

ابتسمت ملاذ ونهضت معهما لتناول الغداء الذي تحول لعشاء،  
شعرت بمشاعر مختلفة وهي تجلس معهما، مزيج من الخجل  
والسعادة والألفة، أحببت ما شعرت به من هدوء وسكينة

واستسلمت لهذه المشاعر وأعطت عقلها إجازة عن التفكير، من حقها أن تنعم ببعض من الهدوء اليس كذلك؟.

قالت الأم: بصي يا ملاذي ما انتي شايفة أنا بكون في المستشفى طول اليوم وكذلك انتي وأدهم بتكونوا ف الجامعة، فخلينا نتجمع سوا كدة آخر كل يوم وابقى اطلعي نامي ف الشقة فوق أنا جهزتهاك قبل ما تجوا، ولو حصل ومكنتش ف البيت فتطلي علي شقتك فوق لأن ابني مش مضمون

\_ متخليكي محضر خير يا حاجة

\_ ولاخير ولا شر يلا خلص عشان تطلعها الشنط وانتي يا ملاذي لو حابة تطلي تغيري وترتاحي يا حبيبتي .

نهض أدهم ليحمل الحقائب فذهبت ملاذي تحمل معه فاعترض قائلاً لها :

\_ لا سببها انتي معدناش ستات تشتال في وجود رجالتها، ممكن تفضلي تحت لغاية ما أطلعهم لو مش واثقة فيا زي ما الست الوالدة شكرت فيا من شوية

ضحكت ملاذي ونظرت له قائلة : لا يا أدهم أنا واثقة فيك ..

رد بهيام : بقولك ايه معتيش تقوليلى يا أدهم دي خاصة وانتي هنا  
بدل والله اتهور

\_ الله بقى اومال اقولك ايه

قال بمرح : قوليلي يا محاميلحو .

ضحك الاثنان سويا وصعدت ملاذ معه وأصرت على مساعدته،  
وعندما انتهيا من جميع الحقائق أعطاهما المفاتيح وقال : يلا  
افتحي

\_ مش هتنزل

\_ اومال فين بقى واثقة فيك وحاسة إنك حنين بس مش باين عليك  
والجوده كله؟!!

ضحكت لترد : اه بس الأصول أصول

\_ طب افتحي وادخلي وأنا هفضل واقف ع الباب أسمع رأيك

\_ رأيي ف ايه؟!!

أجاب مبتسماً : ف شقتنا يا ملاذ، عشان لو فيه أي حاجة حابة  
تغيريها الحق اغيرها

ابتسمت له وفتحت الباب ثم دخلت وهو نقل الحقائب فقط من أمام المدخل إلى الصالة ووقف ينتظرها، كانت تتجول في المنزل متفقدة إياه، كان بحق منزل الأحلام بألوانه الزاهية وديكوراته العصرية الرائعة الجمال، كان قد أعد كل شيء في المنزل ولم يكن ينقصه سوى العروس ..

عادت إليه وقالت : البيت يجنن مش محتاج أي تعديل

كان ينظر لها متأملاً ثم قال :

\_ تعرفي إنك أول واحدة تدخل البيت ده بعد امي، كنت محافظ عليه من أي رجل غريبة وبقول أول رجل هتدخله هتكون مراتي ..

ابتسمت بخجل ناظرة له، اهي الآن حقاً تقف مع الرجل الذي سيصير زوجها وفي المنزل الذي سيضمهما سوياً؟ أي حلم جميل هو هذا ؟

\_ احم اسيبك بقى ترتاحي بس خدي بالك هخدك معايا الجامعة بكرة .

\_ بس..

\_ بس ايه، انتي خلاص بقيتي خطيبتي ويكفي إنك تعرفي بنت  
واحدة بس وهتلاقي يقيت الجامعة كلها عرفت .

\_ مش هتتكسف؟!

\_ ملاذ أنا عندي 35 سنة، عدوا عليا من غير أي مشاعر مجرد  
حياه روتينية مملة ودلوقتي لما حياتي ابدت تنور هتتكسف واقتل  
فرحتي؟ لا مش أنا .. واياه اللي يكسف أصلا في اني أخطب واتجوز  
، هوا انا كائن أحادي الخلية ولا حاجة ؟

ابتسمت من جديد على كلماته، نظرت له بحب وهو بادلها ذات  
النظرات لكنه سرعان ما قال : أعوذ بالله من أفكار الشيطان  
الحلوة، بقولك ايه أنا نازل .



انتهت ملاذ من تبديل ثيابها وفض حقائبها ثم أخرجت هاتفها  
وجلست لتحدث قمر وتحكي لها ما حصل ...

\_ ست الواطية اللي لغت العزومة، متخفيش والله مش باكل كثير

ضحكت ملاذ قائلة : حيلك حيلك ده حصل تطورات جبارة

\_ أموت أنا، ارغي ..

ملاذي

قصت عليها ملاذ كل شيء دون كذب هذه المرة وعندما انتهت  
قالت قمر :

\_ الله ي ولاد روميو وجولييت جديدة اهي، وانتي حاسة بايه  
دلوقتي؟

\_ فرحانة أوي، مكنتش أتصور إنه يطلبني للجواز كدة من غير  
مقدمات ولا إنه يطع لطيف للدرجة دي.

\_ سبحان الله مع إنه قفل في الكلية

\_ بت لمي لسانك ..

\_ آسفين يا صلاح، ماهو خلاص بقى ملكية خاصة..

استمرت الفتاتان في الحديث، تحدثت ملاذ باستفاضة عن  
مشاعرها المستحدثة، كما أخبرتها بأنها تعرفه من قبل أن تلتحق  
بالكلية حتى أنها قصت على مسامعها موقف البحر.



(6)

أنهت المكالمة وكادت تتجه لمكتبها حتى تذاكر لكنها تفاجأت بطرق الباب الشديد، استغربته وتساءلت عن هوية الطارق الغاضب هذا، ألتها الإجابة عندما فتحت الباب لتتفاجأ برنا ابنة خالة أدهم تقف أمامها، تكاد نيران الغضب المستهرة داخل مقلتيها الحادثين أن تلتهمها حية، وقبل أي كلام من الطرفين، وجدتها وعلى حين غرة منها ترفع كفها ليسقط على وجهها بقوة تعادل مقدار دهشتها وغضبها!

صاحت الفتاة في غضب هادر:

\_ انتي تبقي بتحلمي لو سبته ليكي يا بيئة انتي، مش رنا اللي تسبب حاجة بتاعتها .

شعرت ملاذ بالصدمة ولم تدر ماذا تفعل، وقفت مغيبة لاتزال تحت تأثير الصدمة التي أكلتها إثر تلك الصفحة القوية، صعد أدهم درجات السلم مسرعاً بعدما سمع صوت صراخ رنا، جذب الأخيرة بقوة من رسغها وهو يقول :



\_ انتي ازاي تتجراي وتطلعيها هنا؟!!

صاحت برعونة:

\_ ماهو انتا مش طبيعي كمان إنك تقعدها ف شقتنا

حدق بها والغضب يتقافز في عينيه ورد :

\_ شقتها يا رنا، شقتي أنا وهي، انتي ملكيش وجود هنا لا دلوقتي

ولا بعدين وحافضي علي الجزء الفاضل من كرامتك بقي!!

نظر إلي ملاذ فوجدها تبكي وخدها أحمر فاستشاط غضباً وصاح :

\_ ملاذ، هيا ضربتك؟!!

اومات برأسها بخوف أن نعم، لتتفاجأ به يُفسح المجال أمامها

ويقول بغضب :

\_ اضربيها زي ما ضربتك، يلا!!!

انصاعت لرغبته ورفعت يدها وصفعتها بقوة، هي أرادت فعل ذلك

بالفعل فقد تطاولت رنا كثيراً، شعرت بالغيرة تأكل قلبها من كلامها

الصريح عن أدهم، كيف تتحدث عنه هكذا وهو بات يخصها ؟ ألا

تعرف أن غيرتها بركان إن ثار فسيحرقها بحممه ؟

بكت رنا بغيظ ونزلت السلام وهي تتوعد لهما، زفر أدهم غاضباً  
ونظر لفتاته الواقعة تبكي بصمت، اقترب منها حذراً ليرفع كفه  
ويمسح دموعها عن وجنتيها برفق، طالعه هي بعينيها الباكين  
ودموعها لاتزال عالقة بأهدابها الساحرة.

قال برفق: بتتهربي يعني من العقاب بدموعك دي؟!!

\_ هو أنا عملت ايه؟!!

\_ فتحتي الباب؛ البني آدمة دي بالذات مينفesch تقفي قدامها في  
مواجهة.

\_ مكنتش أعرف إنها هي.

\_ بعد كدة تبصي من العين السحرية، أنا كنت متوقع الزيارة  
المشرفة دي بعد ما أمي حكيت لخالتي ع اللي حصل.

جففت بيدها الباقي من دموعها وحاولت استعادة ثباتها وهي ترد:  
طب والعمل، كدة مش هنخلص منها.

ابتسم لها بحب وقال: العمل إننا ناخذ خطوة رسمي، نكتب الكتاب  
لغاية ما والدتك تقوم بالسلامة.

\_ازاي يا أدهم، معرفش أخذ خطوة مهمة زي دي من غير وجودها جمبي.

\_متقلقيش يا ملاذ، لما تقوم بالسلامة هتعوضك بوجودها جمبك في كل لحظة، لكن دلوقتي إحنا بنحاول نردع شر ممكن يهدد حياتنا سوا. بكرة بإذن الله هعدي على مامتك وأفاتحها في الموضوع.  
\_اللي تشوفه يا أدهم.

التفت أدهم لينزل درجات السلم بعد أن ودعها لكنه عاود الالتفات لها وقال :

\_ عشان بحبك، عاوز اتجوزك عشان بحبك .

تفاجأت هي بكلامه ثم أدركت أنه يجيبها عن سؤالها السابق الذي طرحته عليه في السيارة..

احمرت خجلاً قائلة : ها..

ابتسم ليقول بلين شديد : بحبك يا ملاذ

تراقص قلبها في صدرها علي نغمات صوته وهو ينطق تلك الكلمة ويعيدها على مسامعها، شعرت بأن الزمن قد توقف عند تلك

اللحظة وأرادته لو يظل متوقفاً أمدًا، إنه بالفعل قادر على إذابة خلاياها بكلامه ولكن هذه الكلمة كان لها عميق الأثر .

"كيف استطعت فعل كل هذا بي وبقلبي؟ أتيت وفي هذه المدة القصيرة وأسرتني داخل قلبك وأحكمت علي أصفادك؟ كيف تقدر بنظرة واحدة، بكلمة واحدة، بحرف واحد أن تجعل كل خلايا جسدي منتبهة إليك؟ سمعت كثيراً عن الحب ولم أعشه، قرأت كثيراً عن مشاعره ولم أصدقها، الآن يضعني القدر أمام هذا الرجل الممتلئ بالمشاعر ..ويا له من قدر جميل!"

\_ ها مش عاوزة تقولي حاجة؟!

\_ احم، آه، تصبح على خير !

وأسرعت بدخول المنزل وإغلاق الباب بلطف فقال ضاحكاً بصوت مسموع :

\_ بكرة يتقفل علينا احنا الاتنين يا جميل ساعتها مش هرحمك ..ثم نزل بعدما سمع ضحكاتهما .



عادت رنا إلي منزلها لتجد والدتها لبني في انتظارها.

دخلت قائلة :

\_ الكلام اللي خالتي سمية قالتها لك صح ، لا وجايبها ومقعداها ف  
شقة جوازها يا ماما .

\_ اهدي بس كدة وخلينا نفكر هنعمل ايه..

\_ انا هتجنن، يستحيل حد غيري ياخده.

\_ طبعا يابنتي ده دكتور ف الجامعة ومركز اجتماعي لو ضاع منك  
عمرك ما هتعرفي تعوضيه

\_ مش هرحمها، والله ما هرحمها!

\_ سيبك منها، اللعب على أدهم مش عليها وانتي لو دخلتي هيا  
هتخرج

\_ يعني ايه؟!!

\_ يعني خطة مجنونة بس نتايجها مضبوطة، وهنفذها في أقرب  
وقت ...



استيقظت في صباح اليوم التالي وهي لا تزال تحمل ذكرى الأمس،  
ذكرى اعترافه المُحِبِّ، ابتسمت وهي تُطعم قلبها وجبته الصباحية  
من السعادة بقربه، متناسية تلك الفتاه التي نغصت عليها ليلتها  
بذكرى كلماتها عنه، ارتدت ملابسها ونزلت حتى تذهب للجامعة  
فوجدت أدهم بانتظارها وما ان رآها حتى قال :

\_ صباح الخير، نمتي كويس؟!\_

ردت باسمه: صباح النور، آه الحمد لله البيت مريح بجد ..  
فرح هو لذلك وقال : طب يلا عشان متأخرش، معلى مش هدخلك  
البيت عشان أمي مشت من بدري وأنا أخاف عليكي بصراحة .  
ركبا السيارة ووصلا الجامعة سوياً حتى أن أدهم أصر أن يوصلها  
لمكان محاضرتها الأولى ثم يعود الي مكتبه ...

كان يلاحظ همسات الطلاب ولكنه لم يبالي وعندما انصرف جاءت  
قمر لملاذ رقداً وهي تقول :

\_ الحب ولع في الدرة ولا ايه؟\_

\_ يا بت قولتلك لمي لسانك\_

\_ انتوا أحرار بس خلاص بقيتوا حديث المدينة\_

قالت بصوت مسموع قاصدة أن يسمعها من بالمكان : والله خطيبي  
ومحدث له عندي حاجة ..

اختفت الهمهمات عندما نطقت بتلك الجملة فضحكت قمر وقالت :  
إديلووو!

انتهى اليوم على خير دون أن تراه، لكنها بالنهاية ذهبت إلى مكتبه  
لتنظره حتى ينتهي ويغادرا سوياً، وجدت بالداخل فتاتان متبرجتان  
يحدثانه بمنتهى المياعة ونظراتهما مصوبة تجاهه , وهو الآخر  
يحدثهما برحابة صدر ووجه مبتسم فدخلت غاضبة وهي تقول :  
السلام عليكم.

انتبه لوجهها الغاضب فابتسم ورد:

\_\_ و عليكم السلام، اتفضلي يا ملاذ اقدي.

جلست ملاذ والفتاتان ترمقانه بنظرات متعجرفة بسبب لباسها  
الواسع ووجهها الخالي من المساحيق ..

\_\_ أي اسئلة تانية

ردت إحداهما: لا ميرسي يا دكتر حضرتك بجد ذوق جداً

\_\_ احم، طب يللا اتفضلوا بعد اذنكم.

رحلتا وبقيت ملاذ بوجهها الغاضب، نظر لها مبتسماً في مرح  
وشوق وقال : وحشتيني ..

بدلت كلمته ملامح وجهها على الفور ولكنها عادت تقول : حضرتك  
بجد ذوق يا دكتور ..

ابتسم فقطته تغار عليه حقاً، قال مشاكساً :

\_ ناس بتفهم

\_ ناس عاوزة الحرق

\_ انتي كدة هتعجزي بدري يا شابة، شغلي بيخليني معرض للعينة  
السمجة دي 24 ساعة، لكنه عاد وأشار لقلبه مكماً : بس العبرة  
مين هنا ..

ابتسمت خجلة وقالت : كل بعقلي حلاوة .

\_ طب يللا يا حلاوة عشان نعدي على والدتك، مش هفاتحها ف  
كتب الكتاب لأن الدكتور حدد معاد العملية خلاص، أمي لسة  
مكلماني من شوية فهناجله بقى لغاية ماتقوم بالسلامة ..

قالت بقلق بالغ : أنا خايفة أوي عليها يا أدهم.



\_\_ متخفيش أنا هوديها تعملها ف أحسن مستشفى وباذن الله تكون  
بخير ..

ذهبا الي والدتها واطمئنا على حالتها من الطبيب وجلسا معها مدة  
طويلة يخفان عنها مثل المشفى وروتينية يومها وفي النهاية  
اصطحبا السيدة سمية معهما وغادروا عائدين للمنزل ..

سارت حياتهم طبيعية لمدة أسبوع والروابط تزداد تشابكاً بين ملاذ  
و أدهم خاصة من جانبه هو؛ لقد رأى فيها ملاذه الوحيد من كل  
متاعب الحياة وفوضاها التي أرهقته وأرهقت تفكيره ..



(6)

استيقظت من نومها ذات ليلة فزعة على صوت صرخات فتاه تصم الأذان، لم تستغرق وقتاً طويلاً حتى تدرك أن الصوت قادم من الأسفل من منزل أدهم ووالدته، ارتدت إسدال الصلاة على عجلة ونزلت السلالم مسرعة وصوت الصرخات مستمر، وجدت الباب مفتوحاً ولبنى خالة أدهم تبكي في الصلاة وبجوارها سمية منكسة الرأس .

ابتلعت ملاذ ريقها بصعوبة ناظرةً لعيني سمية التي سرعان ما ابعدت نظرها عنها، صوت الصراخ تحول لنحيب، الصوت قادم من غرفة أدهم !!

انقبض قلبها وتسارعت دقاته، سارت نحو غرفته ولكن سمية أوقفتها قائلة :

\_\_ استني يا ملاذ ارجوكي..

فابعدتها لبنى وهي تقول بصوت منتحب :

\_\_ سيبيها تروح تشوف خطيبها المحترم والي عمله ف بنتي ..

رقدت ملاذ ودخلت الغرفة مندفعة، لتراجع للخلف مصدومة!

كان أدهم جالساً على الأرض منكساً رأسه وهو لا يرتدي سوى بنطاله، شعره مبعثر وهناك آثار خربشات متفرقة علي جسده، ورنا جالسة على الفراش تبكي بعمق تداري جسدها العاري بغطاء الفراش وشعرها مبعثر هي الأخرى ..

شهقت ملاذ بالبكاء ليرفع أدهم رأسه نحوها بضعف، نظر إليها ووجهه خالي من أي تعبير لتزداد هي في بكائها الذي تحول لصراخ، جاءت سمية على صوتها وضمتها لأحضانها قائلة :

اهدي يا بنتي ارجوكي متعمليش ف نفسك كدة

قالت من وسط شهقاتها : ليه يا طنط، ليه، ليه ؟!!..

استمرت في بكائها وعلى الفراش تجلس رنا باكية هي الأخرى، نهض أدهم وهو يشعر أن الدنيا قد ضاقت به، سار نحو ملاذ بخطوات بطيئة لكنها اشمئزت منه ومن جسده العاري ومن الدم الذي كان يخرج من جراحه، اشمئزت من رائحته التي تعم الغرفة، اشمئزت حتى من النظر إلي وجهه وهو على تلك الحالة المذرية، صرخت به قائلة : مكانك، اوعى تقرب مني، اوعى!

قال بضعف : ملاذ اسمعيني..

لكنها استدارت ورقدت خارجة من غرفته ومن المنزل كله، تسارعت خطواتها على السلام حتى وصلت المنزل وأغلقت الباب خلفها بإحكام، ارتمت على فراشها وشرعت في البكاء والنحيب من جديد، لقد رأته بألم عينيها، ومع من، مع رنا التي كان يمطرها بكلمات الإهانة، ما الذي حدث لك يا أدهم وما الذي فعلته أنا لتصدمني فيك هذه الصدمة الكبيرة، ظلت تصرخ على قلبها يستكين ولكن في تلك الليلة لم يعرف الاستكانة احد ...

وفي الأسفل، كانت لبني تبكي قائلة :

\_ كدة يا سمية، بقى ده جزاتي إني آمنت على بنتي ف بيتك، ياريتها ما رجعت عليكي وكانت ركبت تاكسي، لو كانت جيت من سواق التاكسي كانت هتكون أرحم من كدة يا سمية ..

شهقت سمية بالبكاء وتذكرت ماحدث ...

فبعدها صعدت ملاذ لشقتها لتنام، رن هاتفها برقم لبني التي قالت لها : "معلش يا سمية رنا بنتي كانت في عيد ميلاد صحبتها والوقت اتاخر وأخاف عليها تجي ف تاكسي دلوقتي، ممكن تبعثيلها أدهم ياخذها والصبح تجيلي إن شاء الله "

وافقت سمية على مضمض وطلبت من أدهم أن يذهب ويحضرها د،  
اضطر هو الآخر متأففاً أن يلبي طلب أمه بعد أن غلبته شهامته،  
فقد خاف أن يصيبها مكروه.. بالنهاية هي ابنه خالته ..

عادت سمية من ذكراها وقالت :

\_ والله ما أعرف يا لبني أدهم عمل كدة ازاي وليه أنا مصدومة  
زيي زيك ..

تذكرت من جديد أنها استيقظت من النوم على صوت صراخ رنا  
الصادر من غرفة أدهم وسرعان ما اكتشفت الكارثة، وبينما وقفت  
تلمم شتات عقلها الضائع، وتغترف من خيبة الأمل في ابنها ما  
يكفيها ويفيض، وجدت رنا تتصل بوالدتها وهي تصرخ قائلة :  
الحقيني يا ماما أدهم اغتصبني ..



لملم أدهم ذاته المبعثرة ونهض ليستحم، أخرج ثيابه بإهمال وكان  
كل شيء يتساقط من يديه ويعود ويلتقطه من جديد، شعر وأنه فقد  
تحكمه في جسده كله، مر علي لبني وسمية وكأنه لا يراها، لا يرى  
حالياً إلا حسرته!..

جذبتة لبني من زراعته وصرخت في وجهه قائلة :

\_ رايح فين يا أستاذ، ايه مش مكسوف من نفسك و م اللي عملته  
ف بنت خالتك، انتا ضيعتها فاهم يعني ايه ضيعتها !!?

جذب يده من قبضتها وأكمل سيره نحو الحمام، وقف تحت المياه  
الباردة وهو شارد، كيف حدث كل هذا، آخر ما يتذكره ذهابه لغرفته  
حتى ينام وحيداً، لم يفكر في رنا قط ولم يشغل باله بها، كيف جاءت  
لغراشه وكيف اغت.. انتفض جسده عند تلك النقطة وظل يدعه  
بالصابون بقوة، كره جسده لأنه لامس جسداً غيرها، وفي الحرام  
أيضاً، انه يستحق الموت على فعلته تلك، تذكر ملاذ وصدمتها بما  
رأت، لقد دنس براءتها هي الأخرى وهي التي تخجل من مرور  
طيف جسده قريباً من جسدها، كيف شعرت عندما رآته على ذاك  
المشهد القذر؟! صرخ بأقوى صوته وانهمرت دموعه تحرق  
وجهه ندماً وأسفاً ولكن بما يفيدته كل ذلك؟...

ارتدى ثيابه وخرج للصلاة حيث تجلس أمه وخالته، وبينهما  
جلست رنا مرتدية عباءة من عبآت سمية وكانت قد توقفت عن  
البكاء أخيراً، جلس قبالتهم ونظر لرنا بكره شديد، لقد أفسدت عليه  
كل حياته..

قال بغل : طلباتكم؟!!

نظرت له لبني وقالت : تتجوزها وتستر عليها.

\_ مش قبل ما أعرف جت أوضتي ازاي؟؟

بكت رنا بتمثيل وقالت :

\_ انتا كمان ليك عين تتكلم مش كفاية اللي عملته فيا؟!!

تدخلت سمية قائلة :

\_ لازم تصلح غلطتك يا أدهم وتتجوز رنا ..

نظر لها بحزن وقال : وملاذي يا أمي؟

ردت بأسى : انتا خلاص ضيعتها من إيدك، هوا انتا فاكرا إنها

ممكنا تغفرلك اللي شافته ده؟! تبقى بتحلم .. لازم تتحمل نتيجة

غلطك يا ابني الدنيا مش سايبة .

أمسك برأسه بقوة، آلاف الأفكار تتقافز إلي ذهنه الآن، كل ما يريد

هو التحدث مع ملاذي الوقت تأخر ولا بد من الانتظار حتى الصباح

..

سمية : قوموا ناموا انتو دلوقتي وبكرة نشوف هنعمل ايه

\_ مش هنتازل عن الجواز

ردت عليها : حقك يا لبني حاضر

ذهبت رنا وأمها ليناما في غرفة الضيوف، وبقي أدهم منكسًا  
الرأس وأمه تنظر له وتقول :

\_ مكنتش أتوقع منك كدة يا أدهم

\_ والله يا أمي منا فاكراي حاجة، أنا هتجنن!!

\_ انتا مش فاكرا بس احنا كلنا شفناها ف سريرك .

هدر غاضباً : أرجوك بس مش عاوز افكر

قالت : هتفضل عمرك كله تفكر، بكرة تشوفك حل مع الغلبانة  
اللي فوق وتشوف هتكتب كتابك على رنا امته، تصبح على خير  
مع إني حاسة انه معدش فيه خير بعد النهاردة ..



نهض وذهب لغرفته ولكنه رآها على تلك الحالة البشعة فامتعض  
وجهه وخرج من المنزل، صعد للأعلى ووقف على باب منزل ملاذ،  
جلس على الارض واستند برأسه على الباب وخائته دمعة وجرت



على وجهه، كان قد رسم كل شيء في مخيلته عن عيشته معها، كان قد تخيل كل شيء حتى أنه اختار أسماء أبنائه منها، كيف يفعل بها هذا؟! بالتأكيد هي الآن تكرهه ولا ترغب في رؤية وجهه ولكنه بحق بحاجة إليها، بحاجة إلي أن يرتمي في أحضانها ويبكى عليه يرتاح ..



حل الصباح على القلوب التي احتلها ليلٌ طويلٌ لن ينقضي أبداً، كانت قد انتهت من إعداد حقائبها، هي لم تتم تلك الليلة وظلت ترتب حاجياتها، فتحت الباب لتخرج الحقائب لتتفاجأ به نائماً على السلم، لم يهتز قلبها لرؤيته ككل مرة بل كرهته كرهاً شديداً، لم تشفق عليه ولا على حاله فهو من أوصلهم إلي هذه النقطة الصعبة .. بدأت في اخراج حقائبها حتى انتهت منهم جميعاً وانزلتهم لأسفل كل ذلك وهو لا يزال نائماً، وقفت بجواره حاملةً آخر حقيبة ناظرة له بحزن وهي تقول في سرها :

\_ مع السلامة يا أدهم، كنت حلم حلو لدرجة إنني مصدقتش حلوته واثبتلي اننا امبارح إن الحلو مبيكملش ..

استقلت تاكسي إلى منزلها بحي الجامعة، أعادت أغراضها إلى أماكنها السابقة وانتهت عند الساعة الثامنة، بدلت ثيابها ونظرت لوجهها في المرآة فوجدت عيناها متورمتان فقررت عدم الذهاب إلى الجامعة، هي بحاجة للنوم والهدوء ليوم على الأقل، فعلت وضع الصامت على هاتفها وغطت في نوم عميق ..



نهض أدهم مفزوعاً من نومه بعدما رأى كابوساً شنيعاً، نظر حوله وتذكر ليلة البارحة المشؤومة ووجد باب منزل ملاذ مفتوحاً ففزع، دخل فلم يجد لها أي أثر وكل أغراضها قد اختفت، نزل السلم رقداً وذهب لأمه وهو يقول بهلع :

\_\_ مشت، مشت يا ماما ..

ردت بهدوء : قصرت على نفسها الطريق، ربنا يلاقيها ف راجل يستحقها .

أوجعه كلام أمه ووجد رنا وخالته ينضمان لهما، نكس رأسه بحزن، شعر أن حياته قد توقفت وأن السعادة التي كان يستبشرها مستقبلاً قد تبخرت في الهواء وحل مكانها تعاسة ما بعدها تعاسة،

هذا هو قدره الذي اختاره، كما يظن هو وكما تقتعه كل الأحداث  
من حوله، ولكن هل هذه هي الحقيقة؟؟

قالت لبنى :

\_ هنكتب الكتاب الأسبوع ده، ولازم الموضوع يمشي طبيعي  
ومحدث يعرف باللي حصل وإياك تفكر تكسر بنتي كفاية أوي  
كسرة نفسها من امبارح، هتجي تطلب ايدها طبيعي من باباها  
وتحددوا كتب الكتاب آخر الأسبوع وتصمم على كدة والدخلة كمان،  
تحسباً إن ممكن يحصل حمل ولا حاجة .

انقبض قلبه وشعر بالغثيان من كلامها ولكنه اضطر الي الإستماع  
إليها مرغماً .. وبالفعل عادت رنا مع والدتها إلي منزلهم، أما هو  
فقد تغيب عن جامعته هو الآخر، وفي المساء ذهب مع والدته  
لطلب يد رنا وحددوا موعد كتب الكتاب مع الدخلة بعد أسبوعين  
بناءً على طلب والد رنا حتى يتسنى له الوقت من إنهاء كل شيء  
وبالرغم من أنه استغرب من إصراره على تعجيل الدخلة إلا أنه  
وافق مرحباً فأدهم بالنسبة له هو الآخر فرصة لا تعوض ..



استيقظت ملاذ مساءً ونظرت للساعة فوجدتها العاشرة وهاتفها عليه 4 مكالمات فائتة من قمر، تنهدت بسخرية فهو حتى لم يكلف خاطره بمحادثتها و السؤال عنها، اتصلت على قمر وطمئنتها ولكنها بكت فجأة فعلت الأخرى أنه قد حدث شيئاً سيئاً..

\_ انا تعبانة أوي يا قمر، تعبانة بجد، حاسة كأن قلبي متكف ومش عارف يتنفس!..

\_ قَلقتيني يا بنتي، حصل ايه بس!؟!

\_ مش هينفع ع التلفون محتاجة أشوفك!

\_ طيب بكرة الجمعة تعالى نتقابل بعد العصر كدة عشان اتكسف أجي عند د. أدهم..

ردت عليها بخنقة : بس أنا مش عنده يا قمر، أنا رجعت بيتي .

تفاجأت الأخرى لتقول في حيرة :

\_ ايه ايه ايه!؟! لا أنا مش هستحمل لبكرة احكيلى حالاً..

حاولت ملاذ ولكنها لم تقدر فقالت:

\_ اعذريني يا قمر والله الموضوع كبير، هستتاي بكرة تجيلي ماشي، هبعتك العنوان ف رسالة ع الفيس دلوقتي.

أنهت المكالمة وأرسلت لها العنوان وهي تشعر بالضيق، هي لا تريد أن تفكر، لقد هربت من عقلها بالنوم عندما عادت والآن صارت بمفردها معه، يبدو أنها ستقضي ليلة يأكلها فيها التفكير حية..



(8)

جلست رنا مع أمها يتضحان بعد أن نجحت خطتهما الشيطانية  
أخيراً، وزادت فرحتهما برحيل ملاذ من منزله وإلى الأبد..

قالت رنا ساخرة :

\_ بس عجبتي أوي في حنة تعجيل الدخلة عشان لو حصل حمل  
دي .

ردت الأم : لازم نسبكها صح يا مجنونة، مهو ميعرفش إن مفيش  
حاجة حصلت بينكو فهيصي براحتك بقي..

سرحت رنا وتذكرت ما حدث ...

جاء أدهم لياخذها من الحفلة ووصلا منزله، كان كل شيء  
طبيعياً، حتى أدهم يتجنب الحديث معها كالعادة، أصرت هي على  
شرب العصير وقامت وأعدت ثلاثة أكواب، وضعت مادة مخدرة  
في كوب أدهم وناولته إياه، كان الوقت قد تاخر لذا ذهب أدهم  
للفراش وبدأ مفعول المادة فغط في ثبات عميق، تسلت هي إلي  
غرفته وخلعت عنه ثيابه وخربشته في جسده مستغلة مفعول

المادة، ثم خلعت عنها ثيابها هي الاخرى وبعثرت الغرفة من حولها وكذلك شعرها ومكياج وجهها وخربشت أدهم من جديد حتى يزول مفعول المخدر سريعاً وبعد مدة بدأ يفيق فبدأت هي بالصراخ ...

رنا : بس أنا خايفة بعد الجواز لما يكتشف إنه محصلش حاجة بينا يعمل فيا حاجة..

\_ هيعمل إيه يعني؟ هتكوني مراته خلاص وهيكون حصل بينكو حاجة فعلاً وساعتها اتدبس والسلام ..

اومات لها رنا وقالت : أخيراً بقيت ليا يا ادهم ..



في اليوم التالي استقبلت ملاذ صديقتها في منزلها وجلستا سوية تتحدثان ..

\_ وشك دبلان أوي، حصل ايه لكل ده؟!!

\_ أنا مش عارفة ينفع أحكيك ولا لاء بس أنا بجد محتاجة أتكلم لأنني قربت أنفجر ..

وقصت على مسامعها ماحدث عند أدهم ليتلون وجه الفتاة بالصدمة والخجل والغضب، اضطربت ملاذ من جديد فتوقفت عن الكلام

لتبكي، طببت عليها قمر ثم أخذتها في أحضانها وبكت معها،  
..ابتعدت عن قمر بعدما اكتفت من البكاء وقالت : كان حلم جميل  
يا قمر ..

\_ مكنتش أتوقع ان الموضوع كبير أوي كدة، ربنا يكون ف عونك  
يا ملاذ

\_ إنتي مش عارفة أنا حاسة بايه دلوقتي؛ حاسة بنار بتاكل ف  
قلبي ومش عارفة أطفئها، هيا بس بتهدى شوية وتضحك عليا  
وبعدين تزيد تانى أكثر من الأول لغاية ما قربت أتحرق بيها ..

ظلت قمر تهدئ فيها وتخفف عنها حتى حل المساء فودعتها  
ورجعت إلي منزلها حزينة على حال صديقتها ..

في اليوم التالي..

تجهزت ملاذ للجامعة فارتدت أفضل ثيابها، وضعت بعض  
المساحيق على غير العادة لا لشيء وإنما لتخفي تورم عيناها  
وعبوس وجهها، ولعلها \_ وهو المرجح \_ أرادت أن تنتقم لأنوثتها  
باستحضار جمالها أمامه.



دخل أدهم القاعة شاردًا وألقى عليهم التحية، لاحظها تجلس في المقعد الأول كعادتها وهاتفها أمامها دليل أنها تسجل المحاضرة من جديد، لكن بها شيءٌ مختلف، هي لا تنظر نحوه كالمعتاد بل كانت تنظر نحو الفراغ، تمنى لو يحدثها ولكن ماذا سيقول لها وبم سيدافع عن نفسه وبأي حق سيطلب منها أن تظل معه؟؟

كانت تستمع لشرحه شاعرة بالغثيان، تذكرت أن هذا الوجه الخلق الذي يحدثهم الآن يمثل هذا الهدوء والأدب انتهك عرض امرأة منذ ليلة، تذكرت مع كل حرف كان يتفوه به منظره تلك الليلة وكيف كان مجروحاً، تذكرت رائحة جسده ليزداد غثيانها، كانت تتحامل على نفسها حتى لا يظهر على وجهها الامتعاض ولكن رغماً عنها ظهر واستطاع هو ملاحظته جيداً ..

أنهى محاضرتة سريعاً وجميع الطلبة لاحظوا ذلك كما لاحظوا الحزن العميق على وجهه ..

قالت قمر : ملاذ وشه مش طبيعي..

\_ مش هيصعب عليا يا قمر

\_ حاولي تتفاهمي معاه إنتي قولتيلي إنه مبيطقش رنا دي إزاي بقى هيفتصبها؟!!

أنهت ملاذ الحوار قائلة بحزم : قمر الموضوع ده انتهى، للأبد...



أنهت محاضرات ذاك اليوم الكئيب لتغادر مبنى الجامعة متوجهة إلى المشفى لتزور والدتها عاقدة العزم على عدم اخبارها بما صار حتى لا تتدهور حالتها، ولكنها تفاجأت عندما لم تجدها ..

الطبيب : مدام عزة اتحولت لمستشفى (....) عشان تعمل العملية  
قالت بصدمة ممتزجة بالخوف :

\_ إزاي ده حصل وامته؟! وازاي متبلغونيش ولا تاخدوا إذني?!!!

أتاها صوته المحبب البغيض في الآن ذاته من خلفها يقول :

\_ هما كلموني وأنا ادتهم الإذن!

استدارت له غاضبة وقالت :

\_ وانتا مالك انتا ايه علاقتك بينا؟!!

تقدم أكثر حتى وقف أمامها لا يفصلها عنه سوى خطوتين تمنى لو يتجاوزهما ويلتقفا داخل أحضانه، أن تشعر به وبالنار المستعرة بالضعيف قلبه، لكنه أخذ نيرانه مرغماً ليقول بهدوء :

\_ انتي عارفة علاقتي بيكم كويس!!

نظرت له شذراً وودت لو تصيح أنه قضى على هذه العلاقة بيديه،  
فلا يأتي اليوم ويدعيها!

لكنها حافظت على أعصابها بصعوبة ثم سألت الطبيب المعالج عن  
عنوان المشفى وغادرت ..

تنهد هو حزيناً ونزل خلفها ..

طلب منها الركوب معه فصاحت به بعد أن نفذ مخزونها من الصبر  
قائلة :

\_ ياريت يا دكتور تبطل تتعرضلي وياريت بردو ما اشوفكش هناك،  
وفلوس العملية هتوصلك إن شاء الله .

صدم بكلامها فقال :

\_ ملاذ ممكن تهدي وتقبلي إنا نتكلم!؟

دمعت عيناها بعدما فشلت في الصمود أكثر من ذلك وقالت :

\_ للأسف معدش يفيد بحاجة الكلام ...



ملاذي

استقلت تاكسي للمشفى الذي به والدتها وسألت عن مكانها فأخبرها أحد الممرضين أنها في العمليات الآن وطلب منها الدعاء لها، وقفت بجوار غرفة العمليات لا تصدق تسارع الأحداث من حولها، أن والدتها تقبع خلف ذلك الباب اللعين تتأرجح روحها بين الحياة وبين الموت!

مرت الساعات ليخرج الطبيب قائلاً بأسف :

\_ ادعيها بالرحمة ..

لم تعد قدمها قادرة على حملها أكثر من ذلك، سقطت مغميّ عليها إثر هذه الكلمة بعدما فقدت آخر شخص لديها في الحياة!.



(9)

جلس بجوار الفراش الذي نامت عليه وبيدها يتصل محلول مغذي  
كما أوصت الطيبة، يتأمل ملامحها المستكينة وقلبه ينعصر على  
مُصابها، شعر بالحزن على تلك السيدة، كان قد تعلق بها بالفعل  
ومس فيها طيبة قلبها الكبير، لكن ها هو القدر يدلو بدلوه وينتشلها  
من الدنيا، وفي وقت صعب تماماً!

مر الوقت ليسمعها في النهاية تتمم قائلة : "أدهم!"

فتحت عينيها لترى وجهه ينظر لها قلقاً، قالت بتثاقل :

\_ ماما ...

سرعان ما تذكرت كل شيء لتبكي بعمق، تمزق قلبه على حالتها  
فقال مواسياً :

\_ ادعيها يا ملاذ عياطك ده بيعذبها دلوقتي..

استمرت هي في البكاء كأنها لا تسمعه وشعرت بالدنيا تسود من  
حولها، شعرت كما لو كانت أميرة في مملكة سحرية، تُحلق على  
بساطها السحري، تمتلك بين يديها كافة متاع الحياة دون أن تخشى

فقد، وفجأة... يُسحب البساط من أسفلها ليتهاوى جسدها الهش من السماء السابعة إلى الأرض السابعة، تحجر الدمع في عينيها وهي تتخيل أن حياتها صارت بدون أم، هل ظنت والدتها أنها تركتها في أيدي أمينة لذا غادرت مُرتاحة؟! هل اعتقدت روحها الطيبة أنها قد أوصلت أمانتها فما عادت تخشى فراقاً؟!!

أرقتها الفكرة الأخيرة وهي تنظر نحوه، هذه ليست يد أمينة، هذه يد لا تعرف سوى الخيانة!.

كفكفت دموعها وجلست في الفراش، كان أدهم يجلس خالِعاً معطف بدلتة ورابطة عنقه وقد فتح أول زرارين من قميصه ووجهه شاحب اللون، نظرت إليه ولكنه لم يكن يبادلها النظر، كان ينظر للفراغ شارد العينين مبتئس الملامح، شعر وكأن المصائب تتوالى عليه، فماذا عساها تفعل الآن وقد توفيت والدتها، كيف ستتدبر أمرها بمفردها؟! أيعرض عليها الزواج من جديد؟!!

أنب نفسه وقد ضاع أمله الأخير، تساءل عن مدى حماقته التي أنسته زواجه الذي ينتظره بعد أسبوعين فقط؟ وهل ستقبل هي بأن تصير زوجة ثانية؟ لكنه يجبها حقاً ويخش أن تنتقل للسكن

عند أحد أقاربها .. ظلت هذه الافكار تجئ في خاطره ولكنه انتبه في النهاية على نظراتها المصوبة تجاه عنقه ...

استقرت نظراتها على عنقه المجروح من آثار ليلته مع رنا ولكن وجهها كان خالي الملامح، حزنها على والدتها أعمق، نظرت له بضعف وقالت :

\_ عاوزة تليفوني ..

ناولها إياه وضربت عدة أرقام على لوحة الاتصال ثم انتظرت الطرف الآخر ليحيب :

\_ ألو يا خالتي، أنا ملاذ، البقاء لله ...

اتصلت بكل أقربائها حتى أعمامها الذين قد نسوا أمرها تماماً منذ وفاة والدها، أخبرت الجميع بخبر موت والدتها، تلقت تعازيهم الحارة وشهقات بكائهم ببكاء أشد من أي بكاء قد بكته في حياتها وفي النهاية انتتشل أدهم منها الهاتف وقال بصوت مخنوق :

\_ كفاية يا ملاذ، ارحمي نفسك شوية..

كفكفت دموعها ونظرت له نفس نظرة الضعف قائلة :

\_ هو .. هو المفروض يحصل إيه دلوقتي لل..للجثمان ؟

تنهد وقال :

\_ أنا خلصت كل الإجراءات الخاصة بالدفن والمفروض نشيع  
الجثمان، إكرام الميت دفنه ..

حضر كل الأهل والأقارب وبعض الأصدقاء، رغم انقطاع العلاقات  
إلا أن السيدة عزة كان لديها قلب أبيض لم يُسء لأحدهم يوماً مما  
حَمَل الجميع بشعور الشفقة تجاهها وتجاه ابنتها الوحيدة ملاذ،  
أتموا مراسم الدفن ورافقها أدهم حتى النهاية وهي لم تعترض،  
كانت ضعيفة حد أنها صارت ترغب بوجوده بجوارها، وقفت على  
مقبرة والدتها تبكي بصمت وتدعو لها وبجوارها قمر تخفف عنها  
كعادتها الطيبة ومن خلفهما وقف هو مع أقربائها من الرجال ..

قال محمد (عمها الاكبر) : والله كان بودي اخدها تسكن معايا بس  
الظروف ...

بينما قال أحمد (عمها الاصغر) : أنا مراتي تعبانة ويادوب اللي  
جاي على أد اللي رايح وهيا ف الجامعة ومش هقدر عليها ..

تدخل أدهم حين ذاك بعدما شعر منهم جميعاً تخليهم عنها قائلاً :



\_ أنا كنت متقدم لملاذ بس وفاه ولدتها وقف الحكاية، بإذن الله  
تفوق هيا بس ونتم الموضوع...\_

لا يدرك كيف خرجت تلك الكلمات منه، يرى خيط الأمل قد انقطع  
وفلت من بين يديه، لكن بداخله بصيص يتمنى لو يستطيع إعادة  
عقده من جديد، يتمنى لو تعطيه الأيام فرصة، لو تنطوي ماحيةً  
بمرورها آثام ماضيه من عقلها فلا يتبقى داخلها له سوى الحب،  
حبه المؤود الذي لم يكذب يغترف منه غرفةً حتى تشقق إناءه  
وتسرب كل محتواه منه!..\_

شعر بالراحة على وجوههم كأن جبلاً قد انزاح عن صدورهم  
وكرههم هو تماماً كما تكرههم ملاذ، فحتى لو كان فعلاً سيتزوجها،  
ألا تحتاج هذه المسكينة إلي بيت وأسرة ترعاها وتحميها؟!...\_

انتهى اليوم وانصرف الجميع وبقيت هي عند القبر وحيدة، ذهب  
ووقف وراءها وقال :

\_ احم، ملاذ مش هنمشي ..\_

نون الجماعة تعود لحديثه وهي لا تملك الطاقة الكافية لتنبيهه على  
أنه لم يعد يجمعها نوناً واحدة كما كان، وكم تمنى لو تجمعها  
من جديد، لو أن لها الحق في لملمة شتات روحها بين أحضانها،

مرة واحدة وحسب وتقسم أن تنساه بعدها، لكن ذاك ليس من حقها، ولن يكون يوماً كذلك!..

آثرت الصمت ووافقته على الرحيل ..

أوصلها الى منزلها، طيلة الطريق والصمت هو سيد الموقف، يسترق نحوها بعضاً من نظرات الحنين، ليجدها تطالع الطريق شاردة الذهن والقلب، يعلم فيما تُفكر ولا يقو على التصريح به، يقرر أن يتحدث أخيراً عندما اقتربا من الوصول، فقال :

\_ البقاء لله..

ردت بفتور : سعيكم مشكور ..

\_ ممكن نتكلم ؟

نظرت له دون أي تعبير على وجهها ..

\_ مش دلوقتي، أنا مش عديم الإحساس للدرجادي، بس على الأقل اديني أمل ..

سألته مُقاطعة : هتجوزوا؟؟

أجمه سؤالها فصمت ولم يعقب وفهمت هي أن نعم ..

أردفت : كويس إنك علي الأقل هتصلح غلظتك

\_ملاذ؟!\_

أكملت دون أن تنظر إليه:

\_ويمكن في يوم تحبها..\_

قاطعها على الفور حيث قال بصوت صادق:

\_أنا بحبك إنتي ياملاذ!

اهتز قلبها بين أضلعها وهو يحتضن نغمات صوته، رغماً عنها  
التفتت تصرّحه داخل ثنّايا روحها المهترأة، لكنها أظهرت له  
الامبالاة وهي تقول :

\_هه، كتر خيرك ..\_

وصلا المنزل عند تلك النقطة لتنزل مسرعة تتهرب من كلماته  
التي كادت تخرج فتضعف عزيמתها أمامه، ضرب المقود بغضب  
العالم أجمع لهروبها قبل أن تسمع كل ما لديه...

دخلت المنزل حزينة على الحال التي وصلت إليها، ستعيش هنا وحيدة على ما يبدو، وهي الفتاة التي طالما لعنت الوحدة، يبدو أن مخاوفنا تبرع دوماً في إيجاد طريقها نحونا!

دخلت غرفة والدتها وظلت تبكي بين أغراضها، تمت في تلك اللحظة رغماً عنها وعن إيمانها بقضاء الله وقدره لو أن الله أطال في عمرها بضعة أيام، بضعة أيام وحسب لتبكي فيها أحزانها داخل أحضانها الدافئة، عوضاً عن بكاء غيابها الأبدي فوق بقايا أغراضها الباردة، كقلبها الذي يرتجف وحدةً وألماً...



لم تذهب للجامعة طيلة الأسبوع، أدهم يشعر بالقلق الكبير عليها وكل يوم يمر يتمنى أن تأتي فيطمئن عليها ولو بنظرة، ولكنه دوماً يشبه سابقه الذي غابت فيه ..

أوقف قمر يوم الخميس خجلاً فنظراتها له توحى أن ملاذ قد أخبرتها بكل شيء ولكنه بحاجة للاطمئنان عليها، قال : لو سمحتي يا آنسة ممكن اطمن منك على ملاذ..

نظرت له وقالت بتهكم :

\_ متقلّش يا دكتور هيا بس حزينة على وفاة والدتها .

\_ يعني هيا كويسة، حد زعلها أو اتعرضلها؟؟

\_ متخفش، ملاذ مش ضعيفة للدرجادي...

الواقع أن ملاذ كانت قد تغيبت لأنها كانت تبحث عن عمل تستطيع به أن تتكفل بمتطلبات حياتها وكونها طالبة قد وفر لها فرصاً كثيرة للعمل واستقرت في النهاية على العمل، وجدت وظيفة خالية لا تناسب تخصصها ولكنها على الأقل توفر مبلغاً يكفيها ويكفي متطلباتها، وفقت هي بين مواعيد عملها كمُساعدة في أحد مراكز الدروس الخصوصية، وبين مواعيد محاضراتها داخل الجامعة، وبذلك سيمتلئ يومها ولن تشعر بالوحدة ولن يسيطر عليها عقلها المفكر، فلم يعد لديها وقت للتفكير على اية حال ...



في بداية الأسبوع الجديد ..

\_ خلاص بقى يا أمي مش كل شوية تفكريني

\_ دي حاجة مينفعلش تنساها، فرحك يوم الخميس خذ الأسبوع ده

اجازة

تأفف أدهم ورد :

\_ اللهم طولك يا روح، أنا مش هاخذ إجازة لا دلوقتي ولا بعدين  
ومش هضيع آلاف الطلاب عشان السنيورة

\_ السنيورة دي انتا اللي دبست نفسك فيها مش أنا والله

\_ لو سمحتي يا أمي الكلام انتهى، مفيش إجازات إن كان عاجبها  
..

ردت بحنو :

\_ كل دة عشان تشوفها ؟

تغيرت ملامح وجهه، قلبه يكاد ينفطر ولا أحد يشعر به، لايقو على  
الزواج بغيرها .. لقد عشقها حقًا ولا يستطيع أن يحيا بدونها فماذا  
عساه يفعل ..

\_ لسة مصمم إنك ورننا هتعيشوا معايا هنا ؟

\_ آه، الشقة اللي فوق دي شقة ملاذ ومحدش هيدخلها غيرها . عن  
اذنك عشان اتأخرت عن الجامعة ..

تركها وغادر لتقول هي :

\_ كان نفسي أشوفك بتحب حد ومتعلق بيه ولما حصل ضيعتها منك، بس أنا حاسة إن فيه حاجة غلط في الموضوع ده كله ..



دخل القاعة باحثاً عنها بعينيه، لم يرها لمدة أسبوع كامل وقد أحرقه الشوق، وجدها تجلس في مكانها المعتاد بكامل قوتها وضعفه، لاحظ أنها ترتدي ثوباً رسمياً لاق بها كثيراً، شرح محاضرتة وتعمد لفت نظرها إليه من خلال طرح الأسئلة المفاجئة أثناء الشرح وهي كانت تجيب بطريقة رسمية جادة خالية من أي مشاعر ونظرات مما ألم قلبه.

أنهى شرحه وغادر القاعة يجر أذيال الحنين، أما هي، فبمجرد أن غادر طيفه باب المكان خلعت عنها رداء القوة ليظهر ضعفها متجلباً داخل مقلتيها التعبتين من فرط البكاء.

في نهاية اليوم كانت قمر تسير معها قائلة :

\_ أنا مقولتلوش انتي كنتي غايبة ليه ..

\_ مش عارفة لسة شاغل نفسه بيا ليه هو خلاص هيتجوز .

\_ فرحه يوم الخميس على فكرة ..

ابتلعت ملاذ ريقها بصعوبة وقالت : ربنا يفرحه .

\_ لسة بتحبيه يا ملاذ، أنا عارفة .

توقفت عن السير وقالت :

\_ قمر، ياريت كلامنا عنه ميتعداش مجرد كلام عن دكتور جامعة،

دي العلاقة الوحيدة اللي بتربطني بيه دلوقتي واللي أتمنى إنها

تنتهي بسرعة ..





(10)

دخلت مركز الدروس الخصوصية والذي يسمى التفوق، أقلت التحية على الفتاة التي وجدتها تجلس خلف مكتب هناك قائلة :

\_ السلام عليكم يا آنسة، أنا ملاذ السكرتيرة الجديدة .

نظرت لها الفتاه مبتسمة وقالت :

\_ أهلا وسهلاً بيكي أنا نورا سكرتيرة مستر عادل، حضرتك هتتعيني سكرتيرة عند مستر سعد، هو لسة مجاش تعالى معايا أوريكي مكتبك وأفهمك شوية في نظام الشغل ..

ذهبت معها وسرعان ما أملت بكل شيء، ستلمت مكتبها وجلست عليه ترتب أمورها .

دخل رجل الغرفة التي تجلس بها وكانت هي تعمل على الحاسوب فانتبهت لتجده يقف أمامها ينظر لها باستغراب، نهضت من مقعدها متسائلة :

\_ مستر سعد ؟

أوماً برأسه وقال : السكرتيرة الجديدة ؟

\_اسمي ملاذ يا فندم

تأمل هو وجهها مبتسماً ثم أضاف : تشرفنا ..

معاكي مستر سعد شريك أساسي في المركز والكل في الكل هنا.

ابتسمت له مجاملة، يبدو رجلاً مرحاً، تعتقد أن عمره يقارب عمر أدهم، لكن هذا الرجل المائل أمامها مُختلف بعض الشيء، تكاد تجزم أنه هرب من إحدى البلاد الأجنبية بعيونه الملونه هذه وشعره الكستنائي، شتان بينه وبين ذاك الأدهم العربي الأصيل!.

مر اليوم الأول على ملاذ بسلام رغم أنه لم يخلو من نظرات سعد لها والتي لم تلاحظها هي، كل ما كان يشغلها هو " يوم الخميس" وكيف ستستطيع تجاوزه بسلام، أيقنت هي أن بتحديد موعد زواجه صار من الماضي ويجب أن تنساه، ولكن كيف ذلك وهي تراه يقفد في حاضرها كل يوم ؟

عادت إلي المنزل شاردة به، لم لا تزال على عهدا في التفكير به رغم خيانتته الصريحة لها؟! ماذا ستجد دافعاً أكبر من هذا لنسيانه؟

تفاجأت به جالساً عند باب منزلها مريحاً رأسه للخلف ويبدو أنه نائم، نظرت في ساعتها لتجدها الحادية عشرة والنصف مساءً، ما الذي يفعله هنا في هذا الوقت؟ جال في خاطرها أن هذا أول يوم تخرج فيه من المنزل مساءً منذ وفاة أمها، أهذا يعني أنه يأتي إلي هنا كل يوم؟؟؟

شعرت للحظة بالشفقة عليه فأيقظته بهدوء قائلة : أدهم، أدهم اصحى !

استيقظ هو واستغرب من وجودها أمامه مرتدية نفس ثياب الصباح، قال متفاجئاً :

\_\_ انتي بتعملي ايه هنا دلوقتي ؟

\_\_ السؤال ده أنا اللي أسأله، انتا هنا بتعمل ايه ؟

لم يدر بماذا يرد، كان يظنها بالداخل بسبب الأضواء المضاءة وصوت التلفاز المنبعث، هو يأتي كل ليلة إليها وينهض في الفجر يصلي ويدعو ربه أن يعيدها إليه ثم يعود إلي منزله دون ان تشعر أمه، لكن هذه الليلة قد فُضح أمره أمامها ..

نظر لها وقال بتردد :

\_\_ بظمن عليكي، مكنتش أعراف إنك برة .

سألته قبل أن تتردد : انتا بتجي هنا على طول ؟

ليرد بصدق: مش قادر أستوعب إنك بتباتي لوحك ومش بيجيلي نوم يا ملاذ .

أحرقت كلماته قلبها، وتعذبت روحها للصدق الظاهر في عينيه، إن كان حقاً كما يدعي فلم أقدم على ما أقدم عليه؟ لم خط بيديه كلمة النهاية لقصتهما معاً، وقبل \_ حتى \_ أن تبتي؟! ..

\_\_ لا اظمن يا أدهم أنا كويسة وأقدر أحمي نفسي كويس، في الأول وفي الآخر أنا مش أول بنت تقعد في بيت لوحدها.

سعد لسماعه اسمه منها من جديد فقال :

\_\_ طيب ممكن أعراف كنتي فين؟!!

تنهدت قائلة : شيء ما يخصكش .

لمح هو بعض الأوراق و الدفاتر في يدها مكتوب عليها بخط عريض جدا " التفوق " نظر لها مصدوماً وقال :

\_\_ انتي بتشتغلي؟؟

\_ ومالك مصدوم أوي كدة أومال هعيش منين، وبعدين أنا بشتغل في سنتر دروس مش شغل مهين يعني ..

مجرد الفكرة أنها تعمل من أجل الحاجة مزقت قلبه، كيف يتركها هكذا وكيف تتحمل رجولته حاجة حبيته ؟ نظر لها متألماً وهي لاحظت ذلك فقالت :

\_ لا لا ماتخدكش الشفقة أوي كدة، الأمور تمام الحمد لله

\_ دي مش شفقة يا ملاذ، ملاذ أنا بحبك فاهمة يعني إيه بحبك؟!!

نبض قلبها فأسكتته قائلة :

\_ آه... منا شوفت حبك ده بعيني .

تألم ورد :

\_ صدقيني أنا مش فاكِر أي حاجة، ليلتها أمي طلبت مني أروح اجيب الزفتة رنا من عند واحدة صحبتها، جبتها وكل واحد دخل أوضته ينام وفجأة صحيت على صوت صريخها وهي جمبي بالمنظر المقرز ده، والله ما فاكِر أي حاجة تانية غير كدة مش عارف جيت أوضتي إزاي أو اللي حصل ده حصل إزاي أنا هتجنن أنا كاني كنت شارب حاجة ..

شعرت بصدق كلماته ولكن بما يفيد الآن، قالت متألّمة :

\_ بس هتتجوزها يا أدهم، هتتجوزها وتنساني .

\_ أنا عمري ما أقدر أنساكي، أنا متعلق بيكي من يوم ما شوفتك

وما صدقت قابلتك تاني، ملاذ أنا من غيرك أموت .

ازداد ألمها حدةً وتحول إلي بكاء صامت، نظرت له وقالت :

\_ انساني يا أدهم وأنا هحاول انساك، افتحلها قلبك وعيش حياتك

هيا بردو بتحبك حاول تحبها .

وصل به الضعف ذروته وقال :

\_ يعني مش هتتجوزيني؟!!

ضحكت هي والدموع تجري على خدها في مشهد متناقض وردت

:

\_ هوا انتا لسة عندك أمل؟!!

أرجوك امشي من هنا وحافظ على علاقتنا علاقة طالب ومعلم لا

أكثر ولا أقل .

نظراته الضعيفة قتلتها، هي لا تحب أن تراه بهذا الضعف ولا تحب أن تذله ولكن ليس بيدها حيلة، لن تتحمل فكرة أن تشاركها فيه امرأة اخرى .. هي أحبته بصدق وما من امرأة تحب تسمح لأنثي بأن تمس حبيبها ..

قال مستسلماً :

\_ ممكن طلب قبل ما امشي وننهي كل اللي بينا؟!!

ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت : اتفضل

\_ احضنيني!!..

بكت إثر كلمته، هي أشد حاجة منه لذاك العناق، تحتاج أن تشعر بدفئه ولو مرة واحدة، قبل أن يصير من نصيب غيرها وإلي الأبد، اقتربت منه حذرة وهي تطالع عيناه اللاتي ارتسمتا بمشاعر الحب والحنين، صارت على بُعد خطوة، خطوة واحدة تفصلها عنه، استطاعت بهذا القرب أن تستنشق عطره الخاص ليحتل رئتيها، فتحت عينيها وكأنها تسترد وعيها؛ لن تسمح له أبداً أن يدنس روحها العارية بهذا العطر كما فعل مع سواها!..

تراجعت الخطوات التي سبق وتقدمتها تجاهه، لتلمح نظرة الحزن والخيبة تعود لتحتل تفاصيل وجهه من جديد، رفعت يدها على قلبها النابض بحبه رغم خيانتته، تُحاول إسكاته، ترجوه أن يتفهم أنه ليس لها، وأنها من المستحيل أن تنجرف خلفه نحو التهلكة..

ابتسم أدهم رغم حزنه، يكفيه على الأقل أنها حاولت، يكفيه أنها وقفت هنا، على بُعد خطوة واحدة عن جسده المُلتاع بحبها، المشتاق لقربها.

طالعتها بذات النظرة الحزينة، لكنه ابتسم رغم مرارة الابتسامة على وجهه وقال:

\_ يكفيني منك رغبتك، لوحدتها ترضي قلبي وتفويض....تصبحي على خير يا ملاذي! ..

وقفت هي تراقب رحيله وقلبها يتمزق عليه، لقد اشتاقت قربه، حديثه، نظراته ..ووصلت على كل ذلك منه ولكن بصورة أخرى، كان قربه ضعفاً وحديثه ألماً ونظراته استسماح، كم ألمها قلبها على حاله ولكنها صدقاً لا تستطيع، حتى إن سامحته على ما فعله لن تقدر أن تشاركه امرأة غيرها..





(11)

مر الأسبوع على نفس الوتيرة، أدهم يسترق النظرات لها في الجامعة وهي تتجنبه، سعد يتقرب منها ويحاول أن يحدثها لأطول وقت ممكن بحجة العمل، ورنا تستعد للزفاف وهي فرحة بأنها أوقعت حبيبها أخيراً، كلٌّ في فلكه يسبح تاركاً القدر يتولى دفة قيادة أيامه، عله يوماً يرسو به على ما يُريح قلبه.

أوقفها وهي تمر بجواره يوم الأربعاء، انتظر مرورها طويلاً حتى يحدثها، ناداها قائلاً :

\_\_ ملاذ ممكن نتكلم ؟

دخلت معه المكتب خشية أن يلاحظهما أحد، يكفيها السخرية التي تلقتها بعد إعلان خبر زواجه من ابنة خالته والشائعات التي ترددت عن تلاعبه بها .

وقف بالقرب منها، القرب الذي جعلها تستنشق عطره ولكنه كان عطراً آخر لم تحبه، نظر لها بعمق وقال : فرحي بكرة ..

ردت بتهكم : مبروك يا دكتور

**\_ هتيجي؟! \_**

**\_ طبعاً متوقع مني إني أنهار وأقعد في بيتي أعيط، لكن لاء، مش ملاذ اللي تسمح لنفسها بالضعف ده.**

**\_ ياريتك تنهاري، ياريتك تحسي بربع اللي أنا حاسه دلوقتي، يمكن ساعتها ترجعي لمكانك الطبيعي، اللي اتخلقتي عشان تسكنيه.**

**\_ دكتور أدهم، من فضلك إزم حدودك..**

**اقترب منها أكثر يطالع كحيلتيها الدامعتين، قال بلووعة:**

**\_ كنت خلاص مرتب نفسي إن مفيش أي حدود هتفصل ما بينا، كانت أيام قليلة أوي يا ملاذ، أيام قليلة وتتلغي كل الحدود.**

**\_ وانت بإيدك زودتها، بإيدك كتبت إنها مش هتتشال لآخر العمر!**

**تنهد من أعماق قلبه وهو يتراجع عنها، معها حق، هو الجاني الوحيد هنا، وهو المجني عليه كذلك!**

**راقبته وهو يمسح وجهه بباطن كفه، لقد تغيرت هيئته كثيراً، يكتسي وجهه بالتعب، وتحتل الهالات السوداء أسفل عينيه الحبيبة، جسده فقد بعضاً من وزنه، وذقنه غير حليقة أو منمقة على غير العادة، دوماً كانت تراه شاباً في العشرين رغم عمره**

الذي تجاوز الثلاثين بخمس سنوات، والآن فقط تراه كهلاً فقد من الحياة ما أرخى أكتافه ضعفاً.

قالت وهي تسحق قلبها تحت قدميها:

\_ دكتور أدهم عاوزة أقولك حاجة، مجرد ما هتتجاوز معدش ينفع نتقابل ولا نتكلم، متخونهاش يا دكتور لأنني عارفة وجع الخيانة عامل ازاي، أنا لازم امشي دلوقتي عشان اتأخرت على شغلي، مبروك يا عريس ..



دخلت مكتبها شاردة وشعرت أن الدنيا تدور بها، لم التقت به إذاً وهو ليس من نصيبها؟ لم تعلقت به الى هذا الحد؟ هي لاتستطيع تخيله معها، هو لها، هو حتماً لها .. أليست هي التي تشغل فكره وقلبه؟ إنها أحق امرأة به في هذه الدنيا كلها، مهما حدث ومهما كانت دوافع هذا الزواج اللعين..

اللغة عليها وعلى قلبها الذي يصر على توريطها في حبه المستحيل!

قالت في النهاية :

\_ انتي غبية يا ملاذ، هو هيتجوز ومع الوقت هينساكي، قصتكوا  
خلاص وقفت لغاية هنا.

دخل سعد حينها حاملاً حقيبة هدايا ووضعها أمامها مبتسماً، نظرت  
له مستفهمة فقال :

\_ من ساعة ما جيتي هنا وانتي شكك زعلان كدة ومتضايق،  
وعرفت كمان من نورا إن والدتك لسة متوفية، فحببت، أفرحك...  
أتمني الهدية تعجبك ..

تركها وذهب ليباشر عمله، فتحت الحقيبة مترددة لتجد بها باقة  
ورود جميلة للغاية وبجوارها صندوق مليئ بكافة انواع الشيكولاه  
التي تعشقها أي فتاه، فرحت بالفعل من لفتته الطيبة وقررت أن  
ترد له الهدية، هي لم تعرف لم يفعل ذلك ولم يخطر ببالها قط أنه  
بدأ ينجذب إليها ..



في اليوم التالي

\_ ألو مستر سعد، بعذر عن الشغل النهاردة لأن عندي مناسبة.

\_\_ سبحان الله كنت لسة هكلمك وأقولك إننا إجازة النهاردة، امبارح  
اتلبخت ونسيت أبلغك، المهم عجبك الهدية؟!!

\_\_ اه جميلة يسلم ذوقك، عن اذنك دلوقتي ..

أغلقت الخط وهي تشعر بالضيق ولا تدري السبب، لم تهتم، وليس  
من المفترض أن تهتم بأي شيء اليوم سواه؛ جرح قلبها الغائر  
والذي يقطر ألماً مذ فتحت عينيها وأدركت أن يوم الفراق الرسمي  
قد حل.

نهضت لتعد ما سترتيه في عرس حبيبها الأول و الأخير، كانت  
تملك فستاناً أحمر اللون منفوشاً كفساتين الأعراس، أهدتها إياه  
خالتها المسافرة في الخارج، مزدان بورود صغيرة حمراء أيضاً  
من على صدره وأكتافه، وجدت فيه ثأرها لأنوثتها المغتالة، قررت  
ارتدائه مع حجابها وبعض المساحيق الخفيفة ..



يجلس في القاعة حزينا، الجميع يهنئونه وشكله يوحي أنه يتلقى  
التعازي لا التهنة، نبهته أمه عدة مرات لكن لا فائدة، رنا ترقص

مع صديقاتها مرتدية فستانها الأبيض العاري، نهض يجذبها  
لتجلس فقد صارت زوجته وهو لا يرض هذه الأفعال ..

وجدها تدخل القاعة وشعر أن الزمن توقف، مالها تزداد جمالاً  
يوماً بعد يوم وماله هو يزداد لها حباً وشغفاً، سارت إليه متأملة  
إياه، كم يبدو وسيماً في بدلة العرس هذه، تمننت لو رآته بها وهي  
تزف إليه، صدقا ألمها قلبها ولمعت عيناها بالدموع، انقضى زمن  
التمني!

\_مبروك يا أدهم! ..

لم ينزل عيناه الحزینتین عن عینيها القتيلتین.

رد بحزن عميق :

\_الناس وقت العزا مش بيقولوا مبروك ..

\_عزا إيه يا دكتور؟!!

\_عزا قلبي اللي من النهاردة مات ..

ابتسمت بتهكم وضعف وقالت:

\_ جرب تفرح زي عروستك، هتلاقي الموضوع سهل ومش مستاهل ده كله.

\_ شايفة يا ملاذ لابسة ايه وبترقص ازاي، بدمتك ده منظر واحدة مغت..

قاطعته سريعاً واضعة يدها على فمه وقالت :

\_ بس لاحد يسمعك

استغل هو الموقف والأضواء الخافتة استعداداً لرقصته مع رنا وقبل يدها الموضوع على فمه مغمضاً عينيه، ارتجف قلبها من فعلته وسحبت يدها سريعاً لتسمع منظم الحفل ينادي العروسان لرقصتهما ...

وقفت تراقب حركات رنا المستفزة، تعلقت برقبته كأنه سيطيّر منها واحتضنته عدة مرات وهي تضحك ضحكات عالية، في المقابل رأت يدا أدهم حول خصرها ولكنهما بعيدين عنها، كان يحتضن الفراغ وكلما التصقت هي به ظهر على وجه الامتعاض، من منهما هو المغتصب حقاً؟؟؟

فجأة وجدت من يحدثها قائلاً :

\_ ملاذي؟!... \_

التفتت لتجده سعد، قال وهو يداري انبهاره بجمالها:

\_ انتي تعرفي العروسة ؟

كذبت عليه قائلة : آه

\_ أنا ادتكم اجازة عشان أفضي نفسي لفرح أدهم، أدهم صديق

الطفولة وهو ونعم الرجالة، نظر اليها مكماً :

\_ تعرفي انه شريكي ف السنتر؟!!

انصدمت من كلماته كلها، لذلك علم أنها تعمل بمجرد أن لمح اسم

المركز على دفاترها، أومات لسعد وقالت بهدوء: وهو كمان

دكتورنا ف الجامعة..

كانت الموسيقى الرومانسية لاتزال تجوب أرجاء المكان، فنظر لها

سعد وقال مبتسماً :

\_ تسمحي لي بالرقصة دي؟

جراته صدمتها وهي ليست معتادة على هذا لكنها شعرت بالألم

عندما رأت أدهم في أحضان رنا وأرادت أن تذيقه من نفس الكأس،



واففته وذهبا يرقصان بجوار العروسين، احترق أدهم عندما رأى صديقه يحيط خصر محبوبته بيديه ناظرا في عينيها بعمق، تمزق قلبه وهو يراها في أحضان غيره وهي من المفترض ألا تغادر حضنه، حضنه هو بيتها ومأواها ولا يرضى بغيرها ساكناً ..

\_ تعرفي إنك أجمل واحدة ف الحفلة، أجمل حتى من العروسة!!

احمرت ملاذ خجلاً وقالت :

\_ شكرا يا مستر ده بس من ذوقك

ضحك قائلاً : اكثر مرة يبقى ذوقي حلو فيها ..

أخيراً لاحظت مغازلاته ونظراته، بدأت تفهم ما يجوب بداخله والأمر برمته لم يعجبها، فرحت لانتهاه الموسيقى بعدما أشار أدهم بنظره للمنظم أن كفى، تركته وابتعدت عنه وذهبت رقاداً حتى تغادر...

الأضواء لا تزال خافتة وكلها مركزة على مكان العروسان فحسب والذي كان خالياً، فرنا ترقص مع الفتيات من جديد وأدهم مختفي

..

شعرت بيد تجذبها فجأةً في مكان مختفى داخل القاعة بالقرب من الحمامات، ألقها بالحائط ووقف أمامها غاضباً وقال :

\_ ممكن أفهم أي اللي عملتية ده؟!!

نظراته غاضبة منذرة وصوته هادر، كم عشقت غيرته عليها وفرحت بوقوفها معه وحدهما، قالت :

\_ عملت ايه مش فاهمة؟!!

دب بيده علي الحائط بجوار رأسها وقال :

\_ والله ؟ ده انتي شوية وكنتي هتبقى في حضنه!

ردت غاضبة :

\_ وانتا مالك ومالي ولا عاوز تتجوز وتعيش حياتك وتربطني جمبك؟!!

\_ آه يا ملاذ هربطك جمبي ومحدث هيلمسك غيري واللي هيفكر فيكي هقتله فاهمة ..

\_ وأنا مش هسمحك تضيع الباقي من حياتي.

\_ ملاذ، دي مش أخلاقك، مش عشان تغيظيني تغلطي وتروحي  
تترمي جوا أحضان راجل غريب عنك، كدة انتي الخسرانة مش  
أنا.

زفرت خانقة وهي تتطلع حولها تخاف أن يراها، قالت بعناد  
شديد:

\_ أنا حرة، أحضن راجل قريب أحضن راجل غريب فأنا حرة!  
قالتها من وراء قلبها وأخلاقها الثائرة، حتى هي غاضبة مما فعلته  
بل وتشعر بأشد الندم، لكنه آخر من ينبغي أن تصرح أمامه بهذا.  
\_ وأنا أولى من الغريب يا ملاذ!

لم يُعطيها فرصة للفهم، إذ سرعان ما وجدت نفسها أسيرة أحضانه،  
تحترق بنيران قلبه الخافق بجوار أذنها تماماً!!

أكلتها الصدمة وهي تشعر به يشدد ذراعه حولها، عطره الأخاذ  
يداعب روحها ويوقظ الشوق داخلها، رغم ذلك عجزت عن  
الاسترخاء؛ هذه أحضانٌ مُحرمَةٌ ولا ينبغي لها من الأساس أن  
تتذوق طعامها حتى!

دفعته بكل قوتها بعيداً عنها لتتحرر من عناقه الحار أخيراً، وغضت طرفها عن قلبها الذي لم يغادر ذراعيه بعد.

قالت بضعف وقد بدأت دموعها تحفر مجراها على خديها:

\_ انتا بتعمل فيا كدة ليه؟! سبني أنساك وأكمل حياتي أرجوك كفاية لغاية هنا ..

\_ مش هتقدري وهفضل انظلك ف كل مكان يا ملاذ ومش هسمحك تتسيني، وبلاش تخليني أخسر علاقتي بصاحبي الوحيد..

دفعته بعيداً وغادرت راقدة، لا تعلم هل تهرب منه أم من قلبها الخائن..



## (12)

دخل أدهم منزله خلف عروسه المُنهكة من فرط الرقص، ذهبت أمه للمبيت عند أختها هذه الليلة فهما سيعيشان معها في نفس الشقة وأردات أن تتركهما على راحتهما أول يوم...

دخلت رنا متأففة فقد أرادت أن تسكن في شقة بمفردها ولكنها صبرت قائلة لذاتها :

\_\_ واحدة واحدة مفيش حاجة بتجي مرة واحدة ..

ذهب هو للحمام ليبدل ثيابه متجاهلاً ندائها عليه، جلس على حافة البانيو متذكراً ملاذه، متألماً من انغلاق باب واحد عليه مع غيرها، انتهى وخرج ليجد رنا ترتدي ثياب نوم فاضحة وتجلس ناظرة اليها نظرات ذات معنى قوي!..

أشاح ببصره عنها مخافة أن تتمكن منه ومن مشاعره الخائرة،  
قال بحزم :

\_ اسمعيني كويس بقى يا هانم، جواز واتجوزنا أهو، لكن فيه كذا  
حاجة كدة هنتفق عليهم، مفيش أي اختلاف هيحصل عن علاقتنا  
قبل الجواز ببعض وأظن كلامي واضح فأحسن لك تغيري القرف  
اللي انتى لابساه ده، واعلمي حسابك جوازنا مش هيطول عشان  
أكون سترت عليكي زي ما طلبتي وتقدرى تتجوزي غيري ..

شعرت أنها تتلقى أكبر صدمات حياتها، زوجها يمتنع عنها وهي  
التي اعتادت رؤية الرغبة في عيون كل من ينظر إليها من بني  
جنسه، شكت للحظة في رجولته، ثم أي طلاق الذي يتحدث عنه؟!  
ستقتله قبل أن يفعل، هي لم تخطط لكل هذا حتى تصل لهذه الحال  
..

قالت منفعلة :

\_ ايه الهبل اللي بتقوله ده؟! انت أكيد اتجننت.

كان رده أن صفعها بقوة، ادهم الذي عاش عمره يلعن من يرفع  
يده على امرأة يسخر منه القدر ويدور دورته به حتى يفعلها هو  
الآخر، لكنه معذور، أعصابه مشدودة كلياً ويشعر بالغضب الشديد

من هذه المخلوقة أماء، يراها سبب تشتت حياته ولا يقتنع البتة أنه الجاني، لم ير في حياته كلها جانباً يمتنع، ومجنياً عليه يُقدم، وبشدة!..

هدر قائلاً:

\_ آخر مرة تتكلمي معايا بقلّة احترام، يلا اتخمني !

غادرها على الفور لينام في غرفة والدته، بينما قضت ليلتها تلعن حظها وغبائها الذي صور لها أن خطتها ستكتمل اليوم.



صباحاً حضرت سمية وبرفقتها أُبنى كزيارة مُعادة للعروسين صبيحة عرسهما، ثرثرت رنا بما لاينبغي وذكرت لهما ما فعله أدهم، توقعت أن تتأّر خالتها لها، خاصة مع استخدام سلاحها الباطل بذكر حادثة اغتصابه لها، لكنها فاجأتها بموقفها الحازم إذ قالت بغضب:

\_ الست اللي تطلع أسرار بيتها برا متستحقش إنها تقعد فيه لحظة واحدة، احترمي خصوصيات بيتنا وإلا قسمًا عظماً همنع أي حد من زيارتك..

صدمت لبني بكلام شقيقتها وقالت:

\_\_ مالك طايحة في البت كدة ليه هيا عروسة وبتشتكيلنا ..

\_\_ البيت ده ليه نظامه يالبنى، ومش هسمح لحد إنه يتجاوزه أبدا!



كان ادهم يجلس في غرفة مكتبه داخل المنزل، كان قد اكتفى باستقبال خالته وأمه وسرعان ما انزوى في ركن عزلته، قطع تفكيره طرقات والدته ودخولها، نظرت له حزينة وقالت :

\_\_ لما انتا مش طايقتها أوي كدة عملت اللي عملته ده ليه؟!!

\_\_ أنا مش فاكر إني عملت حاجة أصلا بس خلاص اتدبست .

تنهدت ونظرت له قائلة :

\_\_ انتا ماشي ف طريق غلط، يا اما تتجوزها يا اما تنساها .

فهم أنها تتحدث عن ملاذه، بالله كيف تطلب منه نسيانها؟

\_\_ ملاذ ست البنات ويستحيل اتجوزها وأنا على ذمتي واحدة تانية

\_\_ يعني فعلا ناوي تطلق رنا؟!!



\_ هي لحقت تقولكم؟!\_

آه يا أمي هطلقها وهتجوز ملاذ قبل ما حد غيري يدخل حياتها ..  
تركته وغادرت بعدما عرفت أنه لا فائدة من مجادلته، كما أن جزءاً  
كبيراً داخل قلبها يتمنى فعلاً لو أنه تزوج بملاذ وليس برنا .. جلست  
لبنى مع ابنتها تعطيها بعض التوصيات لتجذب زوجها لها وهي  
تظن أن قلباً دخله الحب من الممكن أن يغير موقفه بسبب بعض  
الحركات الرخيصة من ابنتها ..



على مكتبها في مركز التفوق، قبعت تقوم بمهامها سارحة البال  
تفكر فيه رغماً عنها وفيما دار بينهما ليلة البارحة في عرسه،  
ابتسمت لجرأته وصدقه في حبه ثم سرعان ما تغيرت ملامح  
وجهها، أدركت أن لا فائدة من هذا الحب ولا من الخوض فيه،  
خاصةً وأنه صار لغيرها، ومهما كانت تحمل من ضغائن تجاه  
المُسماه زوجته، إلا أنها من المستحيل أن تسبب لها أي أذى مهما  
كان بسيطاً عن طريق التعلق \_ ولو بطيف أمل كاذب \_ بزوجها.

دخل سعد قائلاً :

\_ الجميل سرحان في إيه؟!!

انزعجت حقاً من تجاوزه في الكلام معها فاكتفت بإيماءة برأسها  
وقالت له بعض الملاحظات عما ينتظره خلال اليوم وأسماء الطلبة  
الجدد وغيرها من الأمور، وجلس هو يخبرها أن تعد له اختباراً  
شهرياً في مادته وأعطاه الملاحظات لذلك ..



صباح اليوم التالي في الجامعة

نهضت ملاذ لمغادرة القاعة ظناً منها أن محاضرة أدهم ملغية، لكن  
قمر تبعها لتوقف رحيلها قائلة وهي تلهث : الحقي، ده جه !!

\_ هوا مين ده ؟

وجدت قمر تنظر خلفها مشيرة بعينها فاستدارت لتجده واقفاً خلفها  
يريد دخول القاعة، شعرت بنبضات قلبها تضرب لتعيد سيطرتها  
عليها سريعاً، لكنها قالت مندهشة : أده.. احم دكتور أدهم؟! .

\_ ممكن أدخل ؟

تحت الفتاتان جانباً والدهشة تعتريهن، أي عريس هذا الذي يأتي  
ليحاضر طلابه بعد يوم واحد من عُرسه؟؟

لا تدري لم ولكن وجوده أسعدها، ألقى التحية عليهم وشرح  
محاضرتة ولاحظ هو علامات الدهشة على وجوههم ونظراتهم  
المتنقلة فيما بينه وبين ملاذ مما ضايقه كثيراً ..

انقضى اليوم الدراسي حاملاً معه الكثير من النظرات المُسترقة في  
الأروقة التي جمعتها صدفةً عدة مرات، وكان كلُّ منهما للآخر  
مغناطيسٌ قوي، لا يجوز أن يمر عليه دون أن يطالعه!

كانت تستعد للمغادرة حتى تذهب لعملها لتتفاجأ به يتوقف بسيارته  
أمامها، نظر لها وقال باقتضاب:

\_ اركبي .

\_ أفندم؟!!

\_ بسرعة قبل ما حد ياخذ باله.

ركبت مرغمة فوجدته يقود في طريق غير طريق مركز التفوق،  
قالت منبهة :

\_ أنا كدة هتأخر عن شغلي .

\_ ياريت، ممكن وقتها تطردي منه وأرتاح.

\_ أدهم؟!!!

\_ ممكن أفهم ايه اللي بينك وبين سعد؟

\_ تاني سعد؟! هيكون ايه اللي بينا يعني يا أدهم؟

نظر لها غاضباً وقبضتاه تعصران مقود السيارة المسكين ورد:

\_ سعد عاوز يخطبك يا ملاذ، مكلمني النهاردة مخصوص يباركلي

ويقولي إنه هيحصلني قريب، وقال إنك العروسة!..

اندهشت من كلامه فهذه أول مرة تسمع به، توترت لتقول بخفوت

:

\_ وفيها إيه يعني؟! مهو طبيعي اتخطب واتجوز

قاطعها غاضباً :

\_ ببساطة كدة؟!!

\_ آه يا أدهم، بنفس البساطة اللي اتجوزت انتا بيها .

نظر لها بضعف يرجوها بعينيه ولكن نظراتها كانت تحمل القرار

النهائي ..

\_ يعني ده آخر حاجة عندك يا ملاذ؟!!

\_ إن مكنش سعد هيكون غيره، دي حياة وطبيعي جداً إنها تمشي.

\_ لما هي طبيعي إنها تمشي، ليه حياتي وقفت من بعدك؟!!!

ارتجفت روحها بمكانها المجهول داخل جسدها، حاولت أن تتماسك، ألا يظهر عليها ضعفاً، وألا تنساق وراء حلو كلامه.

قالت بهدوء:

\_ حتى لو واقفة جواك، فترس الحياة براك داير بشكله الطبيعي، حاول تمشي تروس قلبك زي ما تروس الواقع حواليك ماشية.

تنهد بألم، يرفض ردودها شديدة البرودة والعملية، حاول استعادة زمام الأمور فقال:

\_ اللي تشوفيه يا ملاذ، بس وجب تنويهك إن تروس قلبي يستحيل تدور لحد غيرك.

قال كلامه الأخير منهيًا الحوار، شعرت بالألم يغزو قلبها إثر كلماته، إلى متى ستظل تعاند قلبها وتخدم صرخاته؟ ها هو يتقافز أمامها بشكل شبه يومي صارخاً بحبه لها منذ تلك الحادثة اللعينة، يتغاضى عن عمره الراشد، وعن مهنته الوقور، يخلع كل ما يقيد

تصريحاته ليقف أمامها عارياً لا يرتدى سوى حبه، فلا تمتلك من أمرها رداً سوى الصد والعدول.

أوصلها المركز وقبل أن تنزل قال :

\_ أوعدك إني مش هزعجك تاني وهتبقى بالنسبالي مجرد طالبة عندي، بس موعديش إني هبطل أحبك، مع السلامة يا ملاذي ..

"ملاذي" .. لم ينادها أحد بهذه الصيغة من قبله ولا تظن أن أحداً غيره سيفعل، هو الوحيد القادر علي إشعارها أنها أعلى امرأة في الكون، هو أول من سكن قلبها وحرّم سكناه على غيره، هو الوحيد والأول، وهو الأخير!! ..



عرض عليها سعد الزواج فتوترت وطلبت منه مهلة للتفكير ولم يعترض هو ..

أخبرت قمر بما حدث لتنصحها الأخيرة أن تفعل ما تراه صواب، ولكنها صدقاً مشتتة ولم تعد تستطيع التفريق بين الصواب والخطأ

..

مر أسبوع وأدهم على وعده، لم يعد يظهر مشاعره وبات يعاملها كباقي الطلاب حتى اقتنعت أنه نساها وكم ألمها ذلك، هي تريد الابتعاد عنه ولكنها لا تتحمل ذلك، كل نظراته وكلماته تغيرت وحل محلها الرسمية وصار وجهه معظم الوقت جامداً بدون مشاعر، وطيلة هذا الأسبوع وسعد ينتظر ردها تاركاً لها فرصة التفكير الدقيق ..

استيقظت مساءً تعباً للغاية تتنفس بصعوبة وتشعر بسخونة جسدها، نهضت متثاقلة وأخذت أدوية لنزلات البرد وخافض للحرارة ولكن ظل التعب متمكناً منها حتى غطت في النوم من جديد .

### (13)

ذهبت للجامعة في اليوم التالي باديًا على وجهها الانهك، حضرت بعض محاضراتها متعبة وقمر تطالبها بالرحيل ولكنها ظلت تقاوم وقبل المحاضرة الأخيرة ذهبت لادهم لتستفسر منه عن شيء في بحثها ..

دخلت ملقبة التحية، انقطع الكلام بينهما في الفترة الأخيرة حتى باتت تنتظر رد التحية بشوق كبير ، قالت وهي تطالع وجهه الذي لم ينظر إليها : لو سمحت يا دكتور ممكن سؤال؟! ..

كان منهمكًا على حاسوبه، شعر بها تدلف لمكتبه واقتحم صوتها عالمة كما اقتحمت هي قلبه وهو يحاول تجنب أي فرصة تتواجد هي معه في مكان واحد، يقتله الشوق وهي لا تشعر، يكاد ينفذ مخزونه من جهاد النفس في حضرتها وهي لا تعلم، يود كثيرًا لو



يجتذبها لأحضانها من جديد، وهي الحمقاء تقف أمامه بكل بساطة  
دون أن تعي بنيرانه المستعرة بسببها.

قال متجاهلاً إياها :

\_ معلى يا ملاذ، وقت تاني مش دلوقتي ..

لم يسمع ردها فظن أنها غادرت، وكان هو لا يزال يعمل على  
الحاسوب، أدار بصره ليراهها قد سقطت على أحد كراسي المكتب  
فانتفض من مكانه فزعاً وهو يقول : ملاذ؟!!!

أسرع نحوها، جلس بجوارها ملهوفاً والتقط جسدها يعدل من  
وضعيته، بمجرد أن لمسها شعر بحرارة جسدها فزاد فزعه وهزها  
قائلاً : ملاذ، ملاذ فوقى! ..

لم تستجب له، رأى جبينها يفرز العرق بغزارة وأنفاسها تتسارع،  
لم يشعر بنفسه إلا وهو يسكت خوف قلبه بضمها إلى صدره، لم  
يكن شوقاً ولا حباً بقدر ما كان خوفاً وقلقاً...



فتحت عيناها بضعف لتراه جالساً ممسكاً يدها، وبمجرد أن لمحت  
عينها الضوء تركها مرتبگًا وقال :

\_ حمد الله ع السلامة ..

\_ ايه اللي حصل؟!!

\_ عندك حمى، بلاش تهملني ف نفسك تاني .

نظرت له بشوق شديد، أخيراً رأت الالهة والحب والقلق في عينيه مجدداً، بادلها هو نظراتها بنظرات مختلطة تارة تكون جادة رسمية وتاره تكون نظرات عاشقة متيمة، هو يحارب حرباً ضروساً ضد نفسه وقلبه وفي كل الاحوال يجد نفسه خاسراً..

من ذا الذي ينتصر أمام الحب؟

فجأة سمعا صوتاً غاضباً يقتحم الغرفة و يصيح :

\_ بقى كدة يا أستاذ أدهم، بقى مهملني عشان الست هانم؟!!

التفتا ليجدا رنا تنظر لهما غاضبة، نهض أدهم وقال لها :

\_ ازاي تخرجي م البيت من غير إذني انتي اتجننتي؟!!

\_ والله عال كمان آخذ إذنك عشان أشوفك وانتا بتخوني؟!!

صاح أدهم :

\_ رنا احترمي نفسك أحسن لك واعرفي قيمتك قبل ما تتكلمي.

\_\_ طبعاً ما الست واكله قلبك وفكرك، ده انتا حتى استخسرت فيا  
أقعد ف شقة لوحدي كل ده عشانها مش كدة؟

تفاجأت ملاذ بما سمعته، هل حقاً لم يسكننا في الشقة التي من  
المفترض أنها شقة زواجه، أفاقت على صوته الهادر يقول محذراً:

\_\_ انتي تخرسي خالص وحسابي معاكي بعدين.

تصنعت رنا البكاء كعادتها الماهرة، نظرت لملاذ وقالت بضعف :

\_\_ ابعدني عن حياتي بقى حرام عليكى وسيبي جوزي ف حاله .

غادرت باكية وملاذ متألّمة وأدهم يقف متوتر الأعصاب مما قالته  
رنا، استدار لتلك التي طالعتة بنظراتها الحزينة، جلس على كرسيه  
من جديد ولم يجد ما يقوله، لتمسك هي بزمام الكلام لتبادر بقولها:  
\_\_ هي مغطتش.

\_\_ وأنا مش بخونها، ولو وافقتها على كلامها أبقى بطعن فيك انت.

\_\_ بس مجرد تواجدك معايا مؤذي ليها يا أدهم.

\_\_ تهملك مشاعرها أوي كدة!!

\_\_ يهمني الصح والغلط، وبس.

تحركت قدمه تدبب الأرض دون شعور أو إرادة، لمح بطرف عينيها حديث يود أن يأخذ حرите في حضرته لكنه يخشاه، تردد لكنه عاد وسألها:

\_ عاوزة تقولي إيه؟!\_

\_ سعد... اتقدملي!\_

أغمض عينيها وأخذ نفساً عميقاً، لم يأتيها منه رداً، لكن لغة جسده حملت ما لا يقوى اللسان على حمله من ردود، عروق رقبتة النافرة، وقبضته التي اشتدت حتى كادت تنفجر، إنتهاءً بجسده الذي انتفض واقفاً في مكانه ليقول مسرعاً:

\_ أنا هروح أجيب الأدوية!

غادر وتركها من خلفه تحتضن الفراغ الذي خلفه بعينيها، لا مناص من الاصطدام بصخرة الواقع، هي ليست في إحدى الأفلام أو الروايات التي يديرها الكاتب حسب رغبته، نعم هي البطلة هنا، لكنها لا تملك سوى الانصياع للقدر، اليد العليا التي تحرك الأمور حسب ما كتب لها أن تكون..

وهي، صارت تعرف أن تلاقي أقدارها به مستحيل.

فجاءة وجدته يدخل من جديد حاملاً كيساً شفافاً يحوى علب أدوية،  
قال :

\_ يلا عشان تروحي، الأدوية دي تخديها بانتظام لغاية ما تخفي  
..

كان يحدثها ولكن دون النظر اليها، نهضت هي وتناولت منه الكيس  
قائلة :

\_ مُتَشكِّرة ..

لم يرد عليها وتركها وغادر وهي تقف تراقب المكان الذي كان  
يحتضن جسده منذ قليل، كم يعتصر قلبها من الألم وكم رغبت في  
إنهاء كل هذا، ليذهب سعد ورنا للجحيم، تُدرك أنهما علاقيتين  
خاطبتين قذف بهما القدر داخلهما دون إرادة، لكن ماذا لو جرت  
الأمور بالروتينية التي اعتادتها في بلادها، ستخطب لسعد ولعلها  
تتزوجه أيضاً، سيرضخ أدهم للأمر الواقع ويتقبل زواجه برنا،  
سيفترقا وتنهال عليهما ضغوط الحياة التي تكاد تنسي المرء اسمه  
فينسيان ما كان بينهما بسهولة، ولعلهما يذكرانه يوماً ويضحكان  
على حماقتهما في الصغر وأنها كانت " لعب عيال " ..



\_مستر سعد، ازي حضرتك؟

\_ بخير الحمد لله، حببت أظن عليك بعد ما عرفت من نورا إنك  
تعبانة.

كانت تجلس في غرفة والدتها عندما وردها إتصال هاتفي منه،  
تنهدت وهي تتلمس قلقة عبر الهاتف، عليها الاعتراف أن  
شخصيته بها الكثير من صفات أدهم المحببة، لكنه قطعاً ليس هو!  
نظرت لصورة والدتها بجوار الفراش وردت:

\_ متقلقش، فيه تحسن الحمد لله ومن بكرة هرجع الشغل تاني،  
بعذر لغيابي اليومين دول.

\_ أهم حاجة تكوني كويسة.

صمت قليلاً ثم عاد يسأل في خجل:

\_ احم، فكرتي في اللي قولتلك عليه؟!!

ازدردت ريقها ضعفاً، كانت قد حسمت أمرها بالفعل لكن التصريح  
به بالغ الصعوبة، تكلمت بعد برهة:

\_ تقدر تجي تقابل عمي وقت ما تفضى.

تهللت أساريه وأطلق زفرة مرتاحة وصلتها لتشعر بالذنب تجاهه،  
تعلم أنه يقطع خطواته الأولى في درب حبها، بينما هي لا تزال  
تأهتة في دربها الذي قطعتة خطأً تجاه رجل ليس لها، وما يورقها  
أنها لم تجد هدايةً للعودة بعد!

\_ بإذن الله تقومي بالسلامة ونتفق على كل التفاصيل.

أنهت المكالمة ونظرت لصورة والدتها، الصورة الثابتة الملتقطة  
لوالدتها منذ سنين وهي مبتسمة، ما بالها الآن تشعر أنها فقدت  
ابتسامتها!؟

\_ محتاجالك أوي يا ماما، لو كنتي تعرفي اللي هيحصلني من بعدك  
مكنتيش مشيتي وسبتيني، مبقتش عارفه الصبح م الغلط، قلبي  
عاوز حاجة وعقلي عاوز عكسها! أنا مش مصدقة إني لسة ميالة  
لأدهم رغم اللي عمله واللي شوفته بعنيا، إزاي قلبي قادر يفوتله  
ويغفر له، ده ذنب المفروض ميتنساش العمر كله!



\_ مش ده الجدع اللي كان في العزا!؟

\_ مين ياعمو!؟

جلست في منزل عمها في اليوم التالي، كانت قد تغيبت عن الجامعة والعمل كذلك حتى يتسنى لها فرصة استقبال سعد وتمهيد الأمر مع عمها الكبير محمد، ولي أمرها المحتم في مثل هذه الأمور..

\_ الراجل الطويل العريض ده اللي كان بيخلص إجراءات الدفن، أصله كان قالي إنه كان متقدمك ومستتي الظروف دي تخلص وكدة..

حدثت نفسها قائلة: "أدهم؟!!!" ...

كيف امتلك حينها جرأة التعلق بهذا الأمل الكبير؟!!

والأهم من ذاك كله، أقال ذلك بدافع الشفقة عليها، أم لشعوره أنها فقدت كل شيء وسترضى به على أي حال؟!!

تحدثت بجدية :

\_ لا ياعمي مش هوا، محصلش نصيب مع أدهم واللي متقدم ده اسمه سعد وهيجي بالليل تتفقوا سوا على كل حاجة، معلش بقى انتا عارف إنني حالياً ماليش حد ..





\_\_ يا سعد افهمني مش فاضي والله، معلش كفاية عليك والدك معاك  
هعوضها في الخطوبة إن شاء الله، ألف مبروك يا حبيبي ..

أنهى مكالمته وارتمي على كرسي مكتبه، فك أزرار قميصه، يشعر  
بالاختناق الذي لا يحل له البوح به، هو يريد أن يذهب معه وهو  
يطلب يدها؟ يستمر القدر في سخريته منه دون هوادة، بات يشعر  
أنه يحصل على عقابه العادل، وأن جزاء جريمة اغتصابه لم يكن  
متمثلاً في زواجه من رنا؛ بل في الوقوف عاجزاً ومراقبة صديق  
عمره وهو يحوز بحبيبته، دون أن يمتلك حتى حق الصراخ!

دخلت رنا حاملة كوب قهوة له وهي ترتدي ثياباً كاشفة كالعادة،  
لديها إلحاح غريب يأتي دوماً بنتيجة عكسية معه، فبدلاً من الميل  
إليها يجد فقط في مطالعتها اشمئزاز غامض..

حسناً يبدو أن يد القدر تدخلت مرة أخرى لتزرع بداخله هذا النفور  
من زوجته، ليقف في النهاية بين بين، فلا هو يقرب ما يحل له أن  
يقربه، ولا هو يبتعد عن ما لا يحل له، يالها من لعنة حلت عليه  
بين ليلة وضحاها!

نظر لها مشمئزاً وقال :

\_ اطلعي برا، أنا لسة محسبتكيش على خروجك من غير ادني يا هانم ..

\_ لما أبقي مراتك بحق وحقيقي ابقي حاسبني براحتك .

يعلم أنها تستفزه ولكنه لن يحقق لها مبتغاها مهما فعلت، فقال :

\_ عمرك ما هتبقي يا رنا، نجوم السما أقرب لك م اللي في دماغك ده، اللي بيحب حد صعب أوي يشوف غيره فاهمة ..

\_ طب ما تحس بيا طالما انتا عارف كدة، حس بحبي ليك ولو مرة

\_ للأسف ده مش حب حقيقي، ده مجرد حب امتلاك زرعته جواكي

مامتك وانتي اوهمتي نفسك إنه حب

\_ وبالنسبة لاغتصابي وتضييع مستقبلي وبسهولة كدة عاوز

تسبني وتروح لحبيبتك !!؟

تنهد وقال : امشي يا رنا امشي أنا مش فايقلك .



(14)

اتفق سعد مع عم ملاذ على كل شيء وحددوا الخطبة بعد اسبوع  
والزواج بعد انتهاء ملاذ كليتها، لم تشعر بالفرحة التي تشعر بها  
أي فتاه في هذه الظروف ولكنها صبرت نفسها أنها ستحبه مع  
الوقت وأنه ليس سيئاً علي أية حال وربما لو كان هو من قابلته  
بداية لكانت أحبته حقاً، هل كانت لتفعل؟

عادت لمنزلها بعد رحيل سعد فهي تعلم أن عمها لا يطيق وجودها  
ففضلت المغادرة رغم تأخر الوقت، لم تجد أي تاكسي أو وسيلة  
مواصلات وسعد غادر قبلها ولم تعرف ماذا تفعل ..

رأت سيارة خاصة تهدئ السرعة قربها فخافت وبدأت تمشي  
وتحول مشيها إلي رقد عندما عرفت أن السيارة تقصدها، سقطت  
أسيرة في ألف فكرة وفكرة ممكن أن تحدث لها إن هي توقفت  
ونالت منها تلك السيارة، انتشلها صوتٌ يناديها : \_ استني يا  
مجنونة .

أدهم ??? ....

توقفت ونظرت خلفها لتجده يترجل من السيارة ناظرًا لها نظرات  
حاول جاهداً أن تكون طبيعية وقال :

\_ بتعملي ايه هنا ف وقت زي ده؟

\_ كنت عند عمي وراجعة بيتي بس مش لاقية مواصلات .

\_ ولا هتلاقي، اركبي أوصلك

وافقت وقبل أن تركب أوقفها مفاجئاً إياها وهو يقول واضعاً الهاتف  
على أذنه :

\_ ثواني ... أيوا يا سعد، لا متقلقش يا حبيبي، أنا كنت راجع بيتي  
بعربيتي لاقيت خطيبتك واقفة مش لاقية مواصلات باستأذتك  
أوصلها ..

صدمت منه ومن فعلته لكنها تداركت نفسها لتجده يشير لها أن  
تركب، ودت لو تركته وغادرت ولكن إلي أين، هو أمانها الوحيد  
الآن في مثل هذا الوقت .

ركبت وظلت صامته وهو كذلك وعندما اقتربا قال :

\_ مبروك .

نظرت له فوجدته مصوب بصره للطريق ووجهه حازم، توترت  
فقلت :

\_ الله يبارك فيك، الخطوبة الأسبوع الجاي، طبعا انتا مش محتاج  
عزومة .

ابتلع ريقه كأنه يبتلع به همه ورد : إن شاء الله ..

ترددت قبل أن تساله : كلمته ليه ؟

نظر لها وقال :

\_ عشان أنا راجل ميعرفش يبص لحاجة ف ايد حد غيره .

صمتت وكانا قد وصلا فنزلت صامته وعاد هو الي منزله يملؤه  
حزن العالم اجمع ...



صباحًا في الجامعة

\_ الأسبوع الجاي؟؟

\_ أيوة!

احتضنتها قمر مهنئة لها وقالت :

ملاذي

\_ مبروووك يا قلبي كدة يادوب نلحق نشوف فستان حلو شبهك  
كدة ده فيه تجهيزات كتير اوي , نظرت لها لتجدها شاردة فقالت :

\_ ملاذ روحتي فين ؟

انتبهت وابتسمت قائلة :

\_ خلاص تعالي معايا بعد ما نخلص نروح ننقي واحد ..

خرجتا بعد انتهاء الدوام لتتفاجئ بسعد ينتظرها في الخارج في  
سيارته وفور رؤيته لها ترجل وذهب لها مبتسماً وقال : مساء  
الخير

\_ سعد! بتعمل إيه هنا !؟

\_ ايه الاستقبال الناشف ده، طب حتى عرفينا ..قال جملته الأخيرة  
ناظرا لقمر .

فقال ملاذ : دي قمر صحبتي، وده سعد خطيبي .

\_ تشرفنا يا مستر سعد .

\_ الشرف ليا، عامة أنا جاي اخذك تختاري فستان الخطوبة  
ومستلزماته

\_ احنا فعلا كنا رايعين نختاره

\_ طب يلا بينا عشان متاخرش

ركبتا معه السيارة وذهب بهما إلي أعلى الأماكن التي بها فساتين زفاف وخطوبة، أصر على أن تختار ملاذ أجملهم وأغلاهم حتى أنه قام باهداء فستان لقمر بصفتها صديقة العروس وأمام اصراره وافقت هي، كذلك باقي المستلزمات اشتراها من أرقى الأماكن حتى انتهو ...

مضي الاسبوع بسلام ولكن القلوب كانت في حالة حرب دائمة، ملاذ تشعر أنها تعجلت في قرارها بالارتباط من سعد رغم أنها لم تر منه شيئاً سيئاً أو منفراً، وأدهم مشغول البال بسبب ضياعها منه والأدهى ارتباطها بصديقه وشريكه أيضاً... والأخير، مثله مثل الأطرش الذي يسير في حفل زفاف، مشغولٌ بفرحته غافلاً عما يدور في خبايا القلوب من وراء ستار.

جاء يوم الخطبة وتجهزت عند أشهر متخصصي التجميل، ارتدت ثوبها الذي تلون بلون السماء، بدت فيه كملاكٍ ساحر يجتذب قلوب كل من يراه، لم تبالغ في زينتها بل اكتفت بإبراز جمالها الطبيعي دون تكلف، يكفيها جمال عيناها الكحيلتين، تلك العينين اللاتي

سحرتاه منذ أول نظرة له بهما، سواء أكان مسحورها الأول أو الأخير!..

انتهت بوضع حجابها وطرحتها الطويلة وجلست تنتظر قدوم سعد لاصطحابها ..

كانت تستمع لكلمات المديح ممن حولها وثنائهم الصادق على جمالها وانضمت قمر لها مرتدية الثوب الأزرق الذي أهداها إياه سعد ...

انتشلتها صورته التي ظهرت فجأة من وسط أفكارها، رأتها يقتحم المكان بوقاره الطاغي ووسامته القاتلة ونظرات عينيه الذبيحتين، التقت عيناها تحتضنان بعضهما، بهر هو بجمالها كالعادة وشعره بالحد أن ينعم بهذا الجمال سواه، أما هي فقد استغربت وجوده وشعرت لوهلة بسعادة كأنه هو العريس المنتظر ولكن أفاقها دخول سعد من خلفه ...

سار سعد نحوها وعيناها تنطقان بالاعجاب الشديد وعندما بلغها انحنى يقبل يدها بمنتهي الرومانسية فأدار أدهم وجهه سريعاً شاعراً بالغضب والألم، استدار مغادراً المكان بعدما فشل في كبت



مشاعره، ولم يعلم أن قمر تراقب نظراته وحركاته وهي تشعر بالشفقة عليه .

ذهب الجميع للقاعة المقام بها حفل الخطبة وحضر أقرباء ملاذ، أولئك الذين ما حضروا إلا ليبثوا أحقادهم نحوها من المستوى الذي وصلت إليه ومن ارتباطها بمثل هذا الرجل الذي لا يعيبه شيء ....

جلست هي بجوار سعد واستمرت التهنئة تتوالى عليهم وحضر كل العاملين بالمركز وكذلك بعض الطلاب، ذهب ادهم وسلم علي صديقه قائلاً بنبرة مائلة للحزن : مبروك يا صحبي.

\_\_ الله يبارك فيك يا دوما، أومال فين المدام؟!!

رد ناظرا لملاذ :

\_\_ تعبانة شوية معرفتش تجي، ألف مبروك يا عروسة، خدي بالك من سعد ومتاز عليهوش لأن يستحيل تلاقي راجل زيه ..

أومأت برأسها له مبتسمة وهي تحارب آلامها، بادلها نفس النظرات وشعر بالضيق الشديد، وقف يراقب سعد وهو يلبسها خاتم الخطبة وباقي الشبكة، ذاك الخاتم الذي احتضن إصبعها

الصغير...كيف يشعر به الآن حبلاً غليظاً يلتف حول عنقه ليختنق به!

حاول السيطرة على ملامح وجهه كي لا يكتشف صديقه شيء مما يدور في خلداه وقلبه ..

رقصت مع سعد وعينا أدهم تتابعانها، قرر أنه من الآن فصاعداً سيعاملها مرغماً على أنها طالبة لديه وحسب، وقلبه؟ ليس له سلطان عليه، فلا هو قرر أن يقع في حبها ولا هو يستطيع أن يعدل عن هذا الحب بمثل هذه السهولة، كل ما في استطاعته الآن ألا يؤذيها به مجدداً، هو من أخطأ منذ البداية وهو من يجب أن يتحمل نتيجة خطئه وبالتأكيد سعد قادر على انساؤها كل شيء...تساءل متألماً "هل ستنسيني يا ملاذ؟"

وسط أقرباء ملاذ جلست تلك الفتاه بنظراتها الحاقدة التي تكاد تقتلها قتلاً، أسماء البالغة من العمر 20 عاماً ابنة محمد عم ملاذ الأكبر، هي في نفس سن ملاذ، لكنها أبداً لم تكن في نفس مكانتها!...دائماً ما كانت بالنسبة لها موضع مقارنة، وكانت هي دوماً تخرج من المقارنة خاسرة...

حدثت نفسها قائلة بغل :

" هتفضلي لحد امته أحسن مني ف كل حاجة ؟ تعليم وكملي وأنا  
يادوب خدت الاعدادية، جمال وجمالك ميختلفش عليه اتنين،  
ودلوقتي عريس لقطه مكنتيش حتى تحلمي بيه وأنا مش طائلة  
حتى ربعه، يا باي عليكي جايبه الحظ ده كله منين "...

انتبهت لوالدها الذي أشار على أدهم وسأل عمها احمد قائلاً :

\_ مش ده الراجل اللي اسمه أدهم اللي كلمنا إنه عاوز يتجوز  
ملاذ؟

\_ آه تصدق هوا، إيه اللي جابه ده ؟ استنى استنى ده بيسلم ع  
العريس وبيحضنه كأنه اخوه ..

\_ ملناش دعوة المهم إنها هتجوز ونخلي مسؤوليتنا منها  
وخلص

كانت أسماء تستمع لحديثهم وعيناها تراقبان أدهم ونظراته  
المتكررة رغباً عنه لملاذ وتفكر في أمر ما ...

انتهى الحفل وانصرف المدعوين وكذلك العروسان، دخل أدهم  
المنزل تبعاً لتستقبله رنا قائلة بتشفي : مبروك يا حبيبي ع  
الخطوبة ..

نظر لها مرهقاً ليرد :

\_ ابعدني عن وشي السعادي وعدي ليلتك على خير

\_ كنت فاكراً إنها هتستناك، ده أكبر دليل إنها محبتكش أصلاً، اللي  
بيحب بيتمسك ويضحى .

\_ تبقي متعرفيش حاجة عن الحب، عن اذنك !

انصرف ودخل عرفته لينا، ظل يتذكر ما دار في الحفل وقلبه  
ينبض بقوة، وضع يده عليه ليسكته هامساً : خلاص بقت لغيرك،  
انساهها بقى وريحني م العذاب والوجع ده ...



(15)

"يا لهوي اتأخرت أوي " ...

نهضت ملاذ واستعدت سريعاً، ذهبت للجامعة رقدا وهي تدرك استحالة وصولها على الموعد، وصلت لتجد باب القاعة مغلق، تذكرت أن هذه محاضرة أدهم وترددت أتدخل أم لا فهو لا يدخل أحداً بعده، طرقت الباب بضعف وفتحته فتحة صغيرة بالكاد تلمحه منها وقالت متسائلة : أدخل ؟

نظر لها بحزم وقال :

\_ اقفلي الباب يا آنسة، انتي عارفة نظامي كويس ..

رمقته بنظره حزينة قبل أن تغلق الباب لتجلس علي السلم المقابل للقاعة حتى تسمع المحاضرة فهو يتحدث في مكبر الصوت ..

ظلت تدون كل مل يقوله وهي تتأمل ايقاع صوته، تذكرت طرده لها من المحاضرة، ظنت أنه سيستثنيها، ولكن من هي حتى يفعل ؟ لقد انتهت كل الروابط التي كانت تجمعهما، هو تزوج وهي ستتزوج إذا لم يفعل ؟ عليها أن تتأقلم على الوضع الجديد وتجعله

غريباً عنها كما كان، على الأقل كي لا تخون خطيبها المسكين،  
همست قائلة :

\_ سعد مالوش ذنب إني أذي مشاعره، أدهم صفحة واطوت  
خلاص ..

انتهت المحاضرة وخرج هو ليجدها جالسة علي السلم، نهضت  
فور خروجه لتسير نحوه، مرت بجواره لتدخل القاعة دون أي كلام  
أو حتى نظرة، كور هو قبضة يده بشدة ثم تنهد وذهب يكمل باقي  
يومه .

\_ بس كان شكك سخييف سخافة مقولكيش .

\_ والنبي ماهي نقصاكي هو ده نظامه وأنا اللي غلطانة عشان  
فكرت إنه ..

\_ إنه هيعملك خاطر ؟ واحدة كانت لسة خطوبتها من يوم وجاية  
مستتية اللي كان بيحبها يعملها خاطر ؟ اصبري بس إما نفخك  
نفخة سودة ف المادتين مبقاش أنا قمر .

\_ ليه إن شاء الله

\_ عشان لسة بيحبك يا ملاذ، وطول ما انتي قدامه وهو هيفضل  
يطلع غيظه فيكي، أنا لو كنت مكانك كنت حولت أي قسم تاني أو  
حتى كليه تانية ..

\_ معدش ينفع خلاص، وأعلى ما ف خيله يركبه أنا معملتش حاجة  
غلط

\_ فعلاً، يادوب قتلتني قلبه وقلبك بس، انتي مشوفتيهوش كان  
عامل ازاي في خطوبتك يابنتي ده ناس كتير لاحظته .

\_ بدمتك مش هوا السبب يشرب بقي

\_ بتتقمني منه ولا من قلبك؟؟

\_ م الاتنين عشان يحرم يحب تاني، وبعدين سعد إنسان كويس  
ومحترم ومفيهوش أي حاجة وحشة .

\_ بس انتي مبتحبيهوش

\_ مبتقتش عايزة أحب أصلاً، ما أنا أهو حبيت واتوجعت بسبب  
الحب ده فخليني أجرب الحياه الطبيعية يمكن تريح قلبي ..

نظرت لها قمر حزينة، هي تعرف أنها تكابر وتعاود وتخاف عليها  
من قراراتها المتسرعة، كان يجب أن تنتظر حتى يشفى قلبها من

أدهم قبل أن تفكر في أي ارتباط ولكنها تسرعت وهي لا تزال تحبه، والمشكلة أنه كذلك هو أيضاً وهذا قد يوقعهما في المشاكل

..

مرت الأيام طبيعية إذا استثنيا الألم القابع في القلوب، جاء موعد تسليم أبحاث مادتي د. أدهم، ذهبت ملاذ الي مكتبه وحيدة وكانت هذه هي المرة الأولى منذ زمن أن يختليا ببعضهما، دخلت وقلبا ينبض لا تدرى حبا كان أم خوفاً فقد تغير معها كثيراً في الأيام الماضية وصار يعاملها كأي طالبة بل ويقسو عليها أحياناً ..

نظرت له وهو يعبث في الأوراق التي أمامه وخافت أن تتحدث، أما هو فقد شعر بدخولها عندما نبض قلبه بقوة، وحدها من ينبض قلبه في حضورها بهذه القوة والصدق، رفع بصره إليها فوجدها تقف خافضة بصرها ممسكة بالابحاث في يدها ..

قال بروتينية : جاية تسلمي أبحاثك؟

تلاشت النظر الي عينيه كي لا تضعف وقالت :

\_\_ أيوة اتفضل حضرتك ..



تناولهما منها وظل يقلب فيهما ووجهه لا يبشر بخير، فجأة أطاح  
بهما فسقطا من على مكتبه وهو يقول :

\_ إيه العك ده؟! ..

صدمة ثم حزن! ...

انحنت ملاذ وتناولتهما من على الأرض مندهشة فقد تعبت فيهما  
حق التعب خشية ردة الفعل هذه، قالت متسائلة :

\_ ممكن أعرف عيبيهم ايه؟! ..

\_ كلهم عيوب ومش عاجبني، عيديهم م الأول.

ردت بتحدي :

\_ من حقي أعرف ع الأقل غلطت ف ايه عشان لما اعيدهم  
مغلطش نفس الغلطة .

نظر لعينيها مباشرة وقال غاضباً :

\_ انتي عارفة كويس أوي غلطتي ف ايه!!

دمعت عيناها، هذه أول مرة يحدثها فيها بهذه القسوة، اعتادت منه  
اللين واللطف، ولكنها حقاً لا تستحق كل ذلك، هي تفصل بين

حياتها الشخصية والعلمية وكذلك العملية وقد اجتهدت في بحثيه خاصة حق الإجتهد وانتظرت منه الثناء لا التوبيخ ..

وضعت الباحثين على مكتبه وقالت بقوة رغم عيناها الدامعتين :

\_ دول أبحاثي وحضرتك تقدر تتقصني ف درجات أعمال السنة زي ما تحب، أو أقولك شيلني المادتين أحسن، لكن أنا مش هعيدهم وأتعب نفسي من تاني، عن اذنك .

تركته وغادرت ليزفر هو بضيق، لا ينكر أنها تعبت بالفعل فيهما وأنها أفضل الأبحاث في دفعتها كلها، لكنه شعر بالاختناق عندما لمح خاتم الخطبة يحتضن إصبعها الصغير، لم يشعر بنفسه إلا وهو يوبخها رغماً عنه، قلبه يعصيه من جديد ويستمر في خفقانه كلما اقتربت هي منه، هو لم يتمنى من الدنيا سواها لتعطيه الحياه كل شيء وتسلبها هي منه ..

ضرب المكتب بقبضته بقوة لحظة دخول قمر، فابتلعت ريقها بخوف قائلة لنفسها : أوبالا البركان هيفور ف وش قرمط الغلبان

..

سلمته الأبحاث وتناولها منها ولم يعقب فأنصرفت هي مسرعة خشية أن يوبخها كما فعل مع ملاذ ..

\_\_ هوووووف يالهوري ده كان هيكسر المكتب..

\_\_ خدهم منك ؟

\_\_ آه بس متكلمش . أنا أصلاً داخلة وهو بيلاعب مكتبه مصارعه

\_\_ يظهر إن معاكي حق وإنه هيستقصدني ..

\_\_ لسة جاية تقتنعي دلوقتي؟! صبرك على رزقك يا جميل ده

هيوريكي النجوم في عز الضهر!!.



دخل منزله زافرا بضيق لتستقبله رنا بملابسها المكشوفة كعادتها

حالة غضبه جعلته يعلق أخيراً إذ قال : هوا انتي مش ملاحظة إن

أمي معانا ف نفس البيت؟! احترمي نفسك شوية ف لبسك.

\_\_ والله أنا بلبس لجوزي محدش له عندي حاجة ..

اقترب منها أدهم ناظرًا في عينيها بعمق لتقترب منه هي الأخرى

وقد شعرت أنه أخيراً بدأ يميل إليها، رفع يده حتى وجدت مستقرها

على خصرها النحيف ولم تمنع هي بل ازدادت قرباً منه، هذه أول

مرة تطالع فيها ملامحه بهذا القرب الشهي، رآته التفاحة التي

حُرمت على آدم، تود تذوقها وتخشى إن فعلت أن تُطرد من جنتها!..

ليفاجئها بقوله :

\_ رنا، بذمتك دي تصرفات واحدة مغتصبة؟؟

أجمها سؤاله وابتعدت عنه متوترة وقالت بتردد :

\_ ما انتا عارف إني.. إني بحبك من زمان .

\_ ده حتى لو، لو كان حب حقيقي كان زمانه اتبخر من حادثة

بشعة زي دي!

سرعان ما أفرز جبينها العرق، لم لا يقدر على تجاوز تلك الكذبة

حتى الآن، لكنها المخطئة منذ البداية، كيف رسم لها شيطان

أفكارها أن هذا شيء ينسى ويمر مرور الكرام؟!!

طال صمتها، ولم يكن هو بحاجة لكلامها، لذا تركها وغادر لتهمس

هي :

\_ وأنا اللي فكرتك خلاص حنيت، ده انتا كتلة تلج يا شيخ .



سمعت طرقات على الباب، باب بيتها اليتيم، الهادئ تماماً منذ وفاة أبيها، والاكتر هدوءاً منذ رحيل أمها، الباب الذي لا يعرف سوى صوت مفاتها بطبلته، تفاجأ قبلها من هذه اليد الغريبة التي زارته!

جاء في خاطرها أدهم ولكن ماذا عساه يفعل هنا؟! نفضت الفكرة ونهضت لتفتح لتتفاجأ بآبنة عمها أسماء ..

قالت عاجزة عن مداراة دهشتها : أسماء !؟!

ابتسمت الفتاه الشاحبة ابتسامتها الخبيثة المعهودة حتى باتت جزءاً من كيانها، قالت:

\_ ازيك يا ملاذ وحشتيني ..

جلستا في حجرة الضيوف، تمسك كل منهما كأس العصير وتطالع الأخرى بغير كلام، لم يختلط الزيت بالماء ذات يوم، وكذلك لم تجمع أي معادلة من معادلات العلاقات البشرية بين كمياهما، هما بالنسبة لبعضهما دوماً الشمال والجنوب، الشرق والغرب،  
النور...والظلام!

أرادت ملاذ أن تبدأ دفة الحوار فسألت :

\_ ازي عمي ومرات عمي ؟

\_ بخير الحمد لله، أنا جيت أبارك لك ع الخطوبة وندردش شوية  
سوا، انتي عارفة قاعدة البيت ممة ازاى ..

\_ حظك إنك جيتي النهاردة لأنى بشتغل والنهاردة كان إجازة .  
غمرها الحقد أكثر لترد :

\_ ايه ده بجد؟! بتشتغلي إيه بقى؟!

\_ ف سنتر دروس، احم بتاع سعد خطيبي .

\_ ااااه، يعني الموضوع كان قصة حب على كدة .

أسرعت تبعد عنها تلك التهمة، والتي لا تدرِ \_ تحديداً \_ لم أعدتها  
تهمة قائلة:

لا طبعاً مجرد قبول بس واتقدم، أنا مبسبش حد يتجاوز حدوده  
معايا ..

ارتشفت أسماء بعض العصير وقالت ناظرة لها :

\_ و أدهم ؟

انتبهت كل حواس ملاذ لها عندما نطقت باسمه، ذاك الوحيد الذي تجاوز كل حدودها، والوحيد الذي عبر حدود قلبها الخطرة... هناك بنى مستوطنته، وهناك أقام رافضاً الرحيل!

استغربت كثيراً لتسألها : أدهم ؟ ماله أدهم ؟

\_ مش ده اللي كان متقدمك؟! أنا شوفته في الخطوبة ويا حرام شكله كان يصعب ع الكافر، شكله بيحبك اوي .

احتلها الغضب لتقول مسرعة: أسماء!! انتي جاية تستفزيني ولا إيه؟! ميصحش تكلميني عن راجل وأنا ف حياتي راجل تاني، دي مش أخلاقنا ولا تربيتنا .

\_ أنا بدردش بس يا بنت عمي، أصله بصراحة شيك وشكله ابن ناس زي سعد كدة وبصراحة اكرت أنا عيني منه .

تراجعت ملاذ في مقعدها وقالت بابتسامة سخرية : وأنا واجب عليا أقولك إنه لسة عريس، متجوز بمعنى أوضح .

امتقع وجه الفتاة وأسرعت تقول :

\_ وماله الشرع حلله أربعه ..

\_ قوليلي يا أسماء . انتي عينك منه لأنه عجبك، ولا لمجرد إنه  
بيحبني ؟

غضبت أسماء من سؤالها لكنها استغلته لصالحها قائلة : بيحبك؟  
يعني لسة بينكو علاقة؟  
زفرت ملاذ بينما ردت:

\_ اللهم طولك يا روح، آه يا أسماء كنا بنحب بعض ومحصلش  
نصيب ونسيته خلاص واتخطبت لغيره ممكن بقى تقفلي الموضوع  
ده .

أومات برأسها بعدما حصلت على مبتغاها، أكملت الجلسة ببعض  
الحديث المقتضب وسرعان ما نهضت أسماء واستأذنتها بالرحيل  
...

ندمت ملاذ على تسرعها بالحديث معها ولكنها هي من استفزتها  
لتخرج منها الكلمات رغماً عنها ولا تدري خطورة ذلك بعد ..





## (16)

مرت الأيام روتينية وقد اقتربت اختبارات نصف العام وملاذ مشغولة للغاية ما بين حصص المراجعة في مركز الدروس وبين مذاكرتها وامتحاناتها الوشيكة ..

ذهبت للجامعة باكراً لتنتهي بعض الأوراق قبل بدء المحاضرات، رأته يصّف سيارته بين سيارات باقي الأساتذة، ابتلعت ريقها ودعت أن يسبقها بالصعود وظلت تبطئ خطواتها، لمحها هو في مرآة سيارته، خفق قلبه بقوة فأغمض عيناه ألماً، هي خطيبة صديقك يا أدهم وهذا لا يصح، على الأقل وفاءً له...

ترجل من سيارته وأخذ حاسوبه وأوراقه وهم بالانصراف، ألقى لمحة أخيرة عليها ليتفاجأ بمجموعة شباب يعترضون طريقها ..

قال أحد الفتية : لو سمحت يا جميل ممكن سؤال؟!!

توقفت ملاذ عندما وجدت مجموعة من الشباب يعترضون طريقها، الجامعة تكاد تكون خالية ولن يلمحها أحد لو تعرض لها أحدهم بمكروه، خافت فوقفت وقالت مترددة : نعم

ليكمل الآخر : هو القمر بقى بياخد ورديتين ولا إيه؟! ..

سقط قلبها ليهبط في أراضيه السابعة، ليأتي صوت أدهم من خلف  
المتحدث الأخير ليعيد قلبها لموضعه وهو يقول بحدة :

\_ آه وأهو بالمرّة تشوف النجوم ف عز الضهر ..

استدار له الفتية خائفون، هم لا يزالون صغار السن والحجم وشكله  
أخافهم كما أنهم في حرم الجامعة وأي حركة قد يفصلون بسببها،  
لذا رحلوا سريعاً فور حضوره ..

وقفت ملاذ تنظر لها بعينيها المحببتين وضوء شروق الشمس  
ينعكس داخل مقلتيها أسراً قلبه بهما، تعلقت أعينهما ببعض لوقت  
لم يشعر به، غلب الشوق كل القرارات التي اتخذتها العقول سابقاً،  
وتناسى آلام الضمير المحملة بذنوب الخيانة والتي تسرع  
بالمهاجمة بعد كل موقف يجمعهما على ذات الشاكلة!

قالت بهدوء : شكراً ..

\_ خلي بالك بعد كدة، مش عشان جامعة هتكون أمان ف أي وقت

..

أومات له ليستدير مغادرا تاركاً قلبه غارقاً في أحضان عينيها ..  
ابتسمت ملاذ، شعرت أنه لا يزال على عهده، يحارب نفس ما  
تحاربه هي من مشاعر، ويتوب من كل ما تتوب هي منه من  
ذنوب!

دلفت لمكتبه تستفسر منه إجابات بعض الأسئلة التي استوقفتها  
أثناء المذاكرة، أو لعلها حجة لتتفرد به، نظر لها باهتمام، ها هو  
خاتم خطبتها اللعين يلمع في وجهه مجدداً كأنه ينذره من أي تخطي  
للحدود معها، يذكره أنها صارت لغيره..

كظم غيظه وقال : اتفضلي

\_ ممكن شوية من وقت حضرتك تجاوبلي علي كام سؤال ؟

رد قلبه، وقتي كله رهن اشارتك، عصاه لسانه ليقول بجدية: طبعاً  
مفيش مشاكل..

عرضت عليه أسئلتها، استغرب فمعظمها كان ينوي أن يأتي بها  
بالاختبار النهائي ولكن لا بأس، جاوبها برحابة صدر واستشف  
ذكاءها الكبير، وخجلها الأكبر كلما التقت أعينهما، هل كان خجلاً  
أم حباً؟ تمنى من قلبه أن يكون الأخير، وكره نفسه كثيراً بعد هذه  
الأمنية!..

\_\_ شكراً جداً لحضرتك يا دكتور .

\_\_ العفو ده شغلي وأنا سعيد إن عندي طالبة ذكية زيك .

رقص قلبها وتهللت ملامحها رغماً عنها فقالت مشاكسة : طب  
والابحاث؟

ابتسم رغماً عنه :

\_\_ قبلتها خلاص ..

نظرتها أذابته في مكانه، تدارك نفسه سريعاً حتى لا تلاحظه هي،  
أراد أن يطيل الحديث بينهما أكثر فقال :

\_\_ عاملة ايه مع سعد ؟

تفاجأت من سؤاله، ها هو يعود للحديث عن حياتهما الشخصية  
مجدداً وهذا أربكها، كيف تتحدث معه عن رجل آخر ؟ كيف يجرو  
قلبها على ذكر محاسن غيره ؟ أليس هو الأول وهو الأخير ؟  
..ابتلعت ريقها وقالت :

\_\_ كويسة الحمد لله .

لم تسمع منه رد فنظرت له لتجد عيناه مثبتتان عليها، اخفضت  
بصرها سريعاً ليقول هو مغيراً مجرى الحديث تماماً :

\_ الامتحانات قربت خلاص ياريت تركزي على دراستك اكثر، انتي  
ممکن ترتبي على دفعتك ..

أعطاها هذا أمل فأومأت برأسها، كم شعرت بالسعادة وهي تتبادل  
أطراف الحديث معه، رغم أنه حديثاً ينتابه بعض القلق والتردد،  
الإقبال والإحجام، الحب و..الغيرة، رأت عيناه عدة مرات تتعلقان  
بإصبعها الذي يحتضنه خاتم خطبتها، ظن أنه يستطيع السيطرة  
على نظراته ولكنها كشفتها منذ دخولها، أعجبتها ولم تعجبها،  
تحب غيرته وتكره أن تحبه، هو ليس لها وهي ليست له والأمر  
كله خطأ، جلوسها هنا خطأ، النظر إليه خطأ، محادثته أكبر خطأ،  
ألم تتركه لأنه خانها ؟ مابالها الآن إذا تخون؟! حثت نفسها على  
الرحيل وأيقظت عقلها من غفوته، إياك أن تغفو مجدداً فقلبي صار  
بارعاً في تصيد فرص غيابك ...

\_ عن اذنك دلوقتي يا دكتور ..

\_ اتفضلي، ربنا معاكي ف امتحاناتك .

خرجت لتجد قمر مقبلة عليها حاملة بعض الأكلات السريعة في يدها وعندما رأتها قالت : لقيتك هتطولي جوة قوت أجيب أكل أحسن

\_ طب يلا يا طفسة ناكل سوا ..

جلستا في ساحة الكلية تتناولان الطعام وهما يتحدثان .

\_ عارفة يا قمر لما يكون معاه بنسى كل حاجة حصلت، بنسى اغتصابه لرنا وبنسى إنه اتجوزها وبنسى إني مخطوبة، مبفتكرش حد غيره هوا وبس .

\_ ودي حاجة حلوة ولا وحشة ؟

\_ طبعا وحشة، وحشة أوي، أنا كدة بخون خطيبي يا قمر .

\_ مكنش ينفع تتخطبي وإنتي ف قلبك حد تاني .

\_ كنت مفكرة إني كدة هنساه أسرع، مكنتش أعرف إنه انتشر ف كل خلية ف جسمي، أنا المفروض أكرهه بعد اللي عمله بس أنا، أنا لسة بحبه !!..

شعرت قمر بالحزن على حال صديقتها وقالت : سببها للأيام يا ملاذ، الوقت عنده قدرة فظيعة في علاج أصعب المشاكل ..



دخلت سمية غرفة المكتب على أدهم غاضبة، نظر لها وقال :

\_ خير يا أمي .

\_ أدهم، أنا مبعثش طايقة قاعدة مراتك هنا، أنا برجع من شغلي محتاجة أرتاح ومش ناقصة حرقة دم وهيا تصرفتها مستفزة أرجوك يا ابني اطلع شقتك .

\_ هيا بتستفرك عشان توصلني للمرحلة دي، لكن على جثتي لو خلتها تدخل شقة ملاذ، أنا هشوف شقة صغيرة جنب الجامعة أأجرها وخلص .

\_ لا يا ابني وأنا ميرضنيش إنك تقعد ف إيجار وبيتك موجود ميصحش كدة .

\_ بس أنا كمان مش هسيبها تستفز فيكي ف الرايحة وف الجاية عمال على بطل، لازم تتأدب وتعرف إن الله حق .



(17)

انتهى أدهم من إجراءات استئجار إحدى الشقق في حي الجامعة ونقل بعض الأغراض الرئيسية هناك وتجهيزها ليسكن بها هو وورنا، من ناحيتها لم تعترض فقد أرادت أن يحدث هذا مذ زواجهما لتنفرد به وتستطيع الضغط عليه حتى يقبلها زوجة له ...

قالت وهي تتجول في الشقة :

\_ مش ضيقة شوية يا أدهم!؟

\_ دي شقق حي الجامعة، مش عجباني نرجع حالا عند أمي.

ردت مسرعة :

\_ لاء لاء دي جميلة واهي على أدنا، ثم نظرت له نظرات ذات

معنى وأكملت :

\_ بس هتضيق علينا بعد ما نجيب ولي العهد .

لم يتمالك نفسه لينقجر ضاحكاً قائلاً :



\_ بـيعـجـبـنـي فـيـكـي يـارـنـا إنـك مـبـتـزـهـقـيـش، عـن اذـنـك عـنـدي شـغـل ف  
الـجـامـعـة ..

أخذ مفاتيح سيارته وتركها تستشيط غضباً، الصبر يا أدهم ومثلما  
جعلتك زوجي اسماً سأجعلك زوجي فعلاً ..



بدأت الاختبارات وانهمكت ملاذ بها وبمذاكرتها معطية لنفسها  
إجازة من حرب قلبها الضروس وكان سعد يحثها دوماً على  
الاستذكار وتحصيل أعلى الدرجات، مسكين هو سعد، يمتلك قلباً  
يفيض حناناً وشغفاً، يتعامل معها على أنها كنز الثمين والواجب  
عليه صونه، يغدقها باهتمامه كأب حنون لا يهمله سوى مصلحة  
ابنته، أما عن أخلاقه فلا غبار عليها، باتت تراه الآن رجلاً مكتمل  
الأركان، رجلٌ خلق لتقع كل النساء في شركه...

كل النساء إلا هي!....

فرغم اعترافها بقوامته، وبثقتها التامة أنها لو تزوجته فيستحيل  
أن تلقى منه خذلاناً إلا أنها لا تزال تعجز عن حبه، وكم تكره نفسها  
لذلك! لن تقارن بينه وبين أدهم؛ فعلى الأقل هو لم يغتصب فتاةً

بعدهما وعد أخرى بالزواج، هو أنقى من أن يفعلها، نعم تراه أنقى من أدهم، لكنها الحمقاء تعجز عن تبديل أماكنهما ببعض داخل قلبها أعمى البصيرة....

متى تسئل كل هذا الغباء إلي قلبها؟!!



اليوم الأخير في الاختبارات أخيراً، لم تكن نهاية المذاكرة والتعب السبب الرئيسي لسعادتها؛ فهي تحب الوقت الذي يأكله الاستذكار قاطعاً على عقلها فرصة التفرد بها ليغرقها في سيل أفكارها السوداء، بل كان هناك سبباً آخر، ستبتعد عنه لفترة، إنها بالفعل بحاجة إلي متسع من الوقت لتتمكن من التقاط أنفاسها بعيداً عن وجهه الذي تراه مرغمة كل يوم، كيف يُطلب منها أن تنسى رجلاً تراه يومياً؟! الأمر أشبه بأن تعطي طفلك كيساً مليئاً بالحلوى ثم تنهره إن هو أكل منه شيئاً؛ منتهى العبث.

اتجهت مع رفيقتها الوحيدة للطابق العلوي لتأدية آخر إختبار شفهي لمادة غير مادتيه، كانت مشغولة بالحديث والثرثرة عما ستفعله في إجازتها عندما كانت تعبر الباب لتدخل مكتب المُحاضر، تفاجأت بالكتلة البشرية التي اصطدمت بها لتعيق تقدمها، بضع

ثوان غير معدودات كانت كافية للشعور بدفئه، واحتلال عطره  
العين لرئيتها..

تراجعت متوترة وكذلك فعل هو، لقد كان يتحدث مع ذاك المُحاصر  
عن بعض الأمور العالقة ثم اتجه لمغادرة مكتبه في نفس وقت  
دخولها هي..

ينبغي عليه أن يشكر القدر الذي أعطى قلبه هذا القرب الحبيب،  
وبعد شكره عليه أن يلغنه \_ كذلك \_ لأنه أعطاه إياه!..  
قالت بتوتر:

\_ أنا آسفة مكنتش باصة قدامي.

ابتسم لها، تعتذرُ الحمقاء لأنها ردت إليه البعض من روحه، قال  
وهو يفسح المجال لهما بالمرور: ولا يهملك يا ملاذ، بالتوفيق.



\_ على فكرة انتي ف مشكلة كبيرة من غير ما انتي حاسة  
قالتها قمر بعدما أنها الاختبار وتوجهتا لمغادرة المبنى..

\_ مشكلة ايه؟!\_

نظرت لها وأجابت بجدية :

\_ لو اتقابلتو انتي وأدهم في مكان وسعد كان الشخص الثالث سهل  
أوي يكشف حبكوا لبعض ..

ارتبكت ملاذ وقالت :

\_ حب ايه بس انتي عارفة إنه مجرد ..

\_ دكتور، خلاص حفظناها، أنا بس بنصحك تتحكي ف نفسك  
شوية انتي مشوفتيش نفسك كنتي عاملة ازاي، انتي عيناك ليها  
بصة ولمعة مبيظهروش إلا لما بتشوفه، ليكي ابتسامة معينة كدة  
مبتظهرش إلا وانت بتكلميه، كك على بعضك بتتغيري وانت  
قصاده يا ملاذ ..

توترت كثيراً من كلماتها وأسرعت تدافع :

\_ لاء يا قمر، انتي بس بيتهيالك كدة عشان عارفة إني ... إني  
كنت بحبه .

\_ بس اللي حب بجد ميعرفش كلمة " كنت " الحب مش دور برد  
هتخديله علاج وتخفي منه بعد كام يوم، الحب مرض ملهوش علاج  
وبيرافق صاحبه لقبره ..

\_ انتي عاوزة ايه يا قمر ؟

لم ترد عليها فقد رأت سعد يتجه لهما فحمحت وأشار لها بأعينها لتفهمها ملاذ وتنظر تلقائياً لسعد الذي جاء قائلاً : السلام عليكم، ممكن تسمحي لي يا ست قمر أخذ خطيبي نتفصح بما إنها فكّت الحصار وخلصت امتحانات .

ابتسمت له قمر أن نعم وهي تشعر بالشفقة عليه، هو ضحية في هذه القصة، في حين ودعتها ملاذ وذهبت برفقته مضطرة ليتناولوا الغداء سوياً ..

\_ استتيني هنا ثواني، ولا تيجي معايا؟

\_ على فين ؟

\_ مفيش رايح لأدهم؛ بقالي كثير مشفتوش وواحشني وبالمرّة نتكلم عن شوية حاجات ف الشغل.

لاحظ تغير ملامحها فظن مخطئاً أنها غضبت لأن خروجتهما ستتعل فأسرع يقول : هما خمس دقائق بس والله وعشان تصدقيني يللا تعالي معايا ..

تورطت في ذهابها معه الي مكتب أدهم، أي مآذق هو هذا؟! حبيبها  
وخطيبها في نفس المكان؟

دخل سعد المكتب بمرحه المعتاد ونهض أدهم ليسلم عليه، هو  
يحبه ولكن مشاعره نحوه اضطربت مذ خطب ملاذ، ملاذه هو،  
تفاجأ بها وهو يحتضنه، تدخل المكتب خجلة نظراتها ترجوه ألا  
يفضح حبهما المؤود، بادلها النظرات العاشقة رغماً عنه ولكنه  
تدارك نفسه عندما أفلت سعد من حضنه وسمعه يقول :

\_ إيه يا عم هوا أنا واحشك أوي كدة ؟

\_ مهو انتا اللي ناسينا

\_ معلىش بقى فترة الامتحانات كانت مرخمة وبعدها امتحانات  
البرنسس بتاعتي .

أجزمت ملاذ أنها سمعت صوت صك أسنانه فابتلعت ريقها  
مضطربة، أكمل سعد :

\_ طبعا عارف ملاذ خطيبتي، معلىش جبتها معايا عشان خارجين  
وهيا خايفة أتأخر .

ابتسم أدهم مجاملاً ونظر لملاذ نظرة أحرقتها في مكانها فنهضت  
وقالت :

\_ أنا هستناك برا يا سعد، عن اذنك يا دكتور ..

أوما لها برأسه والشرر يتطاير من عينيه، ظن سعد أن جمود  
وجهه هذا بسبب حفاظه على رسميته أمام طالبة من طالباته ..

\_ ماتشفهاش أوي كدة مع الطلبة بتوعك ياعم .

انتبه أنه لم يتحكم في تعبيراته أمامه وحاول ضبطها مجدداً،  
استمر في الحديث برهة من الوقت، خرج سعد ليجد ملاذ جالسة  
على السلم تعبت بهاتفها فقال : نمشي؟

نهضت معه وقضيا يوماً ممتعاً حاول سعد فيه أن ينسيها توتر  
الإمتحانات وضغطها، وحاولت هي أن تبدو طبيعية لكن نظرات  
أدهم الغاضبة ظلت عالقة في مخيلتها ...



"حمد الله ع السلامة " ...

استغربت حين وصلا باب بيتها، إذ وجدت أسماء تنتظرها بجوار  
المنزل وتطالعها بنظرة حقد، خاصةً بعد أن رأت سعد يوصلها

بسيارته الخاصة، رأتها تنظر لسعد وتبتسم فبادلها سعد الابتسامة  
مجاملاً وقال :

\_ أنا فاكرك، كنتي ف خطوبتنا مش كدة ؟

\_ آه، أنا أسماء بنت عم ملاذ وصاحبته الروح بالروح .

استغربت ملاذ فهي لم تطقها يوماً، غيرت مجرى الحديث لتسمح  
لسعد بالانصراف من تحت أعينها المتصيدة فقالت :

\_ يلا نكمل كلامنا جوة يا سوما، وانتا يا سعد شكراً ع اليوم الحلو  
ده .

أوما لها برأسه وغادر مسرعاً بعدما غضب من نظرات تلك الفتاة  
له، هو خبير بالفتيات بحكم عمله ويستطيع فهم نظراتها جيداً  
ولكنه لم يلق لها بالأفعلة وقلبه منشغلان بملاذ ..

\_ نورتي يا أسماء، خير؟!!

\_ خير إيه يا ملاذ، بقى ده استقبال تستقبلهولي؟

شعرت أنها بالفعل أخطأت في حقها فأسرعت تقول: معلىش يا  
أسماء، أنا بقالي فترة مضغوطة فتلاقي كلامي دبش شوية،  
اعذريني.



بقولك إيه، أنا عجبني إنك قولتي لسعد إننا صحاب وكدة، ما تيجي  
تنسي كل حاجة ونبدء صفحة جديدة ونبقى صحاب فعلاً؟

ابتسمت أسماء رغماً عنها وقالت :

\_ ياريت والله أنا بحس بمثل فظيع من قاعدة البيت عشان كدة  
بجيبك ونفسي أوي اجي معاكي الجامعة .

\_ بس النهاردة كان آخر يوم، استني التيرم الثاني هبقى أكلمك  
نروح سوا بس ابقى هاتي بطاقتك معاكي عشان البوابة .

\_ حاضر، عن اذنك بقي عشان ما اتاخرش ..



## (18)

ارتمت على فراشها تتذكر نظراته، لقد قضت عدة ساعات مع سعد مليئة بالفرح والسعادة ومع ذلك فقد شغلتها تلك اللحظات القلائل مع أدهم وأنستها حلاوة باقي اليوم، إنها فتاة وضيعة، باتت تشعر بذلك بمرور الأيام، وتكره أن يتنامى ذاك الشعور بداخلها دون أن تجد له رادع، سعد يستحق فتاة تحبه بكل جوارحها، تتمنى له الرضا كما يتمناه هو لها، إنه شديد الطهر.. وهي، بجواره دوماً؛ تشعر أن روحها مُدلسة بطيف رجلٍ آخر، يحترق قلبها على ذاك المسكين الذي يسعى جاهداً لإسعادها، لكنه \_ورغم احتراقه\_ لا يملك إلا أن يقدم له الرماد!

لقد أخطأت، صديقتها كانت مُحقة، لا توجد في الدنيا كلها علاقة تُنسى بأخرى، ولا يحق لها أبداً أن تستبدل "رجل" بـ "رجل" آخر بين ليلة وضحاها..

أين كان عقلها عندما أقدمت على تلك الخطوة؟ تعذرُ قلبها، دوماً كان أخرق سريع التصرف، يزجُ بها في قرارات مجنونة وبعدها يجلس بين ضلوعها لينتحب، لكنها لم تعد أبداً غياب عقلها بتلك

الصورة، والآن بعد أن حضر أخيراً ماذا عساها تفعل؟... تجرحه وتتركه، أم تكمل معه ما بدأتها عليها يوماً تشفى من حبها القديم على يديه؟..

تقلبت على جانبها الأيمن وعيناها تنذر بالدموع، المعضلة ليست في سعد حالياً، كل ما يورقها تجاهه أنها تشعر بالذنب وأنه يستحق حباً حقيقياً خالصاً تجاهه.

لكن مُعضلتها هو ذاك الآخر، كيف تبرأ منه؟ علاج مشكلتها ليست في ترك سعد، تحتاج أن تترك ذاك الذي صار قربه مستحيلاً، تحتاج أن تغادر أراضيه، ويغادر أراضيه، وكيف السبيل إلي أمرٍ باتت تشعر به مستحيلاً؟..

تناولت هاتفها لتتصفح موقع التواصل الاجتماعي " فيس بوك " عليها تنشغل بما ينسيها نظراته، فتحت مربع الرسائل الخاص به لتجده نشطاً، خفق قلبها بقوة، وازدادت خفقاته عندما وجدته يكتب رسالة، سرعان ما غادرت الدردشة حتى لا يكتشف أمرها وعندما وصلت رسالته انتظرت ثوان حتى تفتحها.

وجدت فيها " ليه بتعملي فيا كدة ؟ "

ابتلعت ريقها بصعوبة وكتبت مترددة : " عملت ايه، يا دكتور؟ "

- "ملاذ، كفاية مكابرة بقي "

ندمت أنها ردت عليه، بالتأكيد هو الآن في وقت ضعف وغلبه  
ضعفه حتى راسلها، كان ينبغي ألا ترد من الأساس ولكنها تورطت  
الآن ..

\_ " مكابرة ف إيه أنا مش فاهمة، هو سعد زعك ف حاجة ؟ "

\_ " سعد أكثر إنسان ف الدنيا زعني ووجع قلبي , كفاية إنه خدك  
مني "

\_ " بس أنا مكنتش ليك أصلاً، انتا راجل متجوز ومينفعش تقول  
كدة تاني "

\_ " متجوز واحدة أجبرتني ظروفى عليها وعمري ما حبتها ولا  
هحبها، أنا بحبك انتي يا ملاذ "

ازدادت خفقات قلبه، و ازداد معها استحقارها لنفسها أنها تسمح  
له بقول هذا الكلام، سعد لا يستحق منها هذا حتى إن كانت لم تحبه  
بعد فهو يظل خطيبها، حتى وإن كانت لاتزال تعشق أدهم ... فهو  
يبقى مجرد رجل غريب عنها، رجل غزاها وفقدت قدرتها على  
طرده من مستوطنتها الضعيفة ..

كتبت منهية الحوار " عن اذنك سعد بيتصل "

أغلقت بيانات الهاتف سريعاً قاطعة عليه فرصة الرد، لتتفاجأ  
بشاشة هاتفها تضيء باسمه، ارتعش قلبها مجدداً ولم ترد، انتهى  
الإتصال ليعاوده من جديد ..

ردت بضعف قائلة : ألو

\_ يعني مكنش بيتصل أهو ؟

\_ أدهم أرجوك، أنا عارفة إن مشاعرك غلباك دلوقتي، انتا راجل  
محترم ومينفعش اللي بتعمله ده صدقتي ..

\_ غصب عني، والله غصب عني يا ملاذ .

\_ وأنا عمري ما هسمح لنفسى بخيانة خطيبي، خاصة لو كان  
راجل محترم زي سعد

تنهد بعمق وقال بصوت حزين :

\_ انتي آخر واحدة ممكن تخون يا ملاذ، أنا عارف أخلاقك كويس،  
يمكن كنتي كتيرة أوي عليا عشان كدة القدر خدك مني، بس أنا  
مش قادر أتقبل وجودك معاه في صورة واحدة، ده شيء برا  
إرادتي.

تنهدت لا تجد ما تقوله، سمعته يُكمل:

\_ ملاذ، أنا أُملي فيك لسة مختفاش، وعشمي إنك تبطلي مُكابرة

قالت مسرعة: لو سمحت يأدهم مسمحكش ...

قاطعها ملحاً : حبيتيه؟!!

صمتت ولم تدر بماذا ترد، قلبها لم ينبض لأحد سواه فكيف يسألها هذا السؤال، هل معاملتها له جافة حتى أوحى له بهذا؟! سيتنفس ضميرها الصعداء لو كان الأمر كذلك، سيشعر أنها \_ على الأقل \_ تُحاول.

جاوبته بضعف :

\_ الحب مش كل حاجة يا أدهم، يكفيني إنه إنسان محترم وخلق ومشفتش منه أي حاجة وحشة ..

وقبل أن يرد عليها أرادت إنهاء الحوار حتى لا تضعف..

فقالت : أسماء بنت عمي جيالي مضطرة أقفل، مع السلامة ...

أنهت المكالمة بكذبتها تلك وقلبها يتحطم إلي أشلاء.



أين ذهبت خططها للإجازة التي حدثت قمر عنها؟!.. لقد تبخر كل شيء من عقلها وتسرب شغفها الكبير من ثقوب قلبها التي تجددت بفعل محادثتها الأخيرة معه؛ تحتاج أن تبتعد حالياً، ليس عنه بل عن الأحمقين؛ قلبها وعقلها...تحتاج لمُغادرة هذه الأرض التي أفسدت عملها مؤخراً بما فيه الكفاية.

جاءتها مُكالمة خالتها سناء كنجدة كونية، أخبرتها أنها عادت من سفرها لقضاء عطلة شتوية بين أحضان بلادها، كم سرتها هذه العودة التي جاءت في تمام وقتها، فالخالة سناء نسخة مصغرة من والدتها المتوفاة، ليس في ملامح الوجه ومعالم الجسد فحسب بل في القلب أيضاً، وليس أصدق على ذلك دليلاً من مهاتفتها لها في نفس يوم وصولها ودعوتها لقضاء إجازتها معها في محافظة الإسكندرية.

لديها خالة أخرى مقيمة بالبلاد، لم ترها منذ توفقت والدتها، ولم تسمع لها صوتاً على الأقل عبر أسلاك الهاتف، هي لا تشد الوُد، لكنها تتألم لوحدها التي هاجمتها كالصاعقة لتغرق فيها فجأة.

ملاذي

وجدت في دعوة سناء الخلاص، ألم ترد هي الابتعاد؟ ها قد تحالف  
معها القدر أخيراً معطياً إياها هذه الفرصة الذهبية، وهي تجيد  
اقتناص الفرص جيداً.





(19)

وكنْتُ أُنرَعُمُ مثل الناس إذ نرعموا  
بأن من غابَ عني غابَ عن بآلي

واليوم كذبني قلبي وكذبهم  
فأرقتهم، وأقاموا بين أوصالي !



الاسكندرية

يناير، 2019

\_ وحشتيني أوي يا غالية يا بنت الغالية!

قالتها الخالة فور أن التحم جسدها بجسد ملاذ في عناق طويل احتاجته كل منهما لذات السبب؛ كل منهما وجدت في الأخرى المرحومة عزة، فمن الطبيعي أن تجد الفتاة في خالتها رائحة امها، ومن الطبيعي كذلك أن تجد المرأة شقيقتها متمثلة في ابنتها التي تركتها نسخةً مصغرةً منها.

\_ اعذريني إني معرفتش أجي العزا يا ملاذ، زوجي كان عنده مشاكل جامدة في الشغل وأول ما اتحلت شوية سييته وجيت أنا والعيال على طول وفضل هو هناك.

قالتها الخالة سناء بعد أن انتهت ملاذ من تبديل ثيابها بملابس منزلية مريحة مطلقاً لشعرها العنان؛ فخالتها لم تتجب سوى

الإناث، أكبرهن منال؛ متزوجة وتقيم مع زوجها في الخارج،  
والوسطى ضحى أكبر من ملاذ بعام واحد وتدرس الفنون الجميلة،  
أما آخر العنقود شروق فلا تزال في المرحلة الثانوية.

\_ دي أختك يا خالتي وعارفه إن زعلك عليها مماثل لزعلي وأكثر،  
أنا بس وقتها... ملقتش كتف أتسند عليه!.

تتهدت، بلى وجدت، كان هو خير من ساندها حين ذاك، لكم بغضت  
هذه المساندة حينها درجة أنها كانت لتفضل السقوط عوضاً عنها..

\_ يا حبيبتي يا بنتي، أنا كنت راجعة ومقررة أخذك معايا برا، بس  
عرفت إنك اتخطبتي...

التقطت أذناها الكلمة ليرتجف لها قلبها، ها هي الفرصة مواتية  
للابتعاد كما تريد وتتمنى، وكأن القدر الذي يصر على دفعها في  
طريقه يُبعد يديه عنها فجأة، يتحداها، يُخبرها ها أنا ذا أنزع  
حتميتي عنك، أريني حُرية اختيارك!

قصت عليها قصة ارتباطها بسعد، واستثنت كل ما دون ذلك، لم  
يأت ذكر أدهم على لسانها مع أنه ظل يتقافز إلي عقلها طيلة  
الجلسة، لكنها افتقرت الشجاعة لتخبر خالتها عن قصتها الفاشلة  
معه، أو عن نهايتها التي جاءت قبل حتى أن تبدأ..

\_ ربنا يسعدك يا بنتي، بس أنا شيفاي مطفية ومش عجباني  
وبصراحة مش راضية عن قعادك لوحدك، خاصة وإنتي بقيتي  
مخطوبة وكلام الناس مبيرحمش.

\_ مش فهماي يا خالتو

\_ انتي لسة صغيره ومن غير تجارب، بس واحدة زيك أهلها  
متوفيين واتخطبت وهيا قاعدة لوحدها في بيتها، تفتكري الكلام  
هيرحمك لو لمحوكي مع خطيبك؟!!

اجتاحها الخجل والصدمة، لم تفكر بهذه الطريقة من قبل، هي  
ليست صغيره كما سبق وبررت لها الخالة، كل ما في الأمر أن  
ترووس عقلها قد توقفت منذ حادثة أدهم مع رنا، من حينها فقدت  
قدرتها المعهودة على التفكير والتحليل.

\_ يعني إنتي شايفة إيه؟

\_ شايفة إن قدامك خيارين اتنين، يا إما تتجوزي سعد في وقت  
قريب، يا إما تجي معايا وتكملي تعليمك برا وتبقي تنزلي على  
الجواز على طول.

شعرت بقلبها ينبض في حلقها الجاف، ابتلعت لعابها عله يعود لمكانه لكنه ظل واقفاً يسد مجرى تنفسها، الخياران في غاية الصعوبة، بعيداً عن مشاعرها الحمقاء فسفرها يعني أن تبدأ مشوارها في الجامعة من جديد، للمرة الثانية، وهي لم تعد قادرة على هذا، ما حركها في المرة الماضية كان شغفها الكبير وروحها الطليقة، الآن تشعر بذاك الشغف قد نضب، وروحها تختنق في حيزها الضيق الذي سقطت فيه من عل، أما الخيار الثاني والذي يتضمن زواجها من سعد، ستموت لو عجلت موعد الزواج، خاصة في حالة مشاعرها المضطربة هذه؛ هي لن تسمح لنفسها أبداً وبأي حال من الأحوال أن تتزوج برجلٍ وهناك \_ولو طيف بسيط\_ من حب رجلٍ آخر لا يزال عالقاً بقلبها، لن تُزف إليه إلا بقلبٍ طاهر... هذا أقل ما يستحقه رجلٌ كسعد.

\_ الخيارين أصعب من بعض يا خالتو.

\_ قدامك فترة الإجازة تفكري براحتك يا ملاذ، ومتقلقيش عمري ما أضغط عليك في حياتك الشخصية، إنتي بالنسبالي زي ضحى وشروق وخوفي عليك زي خوفي عليهم بالظبط.

\_ طب وبالنسبة للغبانة منال خلاص نسيبتها؟!!

\_ منال ع الأقل اتجوزت واطمنت عليها مع راجل ابن حلال  
بيصونها، لكني هفضل شايلة همكم لغاية ما تبقو زيها كدة.

أومات ملاذ متفهمة، لقد كانت بحاجة لهذا الشعور بالفعل، أن هناك  
من يقلق لأمرها ويفكر في شأنها ومصحتها؛ شعور دافئ حُرمت  
منه منذ مدة، وأن أوان أن تنهل منه القليل..



\_ سبتي الرسم؟!!

قالتها ضحى، كانت قد عادت من الخارج منذ ساعات برفقة  
شقيقتها شروق، ولا حاجة لوصف كيف كان اللقاء بين بنات الخالة  
وكم الشوق الذي بدا على وجوههن جميعاً، نست ملاذ وهي تجلس  
معهن كل مشاكلها ومشاعرها وكأنها تركتها مُعلقة على أبواب  
القاهرة، إنها هُدنة لذيذة ستحاول الاستمتاع بها، رغماً عن القرار  
المصيري الذي تنتظره خالتها منها.

\_ تقدري تقولي هو اللي سابني.

ردت على سؤال ابنة خالتها، بعد جلسة المُسامرة اللذيذة السابقة والتي جمعت بينها وبين خالتها وابنتيها، حلت هذه الجلسة الأقرب للشاعرية، والتي تجمع بينها وبين ضحى فقط..

توأمتها التي خرجت من رحم غير رحم أمها..

تأخر الوقت كثيراً حتى ظنت أن بزوغ الفجر قد قارب، لكنها بحاجة لمن يسمعها دون أن يخبرها بما ينبغي عليها فعله، وضحى دوماً كانت الأنسب للقيام بهذه المهمة..

جلستا متقابلتين في شرفة غرفة ضحى، يتكومان على كرسيهما ويلتحفان غطاءً ثقيلاً يحميهما نسيمات البرد التي تدك العظام دكاً..

تصاعد الدخان من كوب المشروب الساخن الذي ترتشفه ملاذ بتلذذ، نظرت للبيوت المحيطة وهي تتهدد، شاعرية هي الاسكندرية حتى في "عز البرد" ..

\_ مش معنى إنك حولتي من فنون جميلة إنك تنسي هوايتك يا ملاذ، إنتي موهوبة بجد ولازم تستعيدي مجدك تاني..

ارتشفت من مشروبها قبل أن ترد:

\_ مكنتش مقررة أبطل، أنا بس فجأة لاقيت نفسي بلف ف دوامة  
نستني اسمي أساساً، ومن ساعة وفاة ماما والوضع بيسوء أكثر.

\_ ربنا يرحمها يا حبيبتي، بس خلاص أعتقد خدتي كفايتك من  
الحزن والتوهان، من بكرة عاوزة أشوف ملاذ اللي أنا عارفها.

ابتسمت لها وهي تنهي مشروبها، حتى ضحى المستمعة الجيدة  
باتت تجيد الكلام والنصح، يا الهي لمن تلجأ إذا؟!... لكنها محقة،  
حتى هي اشتاقت ذاتها القديمة، تلك التي تسربت من بين أيديها  
شيئاً فشيئاً مذ التقت به.

أليس الحب الحقيقي هو من يُعيد للمرأة هويتها؟ ما بالها إذا تشعر  
أن حبه سلبها إياها؟!!

زفرت وكأنها تزفر ذكراه بعيداً عنها، لو أنه يبتعد قليلاً وحسب  
فيعطيهها فرصة للتفكير!.



ناطرتك أنا... ندهتك أنا

رسمتك على المشاوير

ياهم العُمر، يا دمع الزهر



يا مواسم العصافير...

تتبعث الأغنية من هاتف ضحى، لطالما أحببت الفتاة الإستماع  
للأغاني الحالمة ساعة الرسم، تُحب ضحى وتحب مشاركتها إياها  
لكل ما تفضله، إلا هذه المرة!..

هذه الأغنية عصفت بها، حملتها ودارت بالزمن لتعود حيث التقت  
به على أنغامها، وها هي تجلسُ في نفس المكان أيضاً!..

استغربت حين قالت لها ابنة خالتها صباحاً أنها ستذهب للرسم،  
من المجنون الذي يخرج بلوحاته في ساعات الصباح الباردة هذه  
لمجرد الرسم؟! لطالما سمعت عبارة " الفنون جنون " والآن فقط  
صدقته.

أمام إلحاحها الكبير تجهزت وخرجت معها، لم تعرف وجهتها  
تحديداً ولم تهتم بمعرفتها، فالنساءم الباردة التي داعبتها مذ خرجتا  
من العمارة أثلجت روحها المُحترقة .

\_ البحر يا ضحى!!

\_ آه البحر يا ملاذ، هو فيه أحلى من بحر اسكندريه ف عز البرد  
عشان نرسمه!!

على غير اقتناع سارت معها، تجر روحها التي اغتالتها الذكريات خلفها، تبتسم بضعف، إنها تخطو بقدميها نحو المكان الذي جمعها به أول مرة، تتمنى حينها لو يعاد المشهد القديم، لو تراه يتجه للبحر فتسمه بالجنون وتغادر، لو تتركه لحاله ولا تقترب...

لو تُطفئ أغنية فيروز اللعينة تلك!

\_ فيروز، والبحر، ولوحة رسم كبيرة وحبّة ألوان، بذمتك يا ملاذ فيه أمتع أو أحلى من كدة؟!!

تساءلت ضحى وهي تحادث ابنة خالتها، لم يأتيها رد فاستدارت ببصرها تطالعها، وجدتها تمسك بالفرشاة وتضع لمسات رقيقة بها على لوحاتها، عيونها تطالع اللوحة باهتمام شديد جعلها لا تستمع لكلماتها السابقة، ابتسمت ونهضت من مكانها لترى ما ترسمه جاذباً كل تركيزها هكذا..

\_ مين ده يا ملاذ؟!!

قالتها ضحى عندما رأت اللوحة، البحر يموج بها كما يموج أمامها الآن تماماً، لكن في منتصف اللوحة هناك عنصر غريب، رجل يقف بجسده وسط الأمواج العاتية دون أن يبدو عليه أي هزيمة.

\_ ده القدر اللي مفيش منه هروب يا ضحى.

\_ ومين مجنون يقف في وش موج زي ده.

\_ هو وقف، ومغرقش... أنا الوحيدة اللي غرقت!

نظرت ضحى لعينيها وابتسمت قائلة:

\_ الحلو غرقان لشوشته باين.

\_ وهيموت ويوصل لبر والله يا ضحى.

جذبت الفتاة كرسيها من أمام اللوحة لتضعه في مقابل ابنة خالتها ذات الكلمات الغامضة، أنستها بها الحالة التي استحضرتها لترسم، صارت فاقدة الشغف من كل شيء الآن إلا من معرفة ما تخبؤه عنها.

جذبت معطفها الثقيل حولها أكثر وهي تسأل:

\_ احكي لي، سمعك.

تركت ملاذ فرشاتها وطالعتها، هي تنتظر هذه الكلمة مذ وصلت هنا ولن تضيعها أبدا.

\_ بس خالتو سناء ممنوع تعرف.

\_\_ شوقتيني أكثر، او عدك يكون سرك في بير.

بدأت بالحكي، على وقع نغمات فيروز وهي تشدو بأغنية البداية التي جمعتها سوياً، بطريقةً أو بأخرى، جلست ضحى تصغي باهتمام للتفاصيل التي تسمعها أول مرة من ابنة خالتها، رأت عينيها الكحيلتين تلمعان بلمعة خاصة كلما جاءت بذكر ذاك المدعو أدهم، انطفأت تلك اللمعة في الدقائق التي حوت سردها لقضية اغتصابه لفتاه، والغريب كل الغرابة أنها عادت تلمع بعد أن انتهت من تلك القضية وكأنها تجاوزتها.

أنصتت باهتمام، كان حُكمها منذ البداية أن تلك العلاقة باطلة طالما لم يحترمها هو، لكن لغة جسد ملاذ أنبأتها بالحقيقة المرة والتي ترفض صاحبها الاعتراف بها؛ هي \_\_ ومع كل آثامه وذنوبه في حقهما \_\_ لازالت تحبه، اسمه مطبوع في كل جملها الحلوة، وظيفه الوحيد الحاضر على أطراف ابتساماتها العذبة، تكاد تشعر حتى أن قلبها ينبض نبضة مختلفة حين تذكره..

لقد تمكن ذاك الرجلُ منها، وارتباطها بغيره درب من الجنون!

\_\_ مش مصدقة إن ملاذ العاقلة تفضل متعلقة بحبل دايب زي ده!

\_ مبقتش عاقلة من يوم ما شوفته يا ضحى، و عارفة و متأكدة إني  
غلطانة كمان بس...

قاطعتها إذ قالت بحدة غير مألوفة:

\_ آه غلطانة يا ملاذ، و غلطانة في حق نفسك قبل أي حد، كان لازم  
تستني لما حبك ليه ينتهي زي ما علاقتكم انتهت، مكنش ينفع  
ترمي نفسك في حزن أول راجل يتقدمك عشان تنسيه..

ومين؟! ..صاحبه وعشرة عُمره يا ملاذ؟! ...مش صعبان عليكِ  
الراجل اللي بتستغفليه وهو مش عارف باللي كان بين خطيبته  
وصاحبه؟! ... مش حاسة بظلم وانتِ بتستنزي مشاعره ع  
الفاضي في حين إن فيه راجل غيره هو الوحيد اللي معاه صك  
ملكية مشاعرك؟! ..

لازم تحطي حد ياملاذ، مش بس لأدهم، لازم تحطيه ليكِ إنتِ  
شخصياً.

جرت دمة خائبة على وجنتها التي احمرت من شدة البرد، تبعها  
أخرى.. وسرعان ما على صوت نحيبها بالبكاء، ربت عليها ضحى  
تحاول تهدأة مشاعرها العاصفة، كتلك التي ترسم في السماء الآن  
وتنذر بقرب هطول المطر.

قالت من بين شهقات دموعها وصرخات قلبها:

\_ أنا يا ضحى.. مُشْتتة، سفينة ضايعة ف وسط بحر كبير، ومش  
لاقيه بر أستقر عليه.

\_ للأسف إنتي لاقياه؛ كل الحكاية إنه مش ده البر اللي كان نفسك  
فيه، مش ده البر اللي جهزتي مرساتك عشانه يا ملاذ.

نظرت لها وقد اكتفت من ثورة دموعها، بدأت أصوات بكائها تهدأ  
وقد لامستها كلمات ابنة خالتها، سألتها باهتمام:

\_ وف رأيك أعمل إيه؟!

ابتسمت ضحى لترد:

\_ لفي سفينتك وخليها تروح للبر اللي عاوزاه، اوعي في يوم  
تستقري على بر لمجرد إنه المُتاح، أهونك تموتي غرقانة من إنك  
تعيشي في شط مش شطك.

\_ بس البر الثاني ده...

\_ غدار، وعليه سفينة غيرك، ومرساة سبقت مرساتك.

\_ مش هستحمل.

\_ بس انتي مش عاوزة غيره..

\_ يبقى هغرق!..

\_ قولتلك أهونك الغرق من شط مش شطك.

هدأت الأصوات، صوت الموج وصوت صراخ قلبها كانا يتصارعان  
أيهما أشد وطأة، ابتلعت لعبها وهي تتدبر تلك الكلمات، نظرت  
لخاتم خطبتها شاردة... نعم، لن ترسو بسفينتها إلا على البر  
المُناسب لها!.

باغتتها الأمطار بهطولها المفاجئ، رقدت ضحى تنتزع لوحها  
لتدسها في حافظتها الجلدية قبل أن تطولها المياه، بينما حلست  
ملاذ تتأمل لوحها ومياه المطر تغسلها من أعلاها، ذابت الألوان  
التي تعبت في خلطها بعناية، تساقطت عن اللوحة وهي تسير طوعاً  
وكرهية مع خط نزول المطر، رأت طيفه الذي رسمته وسط  
الأمواج يذوب... يختفي مع المياه ويسير معها..

ابتسمت رغم حزنها على لوحها، لم تُغرقه الأمواج، لكن أخفاه  
المطر! .

\_ يا مجنووونة، اللوحة باظت يا فقرية.

\_\_ شكلها كدة أحلى.

\_\_ هي بقالها شكل؟! دي رجعت بيضا تاني..

نظرت لها وابتسمت، ردت شاردة:

\_\_ مفيش حاجة بيلمسها أدهم تعرف ترجع لأصلها من تاني!





(20)

"لو حسيتي ان ده مش مكانك اهربي واوعي حتى تلفي تبصي وراكي، لو بصيتي ممكن تضعفي وترجعي عن قرارك ساعتها هتعيشي عمرك كله ندمانة "

ترددت عبارة أدهم السابقة داخل عقلها وهي تجلس في الشرفة الملحقة بغرفتها داخل منزل خالتها، كانت قد فرغت من تناول الغداء اللذيذ معهن وفضلت شرب الشاي داخل شرفتها حتى تنفرد بتفكيرها قليلاً.

همست لنفسها:

\_\_ هو مش مكاني فعلاً يا أدهم، بس إيه العمل لما يكون مكاني الحقيقي مشغول بحد غيري؟!!

قاطعها صوت رنين الهاتف لينتشلها من وحدتها المحببة، طالعت شاشته لتجده سعد، الرجل الذي قررت الانفصال عنه أخيراً، يكفيها استهلاكاً لمشاعره الطيبة عند ذاك الحد، ولتقبل هي عقاب القدر لها على الزج به في هذه العلاقة العقيمة.

ردت: احم، سعد ازيك عامل ايه؟!!

\_ بصراحة، زعلان منك، بقى أبقى مستني الإجازة عشان أعرف

أشبع منك تقومي تسيبيني وتسافري؟!!

\_ انت عارف بقى الظرف وإن خالتي لسة راجعة من السفر، دي

فرصة مش بتتكرر كثير.

\_ ماشي يا ستي، المهم عندي إنك تكوني مبسوفة.

ارتجف حلقها، سمعته يقول: أخبار اسكندريه ايه؟!!

\_ جميلة في عز البرد، زي ما هي جميلة في عز الصيف.

\_ غريبة، بتوصفيها ولا بتوصفي نفسك؟

سكتت مضطربة، إن كانت ستتركه فينبغي أن تقطع عليه كل سكك

تغزله هذا، تنهدت وهي ترد:

\_ سعد، لما أرجع عاوزة أتكلم معاك شوية

\_ ما احنا بنتكلم أهو.

\_ لا، الكلام اللي هقوله محتاجك تكون قصادي عشان تسمعه،

مش مجرد مكالمة.

أصابه الارتباك، كان ليفرح كثيراً بهذه الكلمات لو قيلت بنبرات أخرى؛ فنبرات صوتها الهادئة المترددة توحى أن كلامها لن يحمل له الخير مُطلقاً.

\_ اللي تشوفيه يا حبيبي.

أنهت مكالمتها الثقيلة وطفقت تتفحص الهاتف، تنتقل بين تطبيقاته على غير هدى، تدرك الآن قرارها النهائي، ستترك سعد، لكن لا مجال للعودة لأدهم..

كُتب على سفينتها الإبحار حتى ينفذ وقودها، ثم الموت غرقاً!

ظهرت صورته لها في آخر أخبار "فيسبوك" ... تهنئة شديدة الرسمية من مُحاضر زميل له، يُهنئه على بحثه الأخير وتحصيله جائزةٍ ما، توقفت عند صورته الأكثر رسمية من المنشور، يرتدي فيها إحدى بذلاته السوداء ويجلس خلف مكتبه، مبتسماً ابتسامته المهلكة..

كتبت له تعليقاً بالمباركة وتمنت المزيد من النجاح والتقدم له.

عادت وابتسمت على حالها بسخرية، نعم، ستغرق سفينتها بها، لكن لا بأس أن تغرق قريبةً بعض الشيء من برّه!

بعد دقيقة قفزت رسالة منه أعلى الشاشة ليهتز لها قلبها قبل هاتفها:

\_ بتكتبيلي تهنة ع العام؟

\_ وايه الغلط في كدة؟!!

ردت مبتسمة، لم خصه الله دون غيره بهذا التأثير الغريب عليها؟  
\_ الغلط إن العام ده للناس الغريبة... استنيت منك إنتي بالذات رسالة.

\_ بس الغلط الحقيقي إنك تستناها.

تأخر في الرد هذه المرة، رآته يكتب ثم بدا وكأنه يحذف ما كتبه ويعيد الكتابة من جديد، ظهرت رسالته الجديدة:

\_ أنا هفضل عمري كله " أستناها".

وضعه لآخر كلمة بين علامتي تنصيص جعلها تدرك على من يعود الضمير، تنهدت بمقدار ما يتسع صدرها للهواء، أغمضت عينيها وهي تتمنى، تقافزت داخل عقلها الكثير من الجمل التي بدأت ب"لو" ..

لو أنه لم يذهب لِيَقِل رنا تلك الليلة الغبراء، لو أنه تجاهل وجودها  
في المنزل وخذ للنوم بدلاً من التسامر مع شيطانه الأسود

لو أن الأمور سارت كما رُتب لها، لكنت الآن تجلس في شرفة  
غرفته هو، تلتحف ذراعاه اللذان سيثبتانها دافئاً أعمق من هذا  
الذي تجده من غطائها الثقيل.

لو أن كل ما حدث لم يحدث، ولو يحدث كل ما تمت حدوثه!!



\_\_ ها يا ست ملاذ إيه رأيك؟!!

قالتها ضُحى وهي تجالسها في اليوم التالي، أخبرتها عن معرض  
فني كبير يتبنى صغار الفنانين الموهوبين لإظهار لوحاتهم للنور  
وطلبت منها المشاركة معها.

\_\_ مش عارفة يا ضُحى، حاسة إني مش أد حوار المعارض واللام  
ده.

\_\_ ياستي جربي مش هتخسري حاجة.

\_\_ طب الموضوع عن إيه؟!!

\_ مفتوح، يعني ببسملوا فرشتك لخيالك تسليم أهالي، مالكيش حجة.

لا تدري كيف، لكنها وجدت نفسها ساعة العصر تجلس أمام لوحة كبيرة وببيها "باليت" الألوان، نظرت إلي فراغ اللوحة الأبيض تسأله عن محتواه الذي يتمنى أن تصطبغ به أليافه الرقيقة، فجأة ظهر وجهه أمامها، نفضت رأسها وهي تبتم للوحة..

هذا الوجه قد سبق واصطبغت به ألياف قلبي، ابحتي عن غيره أيتها اللوحة!..

عبرت فكرة ما بخيالها فأسرعت تمسك بتلابيبها قبل أن ترحل وراحت تنسجها على لوحها الخاوية..

بعض الأمل، والألم، الكثير من الحب، والكثير أيضاً من المعاناة، شعرت أنها تُفرغ مخزون قلبها في أبطال لوحها التي بدأت تتضح معالمها أخيراً بعد ساعات من العمل المتواصل..

ففي المنتصف، وقف رجلٌ بمنظور جانبي، يرتدي ملابس تعود للعصر القديم، وبجواره.. لا، بل بأحضانها فتاة تطالعه بشغف ترتدي فستاناً يليق بالأميرات، تخيلتهما يتراقصان، يرسمان الحب

بالخطوات، فيتوقفا في النهاية بعد أن ينتصر الشوق على كل سابقة شعور مُنغص لِحبهما..

تستند الفتاة على صدره وهي تجتذب ياقة قميصه مفتوح الأزرار، كما لو كانت هي من فتحتها، أو ربما تكون قد فُضت من قوة رقصتهما الملحمية سوياً، تطالعه بنظرات يملؤها العتاب ويغلب عليها الشوق، فيرد عليها بنظراته التي تنطق بالأسف وتغزل آلاف الوعود بحبٍ جديد.

تتهدت ملاذ برضا وهي تطالعه بعد أن أنهتها، تشعر أن الفتى قد اقتبس ملامح محبوبها الوحيد، لكن ملامح الفتاة مُبهمة، جاءت كالخليط بين ملامحها ولامح رنا، في النهاية تعجزُ هي عن احتلال مكان غريمتها، حتى لو على وجه لوحة!

تناولت هاتفها والتقطت صورةً للوحتها بعد وضع اللمسات النهائية، أرفقتها في منشور على "فيسبوك" كتبت فيه:

" ف رأيكم اللوحة دي تصلح للمشاركة في معرض؟! ياريت اللي يجاوب يقترح عنوان ليها بالمرّة".

ملاذي

سرعان ما انهالت عليها التعليقات المُعجبة، تفاعأت بارتفاع أعداد التفاعلات ومشاركة المنشور التي كادت تتخطى الألف، شعرت بروحها تُحلق، وهي من نست هذا الشعور منذ مدة.

قفزت أمامها رسالة منه، وعليها الاعتراف أنها كانت تنتظرها.. جاء فيها:

\_ ملاذي.

ابتسمت لترد: ايه؟!!

\_ عنوان اللوحة "ملاذي" ..

\_ مش مقتنعة.

\_ بس أنا مُقتنع...

بالمناسبة، تسلّم ايدك.. مكنتش أتخيل إن رسمك بالحلاوة دي.

\_ ده أقل حاجة عندي.

ابتسم هو على الطرف الآخر، تردد كثيراً ثم كتب:

\_ تسمحيلي أتصل عليك؟!!



يسألها، وهو يعلم أنها لا تملك الرفض، كيف ترفض وهي المُشتاقَة  
لسماع صوته الرنان؟ مضت بضعة أيام مذ رأته آخر مرة وقد أكل  
الشوق في قلبها وشرب، لذا أحكمت القيود على ضميرها، وأرضته  
ببعض كلمات تعده فيها أنها ستكون مكالمة رسمية، و وافقت!.

\_ عاملة ايه في الإجازة!؟!

جاءت كأول عبارة نطق بها عندما تلقت مكالمته، لقد كافح كثيراً  
كي تخرج عبارته بهذه الرسمية، يتوارى من خلفها الكثير من  
عبارات الشوق والحنين، والكثير من الكلمات التي تتصارع جميعاً  
كي تخرج في النهاية على صيغة "أحبك".

استسلمت هي لشعور الانتشاء الذي غمرها لمجرد سماع صوته،  
وضعت اللوحة في حافظة جلدية مخافة أن يؤثر بها الجو فيغير  
من معالم ألوانها، نهضت لتقف في الشرفة تطالع واجهات الأبنية  
الكلاسيكية، لترد مبتسمة:

\_ الحمد لله، بقضي أحلى إجازة في عمري.

أكلت الغيرة قلبه، خاف أن تكون سبب "حلاوتها" رفقتها لصديقه  
سعد، وهو لا يملك الحق في غيرته تلك، لكنه قلبه مسلوب الإرادة،  
العاجز كل العجز عن تقبل تلك العلاقة.

\_ اممم، ربنا يفرحك.

\_ متغاظ لأنني فرحانة؟

\_ متغاظ لأن فرحتك مع غيري.

رد بسرعة واقتضاب، ليهتز قلبها من جديد، الآن أدركت لم لا  
تستطيع تجاوزه؛ بمنتهى البساطة لأنه لم يتجاوزها بعد..

لقد حلت اللعنة على قلبيهما سوياً، ويبدو أنها أبدية لا تزول!

\_ بس ملكش حق في غيظك ده.

\_ ليا كل الحق فيك!

تتهدت بغيظ، لتسكته ردت على الفور:

\_ بس أنا مش مع سعد يا أدهم، أنا في اسكندرية.

كان لكلمتها مفعول السحر على قلبه الملتاع بغيرته، على الفور  
خمدت نار الغيرة، لتشتعل على الفور نيران شوقه وذكرياته..

إنها في أول مكانٍ جمعهما سوياً، وهو أدرى الناس بطبيعة  
مشاعرها الآن، سيستغل شيطانه قليلاً للضغط عليها إذا.

\_ روحتي تدوري هناك ع الذكريات؟!

ضحكت بسخرية على كلامه وثقته الكبيرة، ردت بعد أن هدأت ضحكاتهما:

\_ بلاش ياخذك الغرور أوي كدة؛ روحت لخالتي.

قصت عليه قصة خالتها المسافرة، دون أن تغفل عن ذكر صفاتها الطيبة والتي تذكرها بأمها، استطاع هو ملامسة شعور الدفاء في حديثها، منذ مدة وصوتها بارد، يعكس الوحدة التي تتردى بها روحها، الآن يشعر بها دافئة مُنعمة بقرب أسري مُحبب.

\_ عشان كدة بقى رسمتي اللوحة.

\_ أها، هشارك بيها في المعرض الأسبوع الجاي.

\_ واثق إن "ملاذي" هتكون أجمل لوحة هناك.

\_ احم، خلاص قررت اسمها.

\_ بس أنا مش بتكلم عنها.

تدرج خذاها بحمرة الخجل، اجتاحتها بجنون حبه كما يفعل كل مرة، وروحها ضعيفة الآن تعجز عن مقاومة جنونه، بل وترغبه بشدة!

استمرت مكالمتها مدة لا تحصيها، شعرت خلالها بجزءٍ من روحها يعود إليها، شعورٌ نادر بالدفء لا تألفه إلا معه..

شعورٌ تحبه، وتبغضه... في الآن ذاته!.

\_\_ ممكن أسألك سؤال؟

\_\_ اتفضلي.

\_\_ أنت بتكلمني حالياً بصفتي إيه؟!

انقطع صوته ولم يرد لبرهة، تمكنت فيها من الاستماع لنسق أنفاسه الهادرة، كادت أن تتكلم لكنها سبقها إذ رد:

\_\_ ملاذ، فيه بعض الأسئلة مينفعش نسألها، ومينفعش بردو نجابو عليها.

\_\_ أنا بسأل لسبب يا أدهم.

\_\_ منا بردو ممكن أسألك نفس السؤال، بس أنا غيرك ويستحيل أسأله، مش رافة بيك ولا منعاً لإحراجك لاء...

بس بمنتهى البساطة لأنني عارف إجابته!..

\_\_ أدهم!!

\_ أدهم محظوظ لأنه سمع صوتك، محظوظ بقلبك اللي رغم  
جريمتي الكبيرة في حقه لسة قادر إنه يح...

قاطعته، مندفعة كطلقة مدفع، تمنع آخر كلماته من عبور جسور  
شفتيه، قالت مندفعة:-

\_ لاء، لا يا أدهم... عمري ما أسمحك تتغر أوي كدة على حساب  
مشاعري. أنا وأنت انتهينا..

أنا وأنت، سكتين يستحيل في يوم يتلاقوا!..

أنهت المكالمة مضطربة، طالعت شاشة الهاتف المستقرة على  
رسالته التي حوت تسميته للوحتها، رمت به على فراشها وهي  
تعود للغرفة ليرتمي جسدها فوق كرسي المكتب، تنهدت بعمق غير  
قادرة على تحديد مشاعرها تلك الساعة، لكنها لا تنكر أن بعض  
الاضطراب قد خف عنها عندما خلعت خاتم خطبتها ..

ومن الآن لن ترتديه ثانية، أبدأ!.....



(21)

وقف أدهم في شرفة منزله مساءً، يتجنب أي مكان يجمعه برنا، زوجته التي لا يزال عاجزاً عن تقبلها كزوجة.

سمع خطواتها تقترب منه ليزفر زفرة طويلة وصلت أذنيها.. اقتربت منه لتتحنى واضعةً كوب شاي على المنضدة ثم اعتذرت لتقول:

\_ أنا بس جيت أجيبك كوباية الشاي.

كادت أن تغادر، لكنها ناداها قائلاً:

\_ رنا، استني.

عادت تطالعه بنظرات كلها أمل، نظراتها ورغم جمالها وجمال صاحبته لم تمسه، يلعن قلبه العاجز عن حب حلاله والدائم الرفض له، قال بعد أن جلس على أحد المقعدين:

\_ اتفضلي نتكلم شوية.

جلست قبالتة وخيالها يرسم لها كلمات أسفه لتبتسم قبل حتى أن ينطق.

\_ بصي يا رنا، عاوزك تفهمي حاجة، أنا لما اتجوزتك فده عشان غلط غلطة في حقك، وغلط كبير أوي كمان، وده كان حله الوحيد...  
لكني مقدرش أخوض في الجواز ده حرفياً، أنا عاوزة يكون مجرد حبر على ورق، لمصلحتك إنتي قبل ما يكون لمصلحتي؛ مفيش راجل في الدنيا من مصلحته إنه يهجر مراته، واطن إنتي فهماني.  
ابتسمت بتهكم لتسأله:

\_ وايه بقى مصلحتي ف كدة؟!!

\_ إنك متعلقيش ف حبل دايب، متجريش ورا راجل مش قادر إنه يتجاوز غيرك..رنا، أنا مش عارف أقولهاك إزاي من غير ما أجرحك بس...بس أنا لو تمت جوازي بيك هحس إني بخونها بجد!..

اندفعت دماء الغضب داخل أوردتها، صاحت باتدفاع:

\_ انت اتجننت يا أدهم؟! أنا اللي مراتك وأنا الوحيدة اللي بتخان هنا!..

\_ لا يا رنا، لا، متكديش الكدبة وتصديها، إنتي عارفه م البداية  
إني بحبها، وإني يستحيل أنساها، ومع ذلك اتجوزتيني.

\_ أنت ليه محسني إني كنت أملك اختيار، أنت اغتصبتني يا أدهم.

\_ مش حاسس إنه كان اغتصاب، حاسس كأن الموضوع كان على  
هواك، أوي! .

\_ أدهم؟! .

\_ مدام رنا، تعرفي إيه عن البنت اللي بتعرض لاغتصاب؟! خاصة  
في حالتك المنهارة وقتها... أنا فاكر كويس الليلة دي، وفاكر إنك  
اتحركتي بمنتهى السلاسة بعد الحادثة وما احتاجتيش دكتور.

امتقع وجهها أكثر، تعرف مقصده، وهي تدرس الحقوق ولا تصدق  
أن تلك الجزئية فاتتها، إنها لعنة الجريمة غير المكتملة والتي  
أخفقت هي في سبها.

حاولت التكلم لكنه سبقها إذ قال:

\_ إنتي كنت كويسة، قدرتي تمشي بسهولة، وتباتي ليلتك من غير  
نزيف أو وجع، إنتي وبمنتهى البساطة قضيتي ليلتك معايا بإرادتك،  
مش بإرادتي!..



هكذا إذاً، على الأقل هو معترف بوجود "علاقة" بينهما تلك الليلة،  
بغض النظر عن الاستفادة منها أو الراضي بحدوثها..

قالت بصوت يحاول أن يبدو ثابتاً:

\_ مش غريبة إنك تقول كدة بعد كل الوقت ده؟!!

\_ انتي السبب، انتي اللي خليتيني أشك فيك، إصرارك رهيب و  
محاولاتك المستمرة خلتنى أقلب في اللي فات.

\_ حتى لو كلامك صح ده مش هيغير م الحقيقة حاجة، اللي حصل  
حصل.

انتفض في مكانه حتى أن كوب الشاي قد تحرك عن موضعه على  
الطاولة ليسقط مابه أرضاً، قال بحدة:

\_ لا هيغير يا هانم، ع الأقل بيني وبين نفسي مش هحس إني  
حيوان.

نهضت هي الأخرى تطالعه بنظرات ثابتة، قالت بهدوء:

\_ تعرف يا أدهم، أنا فعلاً بتمنى لو كنت حيوان، متفهمنيش غلط  
بس... يستحيل راجل سوي يقدر يمتنع عن ست زي الفترة دي  
كلها.

ابتسم بتهكم من كلماتها، رفع سبابته في وجهها وهو يرد:

\_ مفهومك عن "الراجل السوي" متبدل مع مفهومي عن "الراجل الحيوان" وأنا بحذرك يا رنا من محاولاتك المستمرة معايا، عشان صعب أوي تجيب نتيجة.

تركها وغادر، لا يُنكر صعوبة مقاومتها كـ"امرأة".... هذا طبيعي، وهكذا خلق الله الرجال، لكن بمجرد أن تفتح فمها في حضرته يخرج منها كل ما ينفره ويعيد إليه رشده، وهو لن يكون راضياً أبداً بزوجة تحمل عقلية كتلك، حتى لو صارت "ملاذه" من المستحيلات، فلن تكون رنا أبدا هي المرأة التي يسد بها خانتها الفارغة...

تلك الخانة التي يصعب سدها بامرأةٍ سواها!...



\_ يوم المعرض، اسكندرية:

وقفت بجوار لوحتها بزهو، الساعات الماضية مذ بدأ المعرض عبأت خزان ثقتها بنفسها حتى كاد ينفجر، في البداية كانت خائفة، مهزوزة، تشعر أنها تهورت بهذه الخطوة خاصة بعد انقطاع

علاقتها بالرسم منذ مدة طويلة، لكن ومع تهافت الحضور على لوحاتها، وإطرائهم الشديد على فكرتها والمشاعر التي تبثها بداخلهم، وجدت الفرحة والثقة يتسللان إليها رويداً رويداً، لتقف في النهاية بابتسامة واثقة ترد بمنتهى الهدوء والسلاسة على كل سائلٍ...

\_ اللوحة للبيع يا آنسة؟!\_

أيقظها من غفلتها صوت رجولي ينبعث من خلفها، استدارت تُطالع صاحبه لتتفاجأ به!\_

وقف يدس كفيه في جيوب معطفه الثقيل، هناك وشاح كبير يلتف حول عنقه يخبيء عنها ذقنه التي تعشقها وفمه الذي تلون بابتسامة عاشقة حفرت غمازتيه في وجهه لتزداد وسامته وسامة، نظرت للوحة ولعنت نفسها..

ألم يكن هو، بوقفته الجذابة هذه، أولى ألف مرة بالرسم داخلها؟!\_  
مكنتش أتوقع إنك تيجي.

تقدم منها أكثر حتى وصلها عطره الأخاذ، كان آخر ما ينقص قلبها  
المسكين أن يشتم عطره في هذا البرد القارس، كيف يجد البردان  
ملاً بالدفء ولا يرتمي بأحضانة؟!!

قال بابتسامة بعدما ازاح عنه الوشاح أخيراً:

\_\_ مكنش ينفع أسيب "ملاذي" تروح لحد غيري.

\_\_ تلميحائك كترت.

\_\_ عساها تجيب نتيجة ف يوم!

ابتسمت له إبتسامةً أضاء لها قلبه، وقف بجوارها يُطالع اللوحة  
ويستقبل معها الحضور حتى نهاية اليوم، أعجبها حضوره القوي،  
وأحبت كثيراً مشاركته لها هذا الحدث المهم في حياتها، لكنها لم  
تحب أبدا نظرات الفتيات التي لاحقت كل كلمة نطق بها إعجاباً  
وحباً..

\_\_ ها ايه الاخبار يا بنت خالتي؟!!

قالتها ضحى وهي تتقدم منها بعد نهاية اليوم، تحمل حافظتها  
الجلدية وتطالع أدهم بابتسامة، تساءلت قبل أن تتكلم ملاذ:

\_\_ حضرتك....؟!!

ابتسم أدهم بود وهو يرد:

\_ أدهم.

بكلمته البسيطة جعل الفتاة الواقفة في حضرته تبتسم وهي تطالع ملاذ، فهم من نظراتهما أن ملاذ قد حدثتها عنه، والآن رغم خطبتها، بثه هذا بعض الأمل خاصة عندما نطقت الفتاة:

\_ وأنا ضحى بنت خالتها، كنت جاية عشان نروح سوا، بس يظهر إني هروح لوحدي.

\_ ضحى استني!..

حاولت ملاذ ايقافها لكنها همست لها:

\_ دي فرصتك، شوفي سفينتك عاوزة أنهى بر

\_ ضحى، إنتي عارفه إنه مينفعش.

\_ كنت بقول زيك كدة قبل ما اشوفه، ملاذ..الراجل اللي واقف وراكي ده بيحبك بجد، ومش هتلاقي بر زيه مهما دورتي.

عادت إليه على استحياء، وجدته يحمل اللوحة على كتفه بعد أن أودعها حافظتها، اقتربت منه وهي تقول:

\_ إيه؟!\_

\_ بقت بتاعتي خلاص.\_

\_ كان ممكن أرسملك واحدة زيها، كنت عاوزة أشارك بكرة وبعده  
كمان.\_

\_ والله؟ وأسيبك واقفة كدة طول اليوم تهيه وتميه مع اللي رايح  
واللي جاي.\_

ضحكت بخفوت على عبارته، حك هو جانب وجهه يحاول تجنب  
تأمل ضحكاتهما الأسرة، لو كان يقدر على تجنبها، لكان الأولى أن  
يكبح نفسه التي أمرته بالسفر إليها فور علمه بوجودها هنا.\_

\_ نمشي؟!\_

قالها ناظراً لساحرتيها الكحيلتين، فما كان منها إلا أن وافقت.\_



(22)

تسلل الليل من حولهما بدهاء، واحتل القمر مكان الشمس الغاربة  
بسهولة لتزداد نسمات الهواء برودة...

سارا متجاورين في الشوارع المؤدية لبیت خالتها، كان قريباً منها  
جداً، لا يعبأ بالمسافة التي من المفترض تركها فاصلةً بينهما أثناء  
السير، الأمر بدا كأنه يساير زوجته وليست...

زوجته؟!!!

نظرت له على الفور وسؤالها يغادر عقلها مسرعاً:

\_ أنت قاعد هنا ولا إيه؟! وفيين رنا.

نظر لها وهو يزفر، رد:

\_ عندك إصرار رهيب على إفساد اللحظات الحلوة، لا ياستي مش

قاعد هنا، ولا رنا كمان هنا..

\_ أومال..

علم بسؤالها قبل أن تطرحه، لذا قاطعها وهو يقول بحب عجز عن إخفائه:

\_ جيت علشانك \_

أخفضت وجهها على الفور، خجلها منه يذفنها في مثل هذه الليلة الباردة، وقلبها يحثها أن ترتمي بأحضانها، أن تعلق بجسده كما علق هو بروحها، وألا تغادره كما يرفض هو المغادرة.

وقفا أسفل البناية يتبادلا النظرات، قال هو:

\_ الدراسة الأسبوع الجاي، متأخريش في الرجوع \_

\_ ممكن ما أرجعش أصلاً \_

\_ بتقولي إيه؟! \_

\_ خالتي عرضت عليا السفر معاها برا مصر، وحالياً مدياني فرصة للتفكير \_

تسلل البرد إلي روحه أخيراً، وهو الذي أمضى كل الساعات السابقة غارقاً في دفء قربها، تجهمت ملامحه وسأل بريية:

\_ تفكير؟ هو انتي عندك قابلية للسفر؟! \_



\_\_ ليه لأ، أنا محتاجة أبعد شوية.

\_\_ تبعدني عن إيه يا ملاذ، أو خلىنا نكون أدق، تبعدني عن مين؟!!

محتاجة تبعدني عني يا ملاذ؟!!

ارتجفت شفتاها تخاف أن تجيب، وهل تحمل إجابتها الصواب؟!!

عادت ونظرت إليه، تحديداً إلى عينيه المشتعلتين بنيران حبهما،

هل تقدر \_\_ فعلاً \_\_ على الابتعاد عنه؟

متى ابتعدت مذ تقاطعت دروبهما واعترف لها بحبه؟!!

هي تراه دوماً، بصفة يومية، تحادثه ويحادثها، يغضبان، تثور

ثوراتهما، يعاقبها ويتجنبها، ويعود يجر ذبول الحنين، لكن بالنهاية

لم يبتعدا قط..

حتى في هذه العُطلة، ها هو يقطع المسافات الفاصلة بينهما بمنتهى

الجنون، منصاعاً لأوامر قلبه ويقف أمامها قاطعاً عليها فرصة

التفرد بذاتها..

متى ابتعدا إذا؟

تنهدت لترد عليه قائلة بقلب مبتئس:

\_ مش محتاجة أبعد عنك يا أدهم، محتاجك انت تبعد عني، ودي حاجة يستحيل تحصل، حتى لو روحت آخر الدنيا.. مستحيل تحصل!..

تزامن تساقط دموعها مع هطول المطر المفاجئ، انزويًا سريعاً في مدخل العمارة حتى تنتهي تلك العاصفة..

نظرت إليه وهو يطالع الشارع الذي سرعان ما أصبح خاوياً، رأت عظام فكه تشتد، تعلم أنه يكتم عنها ألمه، ولا تعرف كيف بإمكانها مداواته.. سمعته يتحدث أخيراً إذ قال:

\_ أنا راجع القاهرة بكرة الصبح بإذن الله، مش هتواصل معاك لغاية بداية الدراسة، رجوعك القاهرة، وإني أشوفك تاني في وسط صفوف الطلاب هيكون إجابة للسؤال ده يا ملاذ:

" تقدر تبعدني عني، أو لاء؟! "

طرح سؤاله وغادر، غير عابئ بالمطر الذي يُغرقه، مُطمئناً أن لوحته الغالية تحتمي داخل أحضان حافظتها الجلدية السميقة، وصاحبتها، تلك التي تجيد العزف على أوتار قلبه وسرعان ما تدميه بعدها، تحتمي هي الأخرى في بيت خالتها..

لا بأس إذن أن يغتسل هو ببعض المطر.

\*\*\*★\*\*\*

مر أسبوع مذ بدأت الدراسة، لم تحضر هي ولا مرة خلاله، يتفحص صفوف الطلاب بناظرية كل يوم، وكل يوم يمر يحمل له خيبة جديدة.

كاد أن يبدأ شرح أولى محاضراته في الأسبوع الجديد، خط عنوان المحاضرة على الحائط واستدار يطالع الجموع، لم يهتم بالبحث عنها من جديد؛ حمل غيابها مدة أسبوع كامل الإجابة عن سؤاله؛ ملاذته يستطيع هجرانه... وبمنتهى السهولة.

وقف بصره عندها، التقطها بسهولة تجلس في الصف الأول بجوار صديقتها الوحيدة، تبتسم له، ليشعر أن سعادة الكون لا تكفيه.

\_ شوفتي يابت كان بيبيص لك إزاي؟!\_

\_ بس يا قمر

\_ بس إيه ما انتي متعرفيش حاله كان عامل إزاي طول الأسبوع اللي فات.

ابتسمت ملاذ وهي تتخيله، لم يكن قرارها سهلاً، كذلك إقناع خالتها بالسفر وتركها بمفردها، تكفلت ضحى بتلك المهمة الصعبة، وفي النهاية اضطرت إلي إخبارها عن نيتها في فسخ خطوبتها بسعد.

\_\_ حقه يابنتي، متعرفيش عمل إيه ف اسكندريه.

\_\_ بت يا ملاذ، أنا شكلي كدة والله اعلم هبتدي أحسدك عليه.

ضحكت من كل قلبها على حديث صديقتها، وعقلها سرح في الخطوة المُقبلة.



وقف آخر اليوم بجوار مكتبه ينتظر مرورها، يعلم أن محاضرتها في القاعة القريبة منه تنتهي الآن، لمح طيفها المحبب يسير بجوار تلك الفتاة الوحيدة التي حظيت بصداقتها، تلاقى أعينهما سريعاً فابتسمت له مرغمة، يعلم أنها ابتسامه مرغمة لأنها أفلتت منه هو الآخر دون إرادة.

\_\_ آنسة ملاذ، مستنيكي في المكتب.

قالها برسمية عندما صارت أمامه ليستدير عائداً لمكتبه، وقفت  
قمر تضحك عليه وعلى صديقتها المتجهمه والتي سرعان ما  
استجابت لطلبه.

\_ أفندم..

قالتها وهي تدخل، متناسية أنه أدهم دكتورها الجامعي، كل ما  
تعترف به أنه ذاك الرجل المجنون متحدي الأمواج، وسارق قلبها.  
\_ والله جه اليوم اللي طالبة عندي تقولي فيه أفندم من غير ما  
أشيلها المادة.

\_ اتفضل شيل احنا مبنخافش.

\_ قولتيلي رقمك كام في الكشف؟

\_ تصدق طلعلنا بنخاف عادي.

ضحك عليها وطلب منها الجلوس، طالعها بنظرة ودية وقال:

\_ يعني رجعتي؟!!

\_ مش إجابة على سؤالك

\_ أومال إيه؟

\_ أنا حياتي كلها هنا وصعب فجأة أسحب ايدي منها وأروح أدور على حياة جديدة..

\_ سبق وسحبتيها، واطرميتي في حزن أول فرصة قابلتك عشان تنسي حياتك القديمة.

\_ مش حاسس إنك بتتقمص دور الضحية زيادة عن اللزوم؟! أنا الضحية الوحيدة هنا يا أدهم. الضحية اللي إنت دبحتها من غير ما تسمي عليها.

وقف عن كرسيه واستدار حول مكتبه حتى صار واقفاً قبالة الكرسي الذي تجلس عليه، جثى على ركبتيه أمامها، مقترباً كل القرب منها، مطمئناً لباب مكتبه المغلق ولعلمه أنها أضعف من أن تصده.

طالع عينيها المطلتين عليه من خلف غطاء رموشهما الكثيف وقال:

زي ما انتي ادبحتي فأنا من يومها مدبوح، وشايف إننا ماشيين في سكة غلط يا ملاذ، أنا.. أنا قلبي لسة مفتوح ليك، جاهز في أي وقت إنك تستقري جواه وللأبد، بس مستني منك القرار.

دمعت عيناها وهي ترد:

\_ بس انت متجوز.

\_ حبر على ورق، وغلاوتك عندي جوازنا مجرد حبر على ورق،  
عقاباً ليا على جريمتي معاها.

\_ مش فهماك!

ابتسم لها ليرد :

\_ لما نتجوز هفهمك.

أخفضت بصرها خجلة لتسمعه يردف:

\_ ده غير إني مش مستحمل أشوفك مع سعد، ولا أشوفه وهو  
مرتبط بواحدة قلبها مش معاها، لازم نحط حد للمهزلة دي كلها يا  
ملاذي.

أومات له تؤيد كلامه، خاصةً ما يخص سعد منه، إنه رجلٌ ظاهر  
لم يلوث بأثام الحب مثلما لوثا هما، يحق له الإبتعاد عن دوائرها  
ليحط رحاله في دائرة طاهرة تشبهه.



جلست في مطعم مشهور تنتظره، تُطالع كيس التغليف الموضوع على المنضدة أمامها، والذي حوى "شيكتهـا" منه وبعض الهدايا الأخرى، سيكون الأمر مؤلماً، لكن ألمه القريب خيرٌ وأنفع من ألمٍ يتردى فيه باقي عمره بمعاشرتة لامرأة لا تحبه.

\_ مساء الخير يا حبيبتي.

قالها وجلس قبالتها، يبدو على وجهه الانهـاك والتعب، ربما كان يعيد تفكيره هو الآخر طيلة فترة سفرها للإسكندرية.

\_ احم، مساء النور ياسعد.

نظر إلي وجهها المتجهـم وأدرك أن نبوءته السابقة ستتحقق، قال:

\_ أهـي الفرصة جت للكلام.

\_ أنا كنت بحاول أرتب كلامي قبل ما تيجي، بس صدقتي مش لاقية حاجة أدافع بيها عن نفسي قصادك.. انت راجل محترم وأنا مستحـقـكش..

ضحك سعد بسخرية، مسح على وجهه يكتـم مشاعره المضطربة ثم طالعها ورد:



\_ غريبة، دايمًا الكلام ده بيتقال م الراجل لما يحب يخلع، أول مرة يطلع من بنت.

\_ عشان أنا مش حابة أخلع يا سعد، الكلام ده حقيقي وأنا غلظت في حقك لما قبلت أتخطب ليك... وأنا، وأنا قلبي ميال لغيرك.

\_ أفندم؟!!

\_ اوعى تفهمني غلط، أنا مخنتكش، ولو تعرف أبعاد الحكاية كلها هتعدرنى، لكنى مش قادرة أعذر نفسي ولا قادرة أكمل في علاقتنا سوا.

عادت إلى منزلها تسير بخطوات ثقيلة، تتذكر آخر ما دار بينهما، تتذكر غضبه الهادر وإصراره على معرفة ذاك الرجل الذي وقعت في حبه، وبمثل إصراره على معرفته كان إصرارها على كتمان أمره عنه، حتى فقد الأمل وحمل أغراضه وغادر، كان وداعاً مقتضباً يملؤه التوتر وبعض الكبرياء من جهته.

دلقت إلى المنزل وهي تتذكر آخر كلماته:

" زي ما اديتي لنفسك حق إنهاء علاقتنا سوا، اسمحيلي كمان  
أدي لنفسي حق طردك من الشغل، أنا آسف.. لكن مش هقدر  
أشوفك تاني وأفكر إنك كنتي طول المدة دي بتستغفليني" ..

ارتمت على فراشها، هي بالفعل أعدت أمرها لترك عمله، حتى أنها  
وجدت عملاً مناسباً في مكان آخر، لكن طرده لها جرحها بشدة..

لا بأس، عليها أن تتحمل مشاعرها الآن طالما تعلم أنها اتخذت  
القرار الصائب.



(23)

في اليوم التالي:

جاءت أسماء وأصرت على مرافقتها للجامعة، وهي من كانت قد نست وعدها القديم لها باصطحابها، لكن الوضع اليوم مضطرب؛ ستسألها عن خطيبها وستكون مضطرة لإخبارها الحقيقة، والتي لا تعلم كيف ستكون تبعاتها إن هي فعلت.

سار اليوم طبيعياً، باستثناء امتعاض قمر من تلك التي اصطحبتها رفيقتها معها، لم ترتح لها منذ اللحظة الأولى، حاولت التغلب على ذاك الشعور لكنه بقي قابلاً خلف ستار قلبها.

\_ بجد يا ملاذ مش عارفه أشكرك إزاي، انتي حقتيلي أمنية من أمنيات حياتي.

قالتها أسماء وهي تسير برفقتها في الرواق الفاصل بين القاعات، كان اليوم الدراسي على وشك الانتهاء، يفصلهم عنه محاضرة واحدة متبقية.

\_ عيب يا أسماء إحنا أهل.

\_ أنا مضطرة أسيبكم بقى عشان متأخرش في المواصلات، بس  
بإذن الله تتكرر.

ودعتهما باقتضاب وغادرت، في حين استدارت قمر لملاذ  
وأسرعت تقول:

\_ البت دي مش مرتحالتها.

\_ متقوليش كدة، هي ممكن تبان خبيثة شوية بس غلبانة زي ما  
انتي شايفة.

\_ مش عارفه ليه بس حاسة إن الغلبانة دي بتخطط لمصيبة.

تنهدت ملاذ في حين أردفت قمر:

\_ هتقوليله؟!!

علمت أنها تتحدث عن أمر فسخ خطبتها، وبالطبع فطنت على من  
يعود الضمير، ردت:

\_ ده صاحبه الروح بالروح؛ زمانه عارف من امبارح.

\_ بتحطي نفسك في مواقف بايخاااه.

\_ طب اسكتي بدل ما أقطعك لسانك.\_

ضحكت قمر واستمرت في مشاكستها، حاولت تقليد صوت أدهم لتقول:

\_"ملاذ، مش هسيبك تروحي مني المرة دي، أنا وانتي اتخلقنا لبعضنا، تعالي ننسى الماضي وأوعدك إني أعوضك عن كل أحزانك".\_

قالت جملتها الأخيرة بطريقة استعراضية رافعةً يدها على صدرها كالممثلين لحظة أداء نص مسرحي، كتبت ملاذ ضحكاتها بينما شق صوته الرنان قلب قمر نصفين إذ قال من خلفها:

\_ يانهار أبيض، هو أنا صوتي وحش أوي كدة؟!\_

ارتعدت الفتاة في مكانها بينما تعالت أصوات ضحكات ملاذ، ملاذه الوحيد، الذي صار حراً أخيراً، وكما قالت صديقتها المضحكة هذه؛ هو لن يدعها تضيع منه مجدداً.

\_ طبعا لو حلفتك إني كنت بهزر مش هتصدقني.\_

قالتها قمر تحاول تخفيف حدة الموقف، هي تهابه كباقي الطلاب  
ولا تصدق أن ضخم الجثة هذا قد وقع في غرام هذه العصفورة  
التي تصادقها.

\_ هديها لك المرادي عشان خاطر ملاذ بس.

نظر لملاذ وهو يُكمل:

\_ مستنيك.

\_ في المكتب؟!!

همس وهو يراقب وجه صديقتها التي كادت تفضح أمرهم بنظراتها  
الحالمة:

\_ لاء، في العربية!.

\_ أدهم؟!!

اقترب منها مستغلاً خلو الرواق من المارين وقال:

\_ أنا نازل، متأخر يش.

تفاجأ بصوت التقاط لعدسة كاميرا، استدار مرتبكاً ليجدها تلك الفتاة  
صديقتها ترفع الهاتف نحوهما، بمجرد أن طالعها أخفضته ونظرت  
له وهي تقول بشقاوة:

\_ معلى ابقى عدي دي كمان، بصراحة منظر ميتفوتش.

ابتسم خجلاً، بالنهاية لا يحب أن تظهر مشاعره أمام شخص غريب  
عنه، همس لملاذ وهو يرحل:

\_ هسبقك، وانتي هاتي الصورة من صاحبك المجنونة وحصليني.



(24)

تحرك بالسيارة عابراً بوابة الخروج، على يمينه جلست تُحاول  
تجميع شتات نفسها.

أيقنت أنها الآن \_ على الأقل \_ لا ترتكب إثماً عظيماً كالخيانة، وأنها  
لا تدين لأي شخص بأي تائبٍ للضمير، تنفست الصعداء وطالعت،  
ذاك الرجل الذي من المُفترض أن تكرهه، أن يكون آخر رجل في  
العالم يشغل بالها بعد ما فعله، والغريب... أنها لا يشغلها سواه!

\_ مقولتليش ليه؟

تنبهت أخيراً أنه يحادثها، نظرت له وسألت:

\_ أقولك إيه؟

\_ إنك هتسيبيه، إنتي كنتِ لسة معايا قبلها.

\_ مش لازم تعرف كل حاجة.

\_ ذكائك ما قالكيش إني أول حد هيعرف كدة كدة.



ابتسمت، بلى بالطبع عرفت أنه أول من سيركض سعد للبكاء داخل  
أحضانها، سخرية جديدة من القدر أن يبكي الخطيبُ خطيبته في  
أحضان حبيبها دون أن يدري.

\_ عاوز إيه يا أدهم؟

توقف بالسيارة، بجوار أحد مطاعم العاصمة المشهورة، قال  
مبتسماً:

\_ بصراحة كدة مزاجي رايح لأكلة سمك تدفينا في الجو ده، وانتي؟

سارت خلفه ضاحكة، يبدو في مزاجٍ جيد اليوم...

مزاجٍ ملائم للحب!.

تناولا الطعام سوياً وهما يتذكران تلك الأيام التي تشاركا فيها  
منضدة طعامٍ واحدة، تحت سقف بيتٍ واحد كاد أن يكون بيتهما  
ذات يوم، أخذهما الحنين لتلك الأيام، وشعرا بها تلوح من بعيد  
تنتظر الإذن منهما أن تُعاد مجدداً.

\_ نتكلم؟!!

\_ نتكلم يا أدهم.

تنهد بعمق، كأنه يدفع الكلمات عن شفثيه، تتسابق لتخرج لكنه يريد لها أن تخرج مُرتبة، يكفيه ما فات من شتات، قال:

\_ أولاً، ورغم إني هبان شرير، بس أنا فرحان أوي، من فرحتي معرفتش أنام إمبراح، ولا عرفت أواسي الغلبان اللي جه يشتكيلي همه؛ كان فاضلي تكة وأقولها له صريحة.. أحسن، تستاهل، عشان تجرب حبة من وجع القلب اللي سببتهولي الفترة اللي فاتت.

\_ حرام عليك يا أدهم، سعد راجل محترم ومشوفتش منه أي حاجة وحشة.

\_ امم، وايه كمان؟

\_ من غير غيرة ملهاش لازمة، لو مكنتش أعرفك، مكنتش هاتمنى شريك حياة أحسن منه، ولا كنت أصدق أصلاً إني أقابله.

ظهر الغيظ في مقلتيه الفاتنتين، لتبتسم وهي تُكمل:

\_ لكن للأسف بقي..

\_ قومي يا ملاذ نروح، أنا غلطان أصلاً إني جيت أكلمك.

\_ هوا انت مش واخذ بالك من حاجة ف كلامي؟!!

\_\_ لا مش واخذ

\_\_ طب كمل كلامك وبعدين نتفاهم.

تتهد، يعلم أنها تحبه، وأن حبها له كان العائق الوحيد في سبيل  
علاقتها بسعد، لكن رغباً عنه يكره أن يسمع مدحاً له منها. قال:

\_\_ ثانياً يا ست ملاذ، أنا عاوز نخط النقط على الحروف مع بعض.

\_\_ بمعنى؟!!

\_\_ بمعنى إني راجل العمر خطفني من غير ما أحس، مش هاستنى  
لما أقفل الأربعين عشان أتجوز حب حياتي..

ازدردت ريقها خجلاً، طالعتة لتجده ينظر إليها مبتسماً، نعم هي لا  
تزال صغيرة، لكنه كبير بما يكفي ليحق له أن ينعم باستقرار بعد  
عاصفة عُمره الأخيرة، قالت:

\_\_ خلاص قررت مع نفسك كدة إنك هتتجوزها.

\_\_ للأسف هي متملكش اختيار أصلاً؛ يا أنا يا الموت.

\_\_ ساعات بخاف من ثقتك الزائدة.

أسند كلا مرفقيه إلي منضدة الطعام، نظر إلي كحيلتها ليبتسم  
ويقول بحُب:

\_ محدش قالك تروحي تنقذي الغلبان اللي بيغرق.

ضحكت، ردت له النظرة بنظرة لتقول:

\_ أنا الوحيدة اللي غرقت يومها..

جاء النادل لرفع الأطباق قاطعاً التواصل البصري بينهما، انتهى  
ليقول أدهم بصدق:

\_ طيب، كل اللي عاوزه منك دلوقتي إشارة.

\_ بآيه؟

\_ بآنك موافقة، وبآني أتقدم لعمك

\_ إنت بتهزر يا أدهم؟! مينفعش دلوقتي نهائي.

\_ ليه مينفعش؟!!

\_ أولاً وقبل كل شيء فأنا لسة مفركشة مع سعد، صاحبك، تفتكر  
هيقول إيه لو اتخطبنا دلوقتي أو حتى بعدين، لازم تمهدله الأول  
لو عاوز علاقتك بيه تستمر..

ثانياً أنا يستحيل أتجوزك وإنت على ذمتك واحدة غيري.

حك جبهته متفهماً علق على آخر كلامها بقوله:

\_\_ شريرة وأنانية.

\_\_ مكونتش قولتلك إني ملاك، وأنا مش هعرف أشارك حد ثاني  
فيك.

\_\_ مفروض هي اللي تغير منك يا ملاذ مش العكس.

اتسعت ابتسامته وهو يكمل:

\_\_ تغير من البنت اللي واقفة زي السد بينها وبين جوزها.

رفعت الملعقة في وجهه كتحذير وهي تقول غاضبة:

\_\_ بس ما تقولش جوزها!.

\_\_ طب ما أنا فعلاً مش جوزها؛ لو كنت مُعترف إن اللي ما بينا

جواز مكننتش هسمح لنفسي إني أقعد قاعدة زي دي معاكي.

ارتشفت من كأس العصير الذي وضعه أمامها النادل باحترام ثم

غادر، نظرت له وردت بحقد:

\_ أنا بنكره بدافع الغيرة، لكنه أمر واقع يا أدهم، بطلب منك إنك تسببها وأنا عارفة إنه ميحقليش حاجة زي دي، لكن غصب عني.

شرب عصيره هو الآخر وهو يُطالعها، تشعر أنه يضغط عليها بنظرات عينيه لكنها لن تسمح لنفسها بالضعف أبداً.

\_ ولو قولتلك إنه مجرد جواز على ورق.

\_ مش فاهمة.

\_ شغلي البطيخة اللي جوا راسك دي شوية عشان حيائي ميسمحليش بالتوضيح أكثر من كدة.

قالت بصدمة بعد أن فهمت مقصده أخيراً:

\_ أدهم؟!!!

\_ خليها ف سرك بقى ومتفضحيناش إحنا ف مكان عام.

تلفتت حولها لتجد كل مشغول في صحن طعامه، لكنها عادت تنظر إليه لتكمل كلامها هامسة:

\_ هو إنت شايفني عبيطة أوي كدة عشان أصدق اللي انت بتقوله

ده؟!!

\_ بصراحة أنتي أعبط من كدة بكتير بس ده ميمنعش إن كلامي حقيقي.

\_ ده انت مصبرتش عليها في الحرام يا أدهم، عاوزني أقتنع دلوقتي إنك مجتش جمبها وهيا حلالك!؟

ابتسم، ردة فعلها طبيعية، ومن الطبيعي أيضاً ألا يُصدق أي عاقل ما تفوه به، لكن لا يهمه تصديقها له بقدر ما يهمه أن يثبت لها مكانتها داخل قلبه.

\_ الأيام قادرة تثبتك صدقي.

\_ حتى لو كلامك صحيح، فبردو لسة اسمها مراللك، لسة شوشو قادر يوسوسلك بأي شيء معاها، ولسة هفضل كارهة وجودها في نص حياتي.

\_ يعني انتي مشترطة طلاقي ليها قبل جوازنا؟

\_ آه، سميتها بقى شر، أنانية، غيرة، بس ده طلبي الوحيد ومش هتنازل عنه.

\_ يا حبيبتي أنا كدة كدة هطلقها بس مينفعش دلوقتي عشان حتى خاطر أمي وخالتي.

\_ على عيني وراسي، نستنى لغاية ما ينفع.

\_ بدمتك هتقدري على بعدي

\_ بعد ايه يا أدهم أنا بشوفك أكثر ما كنت بشوف أمي الله يرحمها.

تتهد وهو ينظر حوله، كيف يمكنه شرح الأمر لها وأنه لا يستطيع الانتظار أكثر، لكنه لا يُنكر عليها طلبها، حتى هو يريد ذلك، ربما لهذا يُمسك عليه ذلك ويكبت نفسه كي لا يتورط فيها أكثر وكي يُسرع في طلاقه منها، لكنه الآن صعب، في كل الأحوال صعب ولايجوز وسيكون أنانية كبيرة منه لو أقدم عليه.

ركبت بجواره ليسلكا طريق العودة، ظل الصمت هو سيد الموقف حتى كسره هو بسؤاله:

\_ طب من هنا لوقتها، إيه النظام؟

نظرت إليه لترد برسمية:

\_ حضرتك هتفضل الدكتور أدهم، والي هيبتل يبصلي في الراحة والجاية عشان كفاية عليا أوي الكلام اللي اتقال لما جنابك اتجوز غير جنابي.

هز رأسه بالإيجاب وهو يعض شفته السفلى غيظاً ليسألها:



\_ وإيه كمان، سمو الأميرة؟!!

ردت عليه بانتشاء:

\_ وممنوع المكالمات الهاتفية إلا للضرورة القصوى، وكذلك  
مستنيك في مكتبي أو مستنيك في العربية، مش شخشيخة إحنا.

زفر بغیظ وهو یرد:

\_ حقك طبعاً، صبرني يارب.

وصلا منزلها بسلام، نظر إليها نظرة أخيرة كأنه يستعطفها، لكن  
رأسها اليابس لم يملك سوى الرفض؛ لذا ترجلت هي مودعة إياه  
قائلة:

\_ مع السلامه، دكتور العزیز.

زفر هو بغیظ وهو يقود سيارته مغادراً أراضيتها، كان بحاجة إلى  
من يُشاركه شعوره وأفكاره فلم يجد خيراً من أمه للقيام بهذه  
المهمة فتوجه على الفور إلى منزلها.



\_ يعني خلاص الحمد لله وافقت تتجوزك؟!!

قالتها الأم سمية وهي تجالس ابنها بعد أن قدمت له فنجان قهوة  
طالب به عقله التعب.

نظر لها ورد بتحفز:

\_ اه، بس بشرط بسيط خالص.

\_ تطلق رنا؟!!

\_ الله ينور عليك يا ست .

\_ بس يا أدهم أنت لسة متجوزها امتي؟! ومش جوازة عادية يا  
ابني ده بعد ما اعتديت عليها، مينفعش ترميها كدة أول ما توصل  
لمرادك.

\_ أولا يا أمي، سواء بوجود ملاذ أو لاء فنية الطلاق موجودة من  
قبل حتى الجواز، وإنتي عارفه كدة كويس..

ثانياً أنا بنفسى قولتها مش هطلق دلوقتي، راحت عاقبتني ياستي  
وقالت هتستنى لما يجي الوقت.

\_ بصراحة ياابني حقها، دي لو بنتي وفكرت بس ترجع لراجل  
عمل اللي إنت عملته كنت دفنتها بالحيا.

حك ذقنه وهو يطالعها بغیظ، قال صاكاً أسنانه:

\_ متبقيش تنسي تقولي البوق الأخير ده قدامها يا ست الحبايب!!



(25)

مرت الأيام بسرعة مجنونة، العمل الجديد الذي التزمت به يأكل وقتها بجوار الانشغال بالجامعة والدراسة، رغم ذلك، فبمجرد أن يُغلق باب منزلها عليها حتى تبتلعها الوحدة، شعورٌ مقيت تغرق به منذ شهور؛ لا أحد يهتم متى تُغادر المنزل ومتى تعود، متى تتناول طعامها ومتى تصد عنه، هل تُذاكر بجد أم تمضي وقتها لهواً بالهاتف..

لا أحد يهتم لأنه ببساطة لا يوجد أحد!

كان ملاذها الوحيد مُحادثاتِها مع قمر، ومع خالتها المسافرة وابنتها ضحى، تُخبرها عن آخر التطورات وتلتحف بها شعور العائلة الذي افتقدته.

انقضى الشتاء البارد، وحل الربيع بجوه الهادئ و أزهاره اليانعة، تُحب تلك الزهرة التي نبتت خلف سياج الجامعة، تحديداً حيثُ يوقف أدهم سيارته كل يوم، تشعر أنها نبتت على روحه الجميلة، تستقي منه كل يوم النظرات التي تمنحها الحياة، فتمو..

مثلما تنمو هي وتُزهر على نظراته!.

أين ذهب اتفاقهما السابق؟ لا تدري، ولا تهتم أيضاً، تُدرك أن الالتزام بأي شيء معه ضربٌ من الجنون، وأن أي خطة تتضمن البعد دوماً وأبداً سيكون مصيرها الفشل.

ها هو يغدق عليها حُبّه كل يوم، مشيعاً بنظراته الآسرة، والتفاته التي لا تحظى بها فتاةٌ سواها، وفي بعض الأحيان ابتسامات عاشقة تذيب جليد روحها الباردة في بعده.



\_\_ داخلين على امتحانات آخر السنة والبيه ولا على باله.

\_\_ مش ده كان طلبك؟!

\_\_ يعني هو عشان قولتله ممنوع يتمنع فعلاً.

نظرت لها قمر شذراً وأردفت:

\_\_ لا معلىش مهو ميعرفش إنه بيحب مجنونة.

بادلتها ملاذ النظرات المغتظة وكادت أن تتحدث، لكنها تفاجأت به يتقدم نحوها من بعيد، يعبث بهاتفه بيده اليمنى بينما يضع يسراه

في جيب بنطاله، بالتأكيد هو لا يعتمد اختطاف قلبها بهذه الطلة البسيطة، لكنه اختطفه بالفعل.

استغربته حين توقف بجوارهما وهو لا يزال يطالع شاشة هاتفه، أدركت أنه يتحاشى لفت الإنتباه، فابتسمت تنتظر طلبه الذي تعرفه قبل أن يقوله.

قال وهو يرفع نظره أخيراً صوبها :

\_\_ أنسة ملاذ، ممكن لحظة من فضلك.

نظرت له نظرة جانبية دون أن تسيطر على ابتسامتها التي اتسعت تلقائياً رغماً عنها، ابتسم لها هو الآخر مشيراً بعينه صوب مكتبه، نظرة متبوعة بغمزة ليسقط ضعيفها بين قدميها من فرط الغرق به.

أيقظتها قمر قائلة بعد أن رحل:

\_\_إوعدنا يااااارب، معطلكيش أنا بقى يابنت المحظوظة.



دخلت المكتب خلفه مبتسمة، لا تعلم لم استدعاها لكن على الأقل  
قرر كسر قوقعة صمته أخيراً، تلك القوقعة التي أمرته هي مسبقاً  
ببنائها حوله!

جلست قبالته ليبتسم بمجرد أن وقعت عينه عليها، قال بهدوء:  
\_ وحشتيني.

تورد خذاها ولم ترد، ولم يكن هو ينتظر منها رداً، إذ سرعان ما  
أمسك بطرف الحديث قائلاً:

\_ بعد الامتحانات.

طالعه مستغربة وسألت:

\_ ايه اللي هيحصل؟!!

\_ هطلق رنا، وأظن كدة أكون حققت شرطك.

أومات له مترددة، تشعر في هذه اللحظة أنها امرأة لعوب، خبيثة،  
"خطافة رجالة" كما يُقال على من تفعل فعلتها هذه، لكن جزءاً ما  
داخل قلبها يُطمئنها، يُقنعها أنها الضحية ليست رنا.

تعترف الآن، بينها وبين نفسها على الأقل، أنها لم ترَ رنا ضحيةً ذات يوم، رغم ما رأته بأم عينيها، ورغم كل الألم الذي تنتقل بين أحضانه من يومها، هي تراها الفائزة الوحيدة منذ ذلك اليوم، الوحيدة التي حصدت مُرادها وتزوجت بمن ظلت تطارده طيلة عُمرها، نفضت تلك الأفكار عن رأسها، تود دفن تلك الحادثة بذكرياتها اللعينة بعيداً عن متناول عقلها ذي القدرة الخارقة على إيجاد ما تخبؤه عنه دوماً.

لو أن للنسيان ترياقاً لما ترددتُ أبداً قبل أن تتجرعه!

\_\_ مش هتندم؟!!

\_\_ ندمي الوحيد إني حطيت نفسي في موقف يجبرني إنها تشيل إسمي لمدة، غير كدة يستحيل أندم.

\_\_ يعني مش بتطلقها بسببي؟

\_\_ بيك أو بغيرك جوازي منها يستحيل يستمر، اطمني.

تتهدت، تحتضن ضميرها المهتز وتربت عليه، أن لا بأس ها هو بنفسه ينفي عنك تلك التهمة الشنيعة.

قاطع تفكيرها إذ قال مبتسماً:



\_ ها بقي، أقدر أتقدم امتي؟!!

نفضت رأسها ذهاباً وإياباً وهي تقول بثقة:

\_ متحلمش، الشرط هيفضل قائم لغاية ما يتنفذ عملياً.

\_ ماشي يا ست ملاذ، بس خليكي فاكرة اللي بتعمليه ده عشان هيطلع عليك إنتِ في الآخر.

\_ بتهددني؟!!

\_ أنا في التهديد معنديش يما ارحميني.

ضحكت على طريقته في قول آخر جُمَله، تبادلًا أطراف الحديث لفترة دون أن يشعرًا بمرور الوقت، كان حديثاً هادئاً أجبرهما عليه باب مكتبه المفتوح، ودخول بعض الطلاب بين الحين والآخر، في النهاية نهضت حتى لا تتأخر عن عملها واستأذنته مُغادرة.



جلست أسماء في غرفتها منفردة، تُحاول السيطرة على مشاعرها المتضاربة، علّمت من والدها منذ مدة بأن خطوبة ملاذ من سعد قد فُضت، شعرت بدايةً بالسعادة الغامرة، لا تستطيع نُكران حقدّها الدفين تجاهها، وتجاه ذلك "الملاك" الذي ترك فتيات الأرض

جميعهن وجاء ليخطبها، استكثرت عليها كثيراً، وكانت على أتم استعداد لفعل أي شيء لفض تلك الخطبة اللعينة، لكن ها هو القدر يُفاجئها بتدخله قبلها، ولأول مرة تأتي تدخلاته على هواها ..

زفرت بضيق، لاتزال غير مُرتاحة، ذهابها للجامعة عدة مرات برفقتها، ورؤية النظرات المتبادلة فيما بينها وبين ذاك "الأدهم" ينبأها بالسبب الحقيقي لتلك "الفركشة" السريعة. إن كان تكهنها ذاك حقيقةً فلن يهدأ لها بال حتى تفض علاقتها به وإلي الأبد..

هي لا تستحقه، لا هو ولا سعد، لا تستحق الحب الكبير الذي لم تره \_أبداً\_ في عيون أي رجل يُطالعها، فقط رأته في عيني أولئك الرجلين تجاه تلك "الملاذ"، لا تعلم ما المميز بها إلي تلك الدرجة حد أن يتنافس في حبها رجلان "بلا غلطة" ..

انتفضت في مكانها، كأن موقد مشاعرها قد فار عن آخره، احتدت نظرات الغضب والغيرة بمقلتيها وهي تقول هامسة كالفحيح:

\_ على جثتي يا ملاذ، على حثتي لو كملتي مع راجل من الاتنين!!!.\_



مُتغذيةً على مشاعر حقدِها، سارت أيام أسماء على نهج متشابه،  
صارت لا تفوت أي فرصة لحضور المحاضرات مع ابنة عمها،  
تتصيد الفرص لتظهر في أي صورة قد تجمعها مع أدهم، تحاول  
أن تُمسك بطرف أي دليل أو خيط يؤكد شكوكها تأكيداً بيناً، لكن  
الأيام تمر دون شيء ملموس، تراها تتشغل أكثر في العمل الجديد  
الذي التزمت به منذ مدة، كما أن اقتراب امتحاناتها جعلها تصب  
جل تركيزها على المذاكرة..

باتت تشعر أنها تضيع وقتها دون جدوى، فُطنت أنهما ربما  
يتقابلان بعد مواعيد الدراسة والعمل، فغيرت الخطة وسارت تراقب  
دروبهما علها تتقاطع تقاطعاً يرمي بحبل الإدانة بين أيديها،  
فتسحبه ليلتف حول عنق تلك الملاذ، ويكون الخلاص!.



بدأت اختبارات نهاية العام الدراسي أخيراً، لا تُصدق أنه قد انقضى  
عامٌ كامل تُطالع فيه وجهه كل صباح دون أن تسأم، مرت بالعديد  
من المشاعر المتقلبة معه، كتقلب الجو في فصوله الأربعة، عليها  
الإعتراف أن هذا التقلب منح حبهما الثبات؛ كانا بحاجة لاختبار  
قوي كالذي مرا به سويماً ليدركا طبيعة تلك المشاعر التي نشأت

بينهما، وهل وُجِدَت لَتَسْتَمَر، أم لتختفي مع أول عاصفة تمر بشتاء  
علاقتهما؟!!

بداية الامتحانات تعني بداية نهاية علاقتة برنا، تشعر بأمعائها  
تتقلص عندما تُفكر بهذا، في أسوأ تخيلاتها عن نفسها لم تتصور  
أن تبني سعادتها على تعاسة غيرها، لكنها تعود وتُطمئن نفسها  
بأن نهاية تلك العلاقة محتومة، بوجودها في حياته أو بعدمه كان  
ليتركها لاستحالة الحياة بينهما.

قابلته في الرواق الفاصل بين قاعات الاختبارات في آخر يوم، كان  
وجهه يحمل بعض التعب والحزن، ومع هذا ابتسم بمجرد أن رآها،  
استغلا جموع الطلاب المحتشدة من الصفوف العليا يراجعون  
أوراق امتحاناتهم، لتنزوي معه في ركنٍ يطل على شباك كبير تدخل  
منه أشعة الشمس، نظرت له لترى الحزن بصورة أوضح يفترش  
عينيه ويقيم بهما مائماً، قالت بتوجس:

\_\_ مالك يا أدهم؟!!

\_\_ فرحان إني شوفتك.

\_\_ عينيك بتقول غير كدة..

ابتسم ليرد:

\_ ظنك ميسرحش لبعيد؛ أمي تعبانة بقالها كام يوم وزي ما إنتي عارفه قاعدة لوحدھا ومش عارف أخذ بالي منها كويس.

اضطربت ملامح وجهها لتسرع بالقول:

\_ سلامتها ألف سلامة، ودي حاجة تخبيها عني يا أدهم؟!!

\_ مكنتش عاوز أشغلك في أيام مهمة زي دي.

\_ لا يا حبيبي مش هتكون أهم منها؛ متعرفش غلاوة مامتك عندي أد إيه.

اتسعت ابتسامته حتى حُفرت غمازتاھ في وجهه، قال بهدوء وهو يتأملها:

\_ تعرفي دي أول مرة تقولي لي فيها حبيبي؟!!

أدركت للتو فاجعة ما تفوهت به، حاولت التهرب من نظراته إذ سرعان ما قالت:

\_ ركز مع مامتك ومش مع كلامي لو سمحت.

\_ متقلقيش.. قلبي كبير ويعرف يركز معاكم انتم الاتنين.

وقفت قمر من بعيد تراقبهما وتتأكد من عدم انتباه سواها عليهما،  
ابتسمت بصدق وهي تُطالع نظرات الحُب المتبادلة بين عيونهما،  
هي شاهدةٌ على هذه العلاقة منذ أن وُلدت في مهد قلوبهما، شاهدت  
تطورها، وبنائها الذي كاد أن ينقض، ثم رممه القدر بطريقته  
السحرية، همست لنفسها في حبور:

\_ تستحي كل السعادة اللي في الدنيا يا ملاذ، ربنا يكملك على  
خير المرادي ومتتوجعش تاني أبداً..

اقتربت منهما حينما بدأت حشود الطلاب تنفض، أصدرت صوت  
محمات قبل أن تقول بصوت واضح:

\_ ملاذ.

التفتت لها صديقتها وشعرت أنها جاءت لها كنجدة من نظراته  
العاشقة، ردت عليها:

\_ معلىش يا قمر وقفتك كثير، ثواني وجيالك.

أردفت قمر بعد أن حيت أدهم برأسها:

\_ هستناك برا المبنى.

نظر إليها بعد رحيل صديقتها وقال:

\_ هكلمك النهاردة بإذن الله يا ملاذ، عارفه لو مردتيش زي الأيام  
اللي فاتت متستغريش من باب البيت اللي هيخبط في نص الليل.  
ابتسمت وهي تتذكر بالفعل محاولاته للاتصال بها هاتفياً مؤخراً،  
وعندما لا ترد ينهال عليها برسائله ذات الطابع المميز، فهي خالية  
من عبارات الغزل السمجة، ومع ذلك تفيض به وتغرق قلبها  
وتزيد. ردت:

\_ عادي ولا يهمني.

\_ ده انتي بتتحجبي بقي؟!!

\_ بصراحة آه.

قالتها ضاحكة وهي تودعه، تلتقف من عينيه ذاك الحب الثمين،  
تُعبئ به قلبها العطش وتملاً منه خزان روحها المهترئة في بعده.



(26)

سارت مع صديقتها خارج جدران الجامعة، يحظيان سويًا بنزهة  
تنسيهما عناء الدراسة، وطول الفراق الذي ينتظرهما في هذه  
العطلة الصيفية، قالت ملاذي:

\_ بقولك ايه يا قمورة.

\_ طالما قولتي قمورة يبقى بتفكري في مصيبة، ارغي.

\_ أنا يابنتي؟ شكراً على ثقتك الغالية.

\_ طب عيني ف عينك كدة؟

\_ هي مصيبة آه، بس مصيبة صغنة كدة، بفكر أروح أظمن على  
أم أدهم، دي ست طيبة أوي أوي يا قمر وشالتني جوة عنيتها  
حرفياً.

\_ هي نية كويسة وكل حاجة بس افرضي حد كان هناك وأخرجك  
بالكلام.



\_ أدهم وقع بلسانه وقالى إنها قاعدة لوحدها وأختها مش فى  
المحافظة حالياً، يعنى الدار أمان.

\_ خلاص، على بركة الله.



وقفت أمام البوابة الخارجية للمنزل تتأمله، الوقت عصراً وأشعة  
الشمس المنكسرة ترسم على واجهته لوحة دافئة، شعرت بالحنين  
يسري داخل أوردتها، من عادات قلبها التعلق بكل مكان يزوره،  
فماذا عن مكان جمعها يوماً بمن تُحب وأعدت عدتها لأن يتحول  
إلى قفصهما الذهبي ذات يوم؟

تنهدت بحرارة وهي تحتضن باقة الزهور التي اقتنتها كهدية  
للسيدة سُمية، طالعت الحديقة بحنينٍ جارف، ودت لو تذهب لحقل  
زهور التوليب وترى كم وصل عددها، هل ازدادت أزهاره منذ آخر  
مرة رآته فيها أم أنه لا يزال على حاله بما حواه، نفضت الفكرة  
عن رأسها، هي ليست هنا من أجل استعادة الذكريات القديمة..

خطت للداخل عابرةً البوابة الخارجية وهي تبتسم، تسير في الممر الطويل الفاصل بين باب المنزل وبوابته، اتسعت ابتسامتها عندما بلغته ودقته بضع دقائق صغيرة..

نعم، لن تستعيد أياً من ذكرياتها القديمة هنا، ستطمسها، بحلوها ومرها، ستكون أقوى من عقلها هذه المرة وتجبره على محوها من خلاياه دؤوبة العمل...

ثم ستخلق هنا، معه، أخرى جديدة، تعش الباقي من عمرها على حلو طيفها.

فتحت المرأة الباب لتتفاجأ بتلك الواقفة أمامه، تبادلها نظرات الدهشة بنظرات الشوق الصادق، سرعان ما تشابك جسديهما في عناقٍ طويل، عناقٌ لا يحمل أي ضغينة أو تملق..

قالت المرأة دامعة:

\_\_ مكنتش أتوقع إنك تجيلي يا ملاذ، فيك الخير يابنتي.

كادت أن ترد بعد أن تركت عناقها الدافئ، لكنها سمعت صوتاً قادماً من الصالة خلف المرأة يقول بينما يتقدم صاحبه نحوها:

\_\_ بس أنا توقعت عادي.

فتحت السيدة سُمية المجال للقائهما، إذ انزوت بجسدها جانباً  
مُفسحةً الطريق لدخولها، ولاستقباله لها بنظراته المتيمة.

\_ مش أنا لسة سيباك في الجامعة؟!\_

\_ إيه رأيك؟ خطة في منتهى الذكاء مش كدة؟\_

لم تفهمه في البداية، لكن سرعان ما نقلت نظراته بينه وبين أمه  
الواقفة في حَرَجٍ شديد، المرأة تقف بأتم صحةٍ وحال، لا يبدو عليها  
أي بادية تعب أو مرض. لقد تم استدراجها وهي انساقت خلف  
قلبها بمنتهى السذاجة.

\_ بقى كدة؟!\_

أسرعت السيدة سمية بالتدخل إذ قالت وهي تشير لها نحو سفرة  
الطعام:

\_ بقولك ايه يا ملاذ مش وقت كلام ولا زعل، إنتي جيتِ وأنا  
بحضر الأكل ولازم تتغدي معانا بعدين نبقي نتكلم.

ابتسم أدهم لها وهو يكمل عن والدته:

\_ يلا ياستي حماتك بتحبك، عندنا أكلة محشي إنما إيه.

إلتفتت له شذراً وهي تحرقه بنظرات عينيها الغاضبة، استغلت  
رحيل أمه للمطبخ وهمست من بين أسنانها:

\_ والله لأوريك يا أدهم

ضحك ليقول ساخراً منها:

\_ يا اما يا أما يا أما، خاف يا عيد... يلا يا نايتي ناكل، إنتي كبيرك  
تهدي نملة مش أدهم يابت.

جلست معهما أمام طاولة الطعام بما حوته من أطباق شهية، يبدو  
أن السيدة سُمية ترشيها بأطباقها المُفصلة والتي حُرمت منها مذ  
ماتت أمها.

\_ انتو بترشوني عشان أسكت صح؟!!

رد أدهم وهو يضع في صحنها فخذ دجاجة:

\_ آه بنرشيك، ها إيه رأيك؟

\_ وريني الرشوة اللي في طبق المحشي اللي هناك ده بتقول إيه  
كدة؟!!

أكملوا طعامهم وهم يتبادلون أطراف الحديث بين الحين والآخر، لم تخدم نيران النظرات بينهما للحظة، داهمتها كل ذكرياتها القديمة معهما، هنا، على نفس طاولة الطعام، وقتما كانت تخطو خطواتها الأولى في درب حبه الشائك، ابتسمت له وهو يضيف إلي صحنها المزيد من الطعام حاثاً إياها على إكمال غداها، حُبه وحده يصلح لأن يكون فاتحاً للشهية، وهي الآن بحق جاهزة لتناول غداء بلدة كاملة.

\_ تسلم ايدك يا طنط الأكل كان تحفة بمعنى الكلمة.

قالتها بعد أن فرغوا من تناول غداهم، وكانت هي قد أصرت على إعداد الشاي ليجلسوا بالنهاية يحتسوه سوياً.

\_ بألف هنا يا حبيبتي، متزعليش من كدبة أدهم عليك، هو بس حب نتلم مع بعض تاني زي زمان خاصة إن النهاردة آخر يوم في امتحاناتك.

ابتسم لها أدهم ليرتشف القليل من الشاي ثم يقول:

\_ يظهر يا ماما إنك موحشتيهاش زي ما هي وحشتك.

أسرعت تدافع عن نفسها قائلة:

\_ لا والله ياطنظ، هو بس... يعني ميصحش أجي هنا ومفيش مابنا أي ارتباط.

وضع أدهم كوبه على المنضدة ونظر لها ليقول بجدية:

\_ كويس، يبقى نتكلم بقى بخصوص الارتباط ده.

تأهبت للاستماع لكلامه وكذلك فعلت والدته، نظر إليهما تباعاً ثم أكمل:

\_ الأسبوع ده بإذن الله، هنتهي علاقتي رسمياً برنا.

أخفضت رأسها خجلة، آخر ما أرادته أن يتم حوارٌ كهذا في حضرة والدته، خالة زوجته، والتي من الطبيعي جداً أن تثور ثوراتها لأي كلمة تخصها، ومن الطبيعي أيضاً أن تتضايق لما ينويانه الآن، لكن طريقة تحدث أدهم أوحى لها أنه ربما يكون قد سبق وفتحها في هذا الأمر وأبدت تقبلها له.

عندما لازمت الصمت، واتضح على ملامحها الارتباك، تدخلت السيدة سمية إذ قالت:

\_ متكسفيش يا ملاذ مني، أنا آه مش هنكر إن البنت صعبانة عليا، وإن هتحصل مشاكل كتير بيني وبين أختي، لكني شايقة علاقتهم

ببعض فاشلة وغلط ع الاتنين، مش هيستفادو باستمرارها وسنين  
عمرهم بتمر ع الفاضي، وكل سنة بتتنقص من فرصهم الجديدة  
أكثر، عشان كدة لازم تنتهي في أسرع وقت.

أومات لها ولازال يستعرب داخلها بعض الاضطراب، أكملت جلستها  
معهما، ينوي أدهم مُحادثة زوجته أولاً \_ كم تكره هذه الحقيقة  
المرّة وأنه زوجٌ لأخرى \_ ثم بعدها سيباشر إجراءات طلاقه منها،  
والبقية تأتي كما يشتهي قلبه المُشتاق لُقرب ملاذه.

خرجت من باب منزله ساعة المغرب بعد أن ودعت والدته بالداخل،  
ومن ورائها خرج أدهم حتى يوصلها بيتها.. تهادت خطواتها في  
الممر المؤدي للبوابة الخارجية من جديد، لم تتمكن من كبح التفاتة  
خرجت منها عفوية تجاه حقل التوليب، يأكلها الفضول لتزوره  
وتحصي أعداد ورداته، ومن خلفها رجلٌ فهم ما تربو إليه ليبتسم  
ثم يناديها قائلاً :

\_ مش عاوزة تشوفي حاجة قبل ما تمشي؟!!

التفتت إليه باسمه، وجهها الوضاء يحتضن أشعة الشمس الغاربة،  
كاد يجزم أن جفونها بغطائهم الكثيف من الرموش قد تمكنوا  
بمهارة من حبس الشمس بداخلهم، لا يعلم هل كان يُطالع عينيها

أم يُطالع شمسين أسرتين من الجمال والفتنة. قالت وهي محتفظة  
بابتسامتها الخجولة:

\_ بصراحة آه، ورد التوليب.

\_ لسة فاكراة؟؟

ردت بحنو :

\_ وأنا امته نسيت ؟

سحبها من ذراعها برقة قائلاً :

\_ طب تعالي ..

وكما توقعت هي مسبقاً؛ وجدت أعداد التوليب قد ازدادت كثيراً عن  
آخر مرة، راقب أدهم نظراتها للحوض وأيقن أنها تُحصيها، لُفّلت  
منه ضحكة عالية وهو يقول:

\_ آه منكم يا بنات حوا، أنتي بجد بتعدي الورد؟!!

نظرت له وعيونها تلتمع بغيرتها الآسرة:

\_ آه يا أستاذ بعده، ولو أطول أسأل كل وردة كمان عن المناسبة  
السعيدة اللي حصلتلك والتي كانت سبب زراعتها هسألها.



ابتسم وهو يرد:

\_ طب وتسألهم ليه يا حبيبتى وأنا موجود؟.

أشار لإحدى الورود وأكمل:

\_ دي زرعتهما آخر يوم في امتحانات التيرم الأول.

سأله مُستغربة:

\_ آخر يوم، وده حصلك فيه إيه مُميز؟!

قُطب حاجبيه وهو يقول:

\_ بأمانة هو كان يوم ما يعلم بيه إلا ربنا، خاصة إنك جيتيلي

المكتب بسلامتك ومعالي المحروس سعد وكان هين عليا أفرغ

علبة بنزين فوق دماغكم انتو الاتنين وأولع فيكم وأرتاح.

فلتت منها ضحكة إثر كلامه وأردفت:

\_ لاء ماهو واضح إنه يوم مميز فعلاً ويستحق الوردة، هو إنت

غيرت نشاطك وبقيت تزرع الورد لما تزعل بدل لما تفرح ولا إيه؟!

أبعد تلك الذكرى السيئة عن مخيلته، ليبتيم من جديد ويرد على

سؤالها:

\_ ما انتي لو رجعتي بالذاكرة شوية في نفس اليوم هتعرفي اي  
اللي خلاه مميز.

سرعان ما غرقت في بحر ذكرياتها، تحاول التقاط تلك القكرة  
المميزة الخاصة بذاك اليوم، ابتسامتها الخجلة أنباته أنها  
تذكرت...يومها كانت تتجه لأداء اختبار شفهي لكنها وقبل أن تدخل  
حجرة المكتب، دخلت أحضانه هو.

قال بسعادة:

\_ وقتها بس حسيت بروحي رجعتي، إحساسي وقتها خلا الوردة  
اللي قدامك دي تشوف النور.

أجفلت في خجل، بينما أشار هو لوردة تجاوزها وأكمل:

\_ ودي ياستي يوم ماكلمتك...وسميت اللوحة على اسمك.

\_ كنت عارفة إنك قاصد على فكرة

\_ عيل بيحبي هيعرف إنني كنت قاصد يا ملاذي..

أكمل وهو يشير لأخرى:

\_ ودي يوم ما قابلتك في المعرض، زرعها أول ما وصلت ثاني يوم، واللي جنبها لما شوفتك في الجامعة بعد قرارك إنك تفضلي ومتسافريش، والأخيرة...يوم ما فركشتي مع سعد.

ابتسم ثم أكمل:

\_ مقدرش أنكر شري وقتها، وإني أنهيت المكالمة معاه واللي قضاها شكوى وزعل وبوح بمشاعره، وأنا بتتظلم السعادة والفرحة، لدرجة إنني جيت هنا في ساعتها وزرعت الوردة دي.

اتجه إلي ركن داخل الحديقة يحوي عدة الزراعة خاصته، فتح أحد أدراج مكتب قديم خصصه للقيام بمهمة لملمة أغراضه المبعثرة، ليلتقط إحدى البذور ثم يعود إليها مبتسماً ويكمل حديثه الذي انقطع:

\_ ودي هتزرع النهاردة، وانتي طبعاً عارفة ليه.



## (27)

وقفت تتأمله وهو يقوم بالمهمة الأقرب إلي قلبه، أخذها الغرور قليلاً، هذا الرجل الواقف أمامها يرهن كل السعادة التي زارت أيامه بوجودها هي فيها، اتسعت ابتسامتها وهي تستشعر هذه المكانة المميزة التي وضعها فيها، تستغرب نفسها كثيراً؛ كيف تمكن عقلها من إقناعها ذات يوم أنها تستطيع الابتعاد عنه؟ إنه لعنتها، ولا فرار من اللعنات أبداً، خاصة تلك التي تصيب القلب منها.

صلب طوله أخيراً وهو يتأمل ورداته، وليدات أيام سعادته، أدرك لتوه أن معظمها قد نمت بسبب تلك الواقعة خلفه، المُستقرة بأعماقه كاستقرار هذه الورود بتربتها، وردته الوحيدة بحديقة قلبه، ابتسم عندما استقر بصره على مُقلتيها، يستغرب كيف يستطيع مقاومة الغرق ببحورهما العسلية... تنهد من أعماق قلبه، هو لم يُقاوم يوماً، إنه غريقهما ومنذ اللقاء الأول!

قال متغزلاً بعدما غلبته مشاعره :

\_ اللي عندها عينين زي عنيك مفروض تتمنع من المشي وسط الناس .

تساءلت خجلة :

\_ ليه؟

\_ عشان ممكن بسببها يعملوا حجات مجنونة ..

لم تكذ ترد، أو حتى تفهم إلام يرمي، تفاجأت به يجذبها نحوه لتغرق في ثنايا أحضانه العاشقة، صُدِمت، تدرج خديها بحُمره خجلها المميزة، لكن قلبها خانها، ولم تكن المرة الأولى له على كل حال، تمكن من السيطرة على عقلها الراض لهذا العناق، أنبّه، أخبره أنه مُضطرب منذ مدة، منذ هاجر أراضيه الرطبة وراح يتخبط في غيرها، يستحقُ بعضاً من الاستقرار والراحة بعد طول عنائه بعيداً عنه، ويستحقُ قُربه ذو تأثير السحر هذا!.

تشبثت به، بقميصه، وودت لو تخترقه وصولاً لخلايا جلده، طغي عطره الذي تعتقد أنه صنّع خصيصاً له على كافة حواسها، أخذت نفساً عميقاً متنهدة، تسمع بوضوح دقات قلبه، تُجزم أنها سمعت اسمها يخرجُ بها، ابتسمت وهي تُغمض عينيها وتستقي المزيد من حُبه وقُربه.

همس في أذنها :

\_ وحشتيني، أوي!

إلي أي مدى ينوي إذابتها؟... حاولت الخلاص من أحضانه ليس  
رغبة في إنهاؤها ولكن خوفاً من انعدام مقاومتها الكلية، ينبغي أن  
تعترف أنها في أضعف لحظاتها أمامه، لكنه لم يسمح لها .. تشبث  
بها أكثر ليقول هامساً :

\_ مش هسيبك، أنا ما صدقت إنك رجعتي حضني تاني ..

قالت تحاول التغلب على خجلها:

\_ والدتك ممكن تخرج ف أي وقت، هيكون موقف وحش أوي  
وقتها.

\_ مش مهم، مش مهم أي حاجة تحصل، كفاية عليا فرحة قلبي  
بوجودك جمبه دلوقتي ..

\_ عشان خاطري يا أدهم سبني ..

\_ قولها

\_ أقول إيه؟!!

تركها بالفعل، رغباً عن قلبه وحبه الكبير، عليه أن يكبح مشاعره أكثر من ذلك في حضرتها، أن يحفظ كل شيء لوقته المناسب، لقد صبر طويلاً ولن يُفسد عليه صبره الآن، ابتسم لها ورد بحب:

\_\_ كلمة مسمعتهاش منك خالص، بس أنا غلظت، دي مش بتتقال بالطلب، يا إما تتقال بالإحساس يا إما بلاش.

ابتسمت خجلة لترد عليه:

\_\_ وهو إنت كل ده ومحستهاش؟!!

\_\_ معلش بقى أنا بحب الإجابات النموذجية.

دوى صوت ضحكتها في المكان، لتلتقط حقيبة يدها التي سقطت إثر احتضانه لها عنوةً، وضعتها على كتفها وهي تقول:

\_\_ يبقى تستنى بقى لغاية ما نذاكر كويس.

خرجا من بوابة المنزل متجاورين، ارتدى أدهم سترة بذلته ثم فتح لها باب السيارة دون أن ينتبه أي منهما، لذاك الشخص المتخفي في الجوار يرصد حركاتهما بكاميرة هاتفه النقال.



جلست في غرفتها مساءً تتفحص هاتفها، اتسعت ابتسامتها الخبيثة، ها هي أخيراً تجني ثمار مُراقبتها المستمرة لابنة عمها، هذه الصور التي التقطتها لها داخل أحضانه، وأمام بوابة منزله، وداخل سيارته كذلك، كانت ستغدو أكثر قيمةً لو أنها لاتزال خطيبةً لسعد، أراد شيطانها أن تكون سبباً رئيسياً في فركشة تلك الخطبة لكن القدر حرّمها مُتعة ذاك الشعور..

والآن، بيدها أن تُجرب شعوراً آخر، لا يقل متعةً عن سابقه.

على الفور بدأت في تصفح حسابها على موقع التواصل الإجتماعي فيسبوك، يجب أن تشكر ملاذ لأنها علمتها كيف تتصفح الانترنت وتصنع لها حساباً، ستشكرها ثم تحقد عليها بعد ذلك لأنها لاتزال تتميز عنها في كل شيء.

وصلت للحساب الشخصي لأدهم، ذاك الرجلُ الوسيم ذو المركز الاجتماعي المرموق، صورته الشخصية دفعتها لتأمل ملامحه رغماً عنها، اللعنة على تلك الملاذ! أهي مغناطيس لا يجتذب سوى الرجال مُكتملي الصفات؟!..

تتهدت تُحمد نيران حقدّها، تُصبر نفسها أنها لن تطوله هو الآخر، وهذه المرة ستكون هي السبب في ذلك.



من حسابه الشخصي وصلت إلي حساب رنا، زوجته المغفلة،  
وببضع نقراتٍ أخرى توصلت أخيراً إلي مبتغاها؛ رقم هاتفها.



"\_ مبروك يا مدام، جوزك هيتجوز عليكي حبيبة القلب وانتي  
نايمة ف العسل" ...

تملمت في فراشها إثر صوت وصول رسالة على هاتفها ..تناولته  
بانزعاج واضاءت الغرفة، فتحت الرسالة التي وصلت من رقم  
غريب وتفاجأت بما بها لتصيح بصوتٍ عالٍ :

\_ يا مصيبتى!!

اعتدلت في جلستها وهي تتجرع المفاجأة المرة، لم تكد تجلس  
حتى تتابع عليها الرسائل من ذات الرقم، جميعها تحوي صوراً  
لأدهم مع ملاذ، تلك المصيبة التي ترفض تركها وحالها!..

نظرت للساعة لتجد الليل قد انتصف، بسرعةٍ نهضت عن فراشها  
واتجهت لغرفة نومه لتجد بابها مفتوحاً وفراشه خاوٍ، تفحصت  
باقي المنزل ليتبين لها أنه لم يعد بعد، ويبدو أنه لن يعود الليلة!..

هاتفتم أمها على الفور، رغم تأخر الوقت إلا أنها لم تتمكن من الانتظار حتى الصباح، قصت على مسامعها الوجلة ما حدث وتلك الرسالة من الرقم الغريب، تعجبت والدتها لتقول:

\_ ده حصل امتي وازاي ده؟! مش هي مخطوبة لصاحبه يابنتي ولا إيه؟!\_

اضطربت رنا، الرسالة وبعدها الصور أنسيها أمر خطبتها، هل تراها رسالة كيدية من شخص يضر لها الشر؟ سرعان ما تراجعت عن فكرتها؛ إنه يحتضنها بإحدى الصور، يستحيل أن تكون الرسالة خاطئة، ردت على والدتها:

\_ أنا مش عارفه حاجه ومبقتش فاهمة أي حاجة، أعمل إيه أكثر من اللي عملته عشان أبعد عنها؟!\_

\_ هدي أعصابك يا رنا عشان نعرف نفكر.\_

\_ نفكر في إيه تاني يا ماما، أنا فقدت الأمل فيه خلاص.\_

هتفت والدتها في حقد:

\_ تبقى عبيطة، حتى لو فقدتي أمك ورغبتك فيه، إياك تسيبيه  
يتهنى مع غيرك، زي ما إنتي مش عارفه تطوليه لازم هو كمان  
ميطولش مُرادِه.

كعادتها، هدأت ثورة غضبها في حضرة كلمات أمها المُحرضة،  
متى أحبت أدهم؟... لا تدري، ولا تُحب طرح مثل هذا السؤال على  
نفسها؛ يُذكرها دوماً بضعف حيلتها، وباتباعها لكلمات والدتها  
بصفة مُستمرة، لقد نشأت وهي لا تسمع منها سوى اسمه "أدهم  
قال، أدهم فعل، أدهم أصبح أول دفعته، أدهم تعين، أدهم تفوق..."  
حديثها المُستمر عنه كان البذرة، ثم تحريضها الصريح للإيقاع به  
كان الماء الذي تغذى عليه نباتها المسموم، الموهومة هي به  
وبأنه حُباً حقيقياً، بدون أن تدري وجدت نفسها ترهن حياتها  
بوجوده فيها، تلتحق بكلية تتبع إدارة جامعته حتى تلقاه باستمرار  
بعد عجزها عن الالتحاق بكليته بسبب مجموعها المنخفض،  
تطارده في كل مكان، تزور خالتها التي لم تُحبها يوماً فقط حتى  
تلقاه، تُصرح له عن حبها فيقابلها بالرفض والنفور، بل وصل في  
رده حد التوبيخ، وهي، لم ترتد يوماً عن قبلتها الزائفة.

ارتمت بجسدها على فراشها، اليوم باتت توقن أنها أمضت عمرها  
تطارده سراباً، ظنت أن بإقتران اسمها باسمه تصل لمبتغاهَا منه،  
لا تعلم أن لا شيء في الدنيا يُحيل السراب إلى حقيقة.

زفرت بعنف، حتى لو كان واقعها سراباً، هي لن تسمح لأن يتحول  
إلى حقيقة في واقع غيرها.

ستموت قبل أن يتحقق ذلك.

اهتز الهاتف بين أيديها ليسحبها من تفكيرها عنوةً، وجدته نفس  
الرقم الغريب الذي أرسل لها الرسالة والصور، سرعان ما تلقت  
المكالمة وهي تقول بتأهب:

\_\_ مين معايا؟ وايه صلتك بيا وبأدهم؟!!

جاءها صوت انثوي حاقده يقول :

\_\_ اهدي بس يا مدام إحنا مش أعداء..، أنا اسماء بنت عم ملاذ

\_\_ مهو واضح إننا مش أعداء!!

تكاد تُجزم أنها رأت حقد الفتاة على الطرف الآخر وهي ترد:

\_هه، بنت عمها اللي نفسها تشوفها مدمرة ومتشوفش يوم واحد  
حلو في حياتها! ..

\_عشان كدة بعيتلي الصور؟!!

\_مش هكذب عليكى ولا هلف وأدور، أنا مش عاوزة علاقتها بأدهم  
تستمر، وأعتقد دي رغبة مُشتركة ما بينا.

ازدردت رنا لُعابها، كانت تعتقد أنها الفتاة الأكثر شراً في العالم،  
لتقفز هذه الأخرى أمامها من العدم، تبين لها أن الشر موجود في  
وجوه عدة، إحداها قريبٌ يتمنى زوال النعمة من يد قريبه:

\_وأنا معاكى.

\_حلو الكلام، يبقى نشوف بقى هنعمل ايه!



الأيام القليلة التالية سارت كما خطط لها أدهم، بطريقة أثارت  
حفيظته ودهشته؛ عندما تحدث مع رنا عن أمر طلاقها منه توقع  
أن تثور ثائرتها ولا تهدأ، أن تذكُر حبها العظيم له ورضاها بالندر  
القليل من قُربه، أو على الأقل أن تُذكره بحادث اغتصابه لها  
مُمسكةً بذلك جرحه الذي لم ينتهي نزيفه بعد، لكنها لم تفعل أيّاً من

ذلك؛ لقد تقبلت كل كلامه، بحلوه ومره، كان ردها بعبارات قصيرة وإيماءات متكررة من رأسها، ومن ثم سؤاله عن موعد هذا الطلاق الذي لا مفر منه.

كان ليظن أنها عادت لرشدها، أو أنها أدركت مع مرور الوقت والأيام اتساع الهوة الفاصلة بين قلوبهما، كان ليقنع برد فعلها لو لم يلق ذات الرد من أمها!

خالته، المرأة التي عاشت عُمرها كله تراه هدفاً يجب أن تبلغه، كيف ترضى بطلاق ابنتها منه بهذه السهولة؟ كيف لا تغضب ولا تحتج؟ بل وكيف تتمنى له السعادة مع غيرها وهي التي تُدرك جلياً أنه سبب القصور في سعادة ابنتها؟!

حيرته في أمرهما أنسته سعادته بِقُرب اجتماعه مع من اختارها، ينبض قلبه بنبضة غريبة، تُخبره أن تلك السعادة المُنتظرة على وشك أن تزول!



(28)

"انتي اتجننتي يا رنا ازاي بتفكري إن ده هينفع معاها؟" ..

قالتها لبني غاضبة، وهي مجتمعة مع ابنتها تُخططان للخطوة القادمة، لتقول رنا :

\_ ماما صدقيني أنا عارفة نوعية البت دي، النوعية اللي يتضحك عليها بكلمتين على دمعتين وتصدق بسهولة، متخفيش أنا عارفة أنا بعمل ايه ..

\_ أدهم مش هيغفرلك كل ده .

\_ مش مهم، المهم محدش ياخده غيري ..



الدقات الغريبة على باب منزلها أثارت قلقها، وهو الباب الذي لا يتلقى أي دقة منذ توقفت أسماء عن زيارتها، نظرت من العين السحرية، توقعت كل الوجوه التي مرت بحياتها عدا ذاك الوجه الأنثوي الجميل ذو الملامح الحادة! .

عدلت من هندامها وشعرها سريعاً، تُحاول اقتناص الوقت لتهدأة نبضات قلبها المضطربة، توقعت هذا اللقاء لكن في ظروفٍ أخرى، هي ليست مستعدة له الآن، ووحدها!

فتحت الباب بعد أن استعجلتها ببضع دقائقٍ أخرى تتم عن نفاذ صبرها، حاولت استدعاء ابتسامة كاذبة وهي تقول:

\_ رنا؟!\_

طالعتها الفتاة من اخمص قدمها حتى منبت شعرها بنظرة متفحصة سريعة، كيف يستبدلها أدهم بهذه الفتاة ذات الجمال الهادئ حد أنك لا تشعر به من أول لقاء، بل تحتاج إلي تكرار رؤيتها مراراً حتى تُدرك صدفةً أنها جميلة؟!\_

\_ ازيك يا أنسة ملاذ، هتسيبيني واقفة كتير على الباب؟!\_

تتحت مُسرعة عن المدخل، راقبتها تدخل وهي تتطلع خلفها، كانت تُمني نفسها بوجوده، هي أضعف من أن تواجه هذه المرأة ذات الألف لسان، خاصة وهي تُدرك فيما جاءت.

قدمت لها كوب عصيرٍ تلتكت في إعداده داخل مطبخها، جلست قبالتها تنتظر من هذه العاصفة أن تنفجر..



لكنها تفاجأت، رنا، الفتاة الشرسة التي صفتها مُسبقاً لعلمها بعلاقة الحب بينها وبين أدهم، والذي هو زوجها الآن، تبكي!

لم تعرف بماذا تنطق في حضرة دموعها المفاجأة، ناولتها منديلاً متوجسة، تُجزم أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

تحدثت أخيراً:

\_ أنا، أنا اترددت كثير قبل ما أجيلك يا ملاذ، وفكرت في الخطوة دي ألف مرة، لكني في الآخر اكتشفت إن مفيش مهرب من الحقيقة.

ابتلعت ريقها بصعوبة، حاولت استنتاج ما خلف حروفها، الأمر واضح، هي هنا لشيءٍ يخص أدهم.

\_ سمعك يا مدام رنا.

تنهدت رنا بحرقه، من أعماق قلبها وليس تمثيلاً كالدموع التي أجادت استحضارها، تتمنى لو تنطق الصدق، تُخبرها أنها مثلها، لا تزال "آنسة"... وهي الآن، هنا في دار غريمته، أبعد ما يكون عن قول الصدق.

\_ أولاً مبروك، أنا عارفة إنكم بتحبو بعض أوي..بس أرجوك يا ملاذ ماتبنيش سعادتك معاه على تعاسة غيرك ..

وفي حركة درامية مُتقنة وضعت يدها أسفل بطنها ناظرة له بحنو وهي تكمل :

\_ ابني ملهوش ذنب يتحرم من أبوه!!..

انتفضت ملاذ من مكانها، فزعة مصدومة ...دارت بها الدنيا وشعرت بأنها ستفقد وعيها، استقرت ببصرها على موضع يد رنا، حيث بطنها المُسطحة، قالت بتوتر :

\_ ابنك؟ ابنك ازاي؟ مش ممكن!..

هنا أدركت رنا الأمر، أدركت أن أدهم قد أخبرها بطبيعة علاقتهما ببعض، وبالطبع مر على اغتصابه الكاذب لها مدة تعادل مدة الحمل، إذن فحملها هذا قريب ..أمسكت بطرف كذبة جديدة ستجعلها أكثر صدقاً في عيني غريمتها، وتجعلها في المقابل أكثر كُرهاً للمسكين أدهم، استكانت بنظراتها بضعف كبير وهي ترد:

\_ حامل من أدهم يا ملاذ زي ما أي ست بتحمل من جوزها ..

وقفت تنتظر لها صدومة وهي تتذكر كلام أدهم، يستحيل أن يكذب  
عليها كذبة كهذه يستحيل ..

أكملت رنا لعبتها المحكمة، أخرجت ملف يحمل اسم معمل تحاليل  
مشهور وناولتها إياه وهي تقول:

\_أنا عارفة إنك هتكديني، الملف ده فيه أوراق تحليلي يا ملاذ  
وتقدري تتأكدي منه بنفسك .

تناولته بسرعة دون أن تتكلم، أخرجت الأوراق وراحت تأكل  
محتواها بعينها المصدومتين... اسم رنا مكتوب بوضوح واسم  
الزوج كذلك، تحليل دم يثبت حملها الذي لم يمر عليه سوى شهر  
وتحاليل أخرى لحالتها الصحية وفصيولة دمها وغيره ..

شعرت بالدماء تهرب منها، أكان يخدعها كل هذا ؟ لم أخبرها أنه  
لم يمسسها إن كان سيستقبل منها طفله الأول خلال أشهر.. يكذب؟  
.. وإن كان يكذب إذا هو اغتصبها بالفعل مع سبق الإصرار  
والترصد وجاء يرقد لها يخبرها بأنه لم يكن واعياً بما جرى وهي  
كالبهاء صدقته!!..

انتشلتها رنا من سحابة تفكيرها السوداء، إذ أردفت :

\_ ملاذ أرجوك متخليهوش يطلقتي، أنا راضية بعلاقتكم وهسيبكم  
ف حالكم والله بس خليه ميطلقتيش أرجوك!..

طبببت عليا ملاذ وهي في أمس الحاجة لهذه الطبببة، قلبها ينزف  
على حبيبها الكاذب، أكثر ما تكره من خصال وجدتها به، كيف  
تمكن من خداعها كل هذا الوقت كيف؟! اهتزت شفاتها تُحاول جر  
الكلام من جوفها، خرج صوتها متحشرجاً لتقول:

\_ متخفيش يا رنا أنا عمري ما أذي طفل بريء وأحرمه من باباه  
ظهرت معالم الفرحة الكاذبة على وجه رنا لترد:

\_ أنا كنت عارفه إنك طيبة وهتسمعيني، بس أرجوك متعرفيهوش  
على إني جتلك وقولتلك الكلام ده.

تنهدت بضيق تحاول كتمان دموعها قدر المستطاع، سألتها  
بضعف:

\_ ليه؟!!

\_ هفهمك كل حاجة .. لما بلغت أدهم بحملي زعقلي وقالني إنه لازم ينزل وإنه هيبوظ علاقته بيكي، هان عليه بكل بساطة يقتل روح بريئة زي دي، اضطريت أضحك عليه وأفهمه إني نزلته عشان ما ينزلهوش هو بطريقته، قولت مع الوقت الحمل هيثبت وممكن أروح أقعد عند مامتي الفترة اللي بطني هتبان فيها لكن أنا يستحيل أقتل ابني ..

تخشبت ملامح المسكينة، امتلأت قسماات وجهها بنظرة مشمئزة من أدهم، الرجل الخلوق الشهم !!

كيف تأمنه وتآمن مكره وهو الذي قرر بمنتهى البساطة إنهاء حياة طفلٍ لم يخرج للحياة بعد؟! وأي طفل، ابنه؟!!

أردفت رنا بتلعثم :

\_ وكمان .. هو قالني إنه ضاحك عليك ومفهمك إن أنا وهو مفيش ما بنا علاقة .. كأي زوجين يعني ..

اكتملت الصدمة وتربعت في عُقر قلبها بعد آخر كلمات تلك الخبيثة، شعرت بصدق كلام رنا كله بعد هذه العبارة؛ فأدهم بالفعل أخبرها بما قالته للتو ولم يكن معها أحد، لا مجال لرنا لمعرفة ما قاله إلا

بإخطار أحد منهما لها... وقد فعلها هو، أيجعل منها أضحوكة مع زوجته؟ .

أكملت رنا العزف على جميع أوتارها الحساسة:

\_ قالي بالنص " تخيلي مصدقة إني ملمستكيش، بريئة أوي مهما بلغ حبي ليها يستحيل أقدر اضبط نفسي قدام أي ست، خاصة لو مراتي" ..

وقعت ملاذ على الكرسي مصدومة وبدأت الدموع تغشى عينيها، لا مجال لحبسها أكثر من ذلك، تشعر أن روحها الهشة لا تكفي بالبكاء في مثل هذا الموقف، تحتاج أن تصرخ، أن تنتقم من سذاجتها التي صورت لها كلامه على أنه حقيقة لا تقبل التشكيك، كم كان كاذباً بارعاً! وكم كانت هي غبية حمقاء!

غادرت رنا بعد أن أكملت مسرحيتها ببعض الكلمات والدموع، تسقي زهرتها الحزينة بالمزيد من سمومها، فتموت بدلاً من أن تنمو!..



اتسعت ابتسامه أسماء الشيطانية بعد أن أنهت اتصالها الهاتفي مع رنا، علمت من خلاله بما دار بينها وبين ملاذ في دارها، وبتصديقها لتلك الكذبة التي اخترعوها من أجل اقصائها من حياة أدهم، تُدرك أن رنا أكبر المُستفيدين من هذه الخطة، خاصة أن تنفيذها إياها جاء قبل أن يبدأ أدهم في إجراءات طلاقهما، يعني أنها قد تستطيع الاحتفاظ به كزوج، وإلي الأبد.

رغم ذلك، هي أكثرهن سعادة، ستخرج صفر اليدين كما اعتادت دوماً، لكن هذه المرة \_ على الأقل \_ لن تكون أيديها وحدها الخالية. تهتت، لا تشعر بذرة ندم، بل تستعجل الأحداث لتري إلي ماذا ستؤول، كل ما عليها فعله الآن الإنتظار، خرجت الكرة من ملعبها وهي الآن في ملعب القدر.



رن هاتفها باسمه الذي باتت تكرهه، كفكفت دموعها مُسرعة، لن تسمح له أبداً أن يري ضعفها بسببه، ستكون قوية كما اعتادت أمام الناس، وستترك الإنهيار لثمارسه بمهارة ساعة أن تختلي بنفسها.

\_ إيه يا حبيبتي مش بتردي من أول اتصال ليه؟!!

جاءها صوته، بربه كيف يستطيع إتقان دوره بهذه المهارة؟!  
نغماته الحانية كادت أن تُنسيها كذِبته الكبرى، أخذت نفساً عميقاً  
وهي تُذكر نفسها، لا ينبغي أن يعلم بأمر رنا وزيارتها لها، ولا بأن  
الطفل لا يزال ينمو داخل أحشائها، سيأتي الفراق مؤلماً له، لتذيقه  
بعضاً مما أذاقها إياه!.

\_ عشان مش عاوزة أرد.

شعر بالتغير الحادث لصوتها، سأل بتوجس:

\_ ملاذ، فيه إيه؟!!

\_ فيه إني فكرت كويس بيني وبين نفسي، ومش هعرف أكمل في  
العلاقة دي.

انتفض في مكانه، هي لا تراه لكنها تشعر به، كما أنها سمعت  
صوت ارتطام ورجحت أن كرسيه قد سقط، هذا ما تريده بصدق؛  
صدمته ووجعه!.

\_ انتي بتقولي إيه؟! تفكير إيه وعلاقة إيه اللي مش هتعرفي تكلمي  
فيها؟



\_\_ إديت لقلبي إجازة طويلة يا أدهم، وعقلي أخيراً عرف يفكر بعيد  
عن سطوته، إنت راجل متجوز، واتجوزتها وأنا يعتبر خطيبتك بعد  
ما اغتصبتها، فرق السن بيني وبينك عُمر طالب في الإعدادية، آه  
مش باينين عليك بس بكرة يبان، زهرتك هتموت وزهرتي لسة  
بتفتح، إيه يجبرني أكمل في علاقة هكون أنا الخسرانة فيها.

ازدرد ريقه بضعف، لا يُصدق أن هذه الكلمات القاسية تخرج من  
فمها عذب الكلام، لا يصدق أن هذه الفكرة قد مرت ببالها، لم تحدثه  
يوماً عن عُمره والفارق الكبير بينه وبينها، لم يدع الحب أي مجال  
لذكر أي أمر قد يُفسد عليهما سعادتهما، ما بالها الآن تُمسك  
بتلابيب الواقع وحساباته اللعينة؟!!

تحشرج صوته وهو يرد عليها، كاد قلبها أن يتألم له، سرعان ما  
عاجله عقلها بصفعة؛ يكفيك ضعفاً أمامه:

\_\_ أنا.. أنا مش مصدق اللي بسمعه منك، وفجأة كدة؟!!

\_\_ لا صدق، مفيش حاجة بتفضل على حالها.

\_\_ انتي عارفه إني خلاص هطلق رنا، وعمرك ما ذكرتي عمري  
وعمرك، إيه اللي جد يا ملاذي؟!!

تنهدت بضعف، غشت الدموع عينيها دون إرادة، لكنها كتمت عنه شهقاتها، لم تر في عمره من قبل ولا حتى الآن أي عيب، أرادته أن يكون أباً لها قبل أن يكون حبيباً وزوجاً، أرادته أن يعوض خانة أبيها المفقودة منذ زمن بعيد، لكنها لم ترَ أبداً أب يكذب على ابنته، يخدعها، يتخذها تسليته بسبب سذاجة فطرتها معه.

\_\_ قولتك عقلت خلاص.

\_\_ أنا مش مغفل يا ملاذ عشان أقتنع بحجة زي دي، ومش هرتاح إلا أما أعرف الحقيقة.

\_\_ يبقى تدور عليها بنفسك، لكن من دلوقتي كل اللي ما بينا انتهى.

قالتها وأنهت المكالمة مُسرعة، ظلت تدور في مكانها، هو لن يمرر الأمر بهذه السهولة، قد يأتي حتى إلي منزلها، وهي للأسف باتت تخافه، لقد سحبت رنا بكلماتها عنه كل الثقة التي أودعتها تجاهه يوماً، الآن تراه أدهم، الحبيب الخائن، الرجل المُغتصب، والأب القاتل!.



(29)

كما توقعت، لم يمر سوى نصف ساعة حتى سمعت صوت دقائه على باب منزلها، تعرفها ولا تحتاج للتأكد من هويته بالنظر من عين بابها السحرية. صمت آذانها عن دقائه التي ازدادت وتيرتها مع إستمرار تجاهلها لها، سمعته يصيح من الخارج:

\_ افتحي الباب يا ملاذ، متفكريش إني هزهق وأمشي.

نهضت من مكانها، هي أدري الناس به وبرأسه الصلب، لكنها لا تملك مواجهته، لو رأت وجهه ستبصق الحقيقة به، وهي لن تسمح لنفسها أبداً بأن تكون سبباً في أذية غيرها.

بلغت الباب الذي هدأ صراخه أخيراً، من المؤكد أنه سمع صوت خطواتها فتوهم أنها قد تفتحه، لكنها أحكمت إغلاقه أكثر!.

\_ افتحي يا ملاذ!

\_ إمشي يا أدهم..

قالتها وهي تستدير على بابها المُنغلق، تتمنى لو تملك السلطة الكافية لغلّق أبواب قلبها أمامه بنفس القوة، كيف ترأف به بعد

كذبة كتلك؟! لو استمرت هذه الرأفة بها فهي تستحق كل كذباته بل وتستحق أن تكمل الباقي من حياتها تحت عرش خداعه، عليها أن توقظ نفسها، لا قدومه ولا صراخه ولا كلماته بقادرة على تغيير موقفها، ستذكر قلبها الأخرق بهذا فيبدو أن ذاكرته ضعفت مؤخراً.

\_ مش همشي يا ملاذ، مش دلوقتي بعد ما خلاص كنت على بُعد خطوة منك.

رقدت دموعها على خديها، تحمدُ الله أنه لا يراها، تنهدت رافعة رأسها، خرج صوتها حاسماً بخلاف مظهرها الضعيف:

\_ لازم تتعلم إن مش لازم دايماً الأمور تمشي على كيفك، لازم حد يقف في وشك ويقولك لاء.

\_ لاء على إيه يا ملاذ؟! إحنا كنا زي السمن ع العسل ومحصلش أي حاجة للي انتي بتعمليه ده.

هدأ صوته وهو يفكر، بالتأكيد موقفها الغريب هذا نتيجة تدخل طرف ثالث، طافت في مخيلته فجأة صورة سعد، ربما حاول استعادتها، ربما أخبرها عنه ما ليس به!!

قال بعد أن خلص إلي هذه النتيجة:

\_ ملاذ، إنتي حد لاعب في دماغك، مش كدة؟ دي مش ملاذ اللي أدهم عارفها.

توترت، لو عرف بأمر رنا سيقتلها، قبل أن تجد الرد المناسب سمعته يكمل بحرقه:

\_ إنتي بتفكري ترجعي لسعد مش كدة؟!!

الآن يرمي بطرف الكذبة إلي يديها العاريتين، أحكمت قبضتها عليه وقررت أن تستغله، ليس لحماية رنا من برائته وحسب، بل ولرد الضربة إلي قلبه كذلك، ردت:

\_ بصراحة يا أدهم، أنا اتسرعت، خدت أكبر قرار غلط في حياتي يوم ما انفصلت عنه، لكنه قرار سهل إصلاحه!.

اهتز رأسها إثر قبضته القوية التي سددها نحو الباب من خلفها، على الفور استدارت بعفوية كأنها تراه، كأن هذا الباب الخشبي اللعين قد احتفى، لو أنها ترى وجهه الآن وترى انكساره! لو ترى الخذلان في عينيه مثلما تراه تجاهه داخل قلبها!

هدر صوته الغاضب، صائحاً غير مبالي بمن قد يسمعه غيرها:

\_ ده يبقى آخر يوم في عمري يا ملاذ لو رجعتيله، فاهمة، آخر  
يوم في عمري!

لم يستطرد، لطم الباب لكمة أخيرة ثم استدار عائداً لسيارته،  
استطاعت هي بالداخل سماع صوت انطلاقه العالي، ستكون  
أعجوبة قدرية لو أنه لم يتعرض لحادث اليوم!



أتاه اتصال عاجل من المشفى الذي تعمل به أمه، جعله يعود أدراجه  
من الطريق الذي كان يسلكه قاصداً منزل صديقه سعد، ذكره هذا  
الاتصال بأن من ادعى شيئاً أصابه؛ فأمه المسكينة تعرضت لأزمة  
قلبية أثناء متابعتها لإحدى الحالات، أكل الطريق المؤدي إلي  
المشفى وقلبه مضطرب، يشعر أن القدر يقف أمامه، يُلاعب له  
لسانه وهو يتحده أن يفك عقدة الخيوط التي تشابكت، وفي الوقت  
المناسب لفكها قبل أن تنقطع!



مر يوم ولم تتلقى منه اتصالاً، ولم يُعاود زيارتها، شعرت بالقلق  
لكن ليس عليه هذه المرة؛ بل على سعد المسكين، حظه السيئ

يُطارده حتى بعد أن تركته وعفته من علاقتهما غير متكافئة  
المشاعر، ها هي بعد أن أبعدته عن ساحتها هي وأدهم تمد يدها  
وتجذبه لداخلها من جديد بكذبة خرقاء من السهل إكتشاف زيفها.  
بينما يأكلها القلق كوجبة دسمة، تلقت اتصالاً كان لها ملاذاً آمناً..

أول مرة تستشعر الملاذ في شيء حقيقي غير اسمها!



\_ نورتي بيتك يا أمي.

قالها وهو يسندها عابراً بجسدها الرخو باب منزلها، مرت ثلاثة  
أيام منذ آخر مرة رأى فيها تلك الفتاة التي تُجيد تعذيب قلبه، لكنه  
لم يكن متفرغاً لها، يكفيه أمه وما أصابها وحالتها الصحية التي  
تحسنت ببطء شديد، يبدو أنه قد حان الوقت أخيراً حتى تترك عملها

لم يخبرها بما جرى بينه وبين ملاذ، هي وقلبها لن يحتملا صدمة  
كهذه، يكفيها نوبتها الأخيرة والحمد لله على خروجها منها سالمة.

\_ ما تريحني ياابني وتقولي فين ملاذ؟ 3 أيام لا شوفتك كلمتها

ولا جت تظمن عليا مع إن ده مش طبعها، هي كويسة؟!!

تنهد يحاول إيجاد كذبة، لا بأس بكذبة بسيطة تمنع عنها شر ما قد تُلاقيه من قول الحقيقة:

\_ هيا للأسف عندها حبة مشاكل كدة مع ناس قرايبها في محافظة تانية وسافرت ليهم، محبتش أعرفها اللي حصلك إلا أما تخلص مشاكلها.

\_ لا إله إلا الله، ربنا يخفف عن كل مؤمن مُصابه يا حبيبي.

أمن على دعوتها الأخيرة، عليه ألا يُضيع وقتاً في سبيل حل معضته معها، سيحرص أشد الحرص على إنهاء كافة المشاكل في أقرب وقت.



أنهى سعد شرح أول حصة لطلابه الجدد في مركز الدروس الخصوصية، والذين أصروا على بدئها في بداية الإجازة دوناً عن باقي المجموعات.

اتجه لخارج حجرته ليجد نورا سكرتيرة الأستاذ عادل بانتظاره، ابتسم لها لترد له ابتسامته بابتسامة أكثر جمالاً ونقاءً، يستغرب كيف لم يلاحظها وهي التي تعمل عندهم منذ عامين؟! كيف لم



يلتفت الأحق قلبه لابتساماتها المتكررة كلما طالعته، وكيف لم يلحظ بصره الأعمى انطفائها منذ أعلن خطبته على ملاذ؟... لكنه الآن استيقظ، استعاد الباقي من رشده على أطراف ابتساماتها العذبة التي عادت تضيء صفحة وجهها مذ ترك خطيبته.

\_ آسف إني اتأخرت عليكِ، بس ملقتش غيرك وبصراحه مبقتش عاوز أعين حد تاني خلاص.

\_ طب وماله، حتى آخر واحدة عينتها روحت خطبتها.

ابتسم لشعوره بالغيرة التي عبأت كلماتها، لم يصارحها بمشاعره نحوها بعد، ويشعر أن الوقت قد حان:

\_ حيث كدة بقى يبقى مضطر أعينك انتي.

أجمتها الصدمة، تُثبت له باستمرار سرعة بديتها والتقاطها لأي رسالة مُبطنة بين الكلمات، اتسعت ابتسامته لها وهو يكمل:

\_ بس وظيفتي محتاجك العمر كله، قولتي إيه؟!!

أجفلت خجلة تُطالع الأرض التي يتشاركان الوقوف عليها منذ ما يزيد عن عامين، منذ وقفتها الأولى هنا وهي تراقبه، تحفظ جدول مواعيده وحصصه أكثر من المعلم الذي التزمت بالعمل معه، تتخيل

هذه اللحظة الفريدة كل يوم قبل أن تنام، أن يُنصفها القدر ولو  
لمرة واحدة بحياتها ويعطي قلبها مُرادَه، تبخرت تلك الأمنية عندما  
ارتبط بملاذ، الحمقاء التي فرطت بكنزٍ يصعب تعويضه، من يومها  
وشعلة حماسها مُنطفأة، لكن اليوم، وبطريقة سحرية مُحبية، تشعر  
ببِد القدر تواسيها، تربت على قلبها المغمور حباً وتعطيه ما تمنى.

لم يُسغفها الوقت، لا للرد ولا للتفكير؛ إذ تفاجأت بذاك الدكتور  
الجامعي، صديقه المقرب، يقتحم المركز مُحطماً هالة الحب  
المحيطة بهما بوجهه غاضب القسامات، والتي لا تنبأ بخير.

\_ أدهم؟! خضتنا يا راجل حد يدخل كدة؟! \_

تقدم أدهم وهو يعض شفته السفلى، يُطالع الفتاة الواقفة بالقرب  
من صديقه، يتذكر نظراتهما لبعضهما البعض لحظة دخوله،  
ويتذكر تلك المغفلة حبيبته! قال يحاول كتمان غضبه:

\_ عاوز أتكلم معاك يا سعد \_

\_ اتفضل يا أدهم، نورا مش غريبة \_

نظر لعينيه متسائلاً، ليبتسم سعد وهو يُكمل:

\_ قريب أوي هتبقى مراتي \_

اشتدت قبضة أدهم وتنافرت عروق رقبتة، صاح به بعد أن فاض  
كيله بآخر ما نطق به:

\_ ولما هي هتبقى مراتك، رايح تلف وتدور على ملاذ تاني ليه؟!  
اتسعت عينا الفتاة من المفاجأة، سرعان ما نظرت لسعد تنتظر  
إجابته، لمحت صدمته هو الآخر فسألته:

\_ إيه الكلام ده يا سعد؟!!

نظر سعد داخل عيني صديقه الوحيد، وشريك عمره وعمله، تذكر  
كلمات ملاذ القديمة، والمواقف القليلة التي جمعتها بأدهم، رد  
على أدهم بخذلان:

\_ ملاذ تهملك في إيه يا أدهم؟!!

اقترب منه أدهم خطوة أخرى وهو يرفع سبابته محذراً:

\_ رد على سؤالي الأول يا سعد، لما إنت خلاص هتتجوز غيرها  
روحت تلعب في دماغها لبيبييه؟!!

غضبه الهادر أعطاه الإجابة، بقي على ثباته رغم اضطراب  
مشاعره في هذه اللحظة، قال بهدوء:

\_ استتيني برا يا نورا من فضلك.

\_ لا ياسعد، أنا هروح.

\_ نورا، ده سوء تفاهم كبير وانتي أعقل من إنك تصدقي الكلام  
ده، من فضلك.

استجابت لطلبه وغادرت، بالأساس أخافها منظر ذاك الرجل  
وأزعجها صراخه، كما أنها استشفت مشاعره تجاه ملاذ، والتي  
يبدو أن سعد لم يكن يعلم عنها شيئاً.

انتظر حتى غادرت لينظر لأدهم ويقول:

\_ خُنت صاحبك يا أدهم؟ هونت عليك بالسهولة دي؟!!

\_ انت عاوز تقلب التراييزة ولا إيه؟!!

\_ لا يا أدهم، هي كدة كدة مقلوبة لوحدها... وبالنسبة لسؤالك  
الغريب فأنا مشوفتش ملاذ ولا سمعت صوتها من ساعة ما أنهت  
علاقتها بيا، أنهتها عشان بتحب حد تاني، بس عمري يا أدهم  
عمري ما كنت أتخيلك انت الحد ده.

لم يعرف بما يرد بعد ما سمعه، توقف تفكيره عند محطتين، صدمة صديقه فيه والتي تستلزم توضيحاً كبيراً، وصدمة أنه لم يرغب في العودة إليها كما سبق وادعت هي!

سقط بجسده على أقرب كرسي، بينما ظل سعد واقفاً ينتظر منه حديثاً قد يُبرد نيران قلبه، هي لم تعد تعنيه... لكن المغضلة الآن ليست فيها هي، بل في استباحة صديق عمره النظر إلي خطيبته، وسرقتها منه أيضاً.

سأل بهدوء يُنافي عاصفة قلبه:

\_ ودلوقتي دورك تجاوب على سؤالي يا أدهم.

تنهد، رفع رأسه المُنكس يُطالعه، لا يعرف من أين يبدأ الحكاية، هو في أكثر لحظاته هزيمةً ولا يقو حتى على رد تحية، فكيف يُطلب منه قص حكاية مُعقدة كتلك؟ لكنه مُجبر... يجب أن يُنظف ساحته وساحتها أمام صديق عُمره. قال:

\_ هجاوبك، بس فيه حاجه، أنا مخدتش ملاذ منك... انتا اللي خدتها الأول مني .

\_ تقصد إيه؟!!

ملادي

\_ أنا وملاد كنا بنحب بعض قبل ما انتا تخطبها وحصلت مشكلة كبيرة خلتها توافق تتخطبك.

بدا على وجهه الاهتمام أكثر، جذب كرسيّاً آخر ووضعته قبالة ليجلس ثم يردف:

\_ بتحبوا بعض، ومشكلة كبيرة .. أنا مش فاهم حاجه!!

\_ أنا هفهمك كل حاجه..



(30)

قص عليه أدهم كل شيء .. وأي شيء يتعلق بقصته هو وملاذ،  
حتى اغتصابه لونا والذي لا يعلم به أي أحد خارج نطاق الحاضرين  
في المنزل تلك الليلة .. أفرغ كل ما في صدره في حضرته، مخافة  
أن تأخذه الظنون وتطوف به في رحلةٍ من إنعدام الثقة ..

أكمل أدهم:

\_ أنا كنت هقولك كل حاجه، كنت أول شخص هعرفه إني خلاص  
لاقيت نصي الثاني، سواء دلوقتي أو قبل كدة، لكن دايماً فيه حاجة  
تحصل تبوظ الدنيا، زمان رنا ودلوقتي...

\_ بردو رنا!

قاطعاه سعد رامياً بتلك القنبلة، نظر له أدهم مندهشاً ليبتسم سعد  
ويكمل:

\_ بص هو أنا حالياً شايل منك ومعبي وهموت وأديك علقه  
محترمة، بس معلىش، هراف بحالك وأجلها لبعدين.

\_ بعد كل اللي حكتهولك ده لسة مفهمتش؟

\_ لا فهمت، ويظهر إني فهمت أكثر منك كمان، سر التغيير الغريب  
اللي حصل لملاذ ناحيتك وفجأة ده مش هيخرج برا دايرة مراتك.

\_ إزاي يعني؟!

\_ انت قولت إنها عايرتك بسنك وقالت كلام صعب، وكمان قالتك  
إنها هترجعلي وهي مشافتش وشي أساساً، كل ده محسسكش  
بحاجة؟

\_ حاجة زي إيه يا سعد؟

\_ ملاذ عاوزة توجعك يا أدهم، والست عمرها ما تفكر توجع  
حبيبها إلا إذا كان واجعها قبلها، ووجع قوي كمان.

لم تخطر هذه الفكرة بباله، ربما لهذا أمضى عمره كله يهرع إلي  
سعد في مسائل كهذه؛ يُحب نظرتَه المختلفة للأمور، والتي في  
الغالب تأتي صائبة كحد سيفٍ قلما يُخطيء هدفه.

حدق في عينيه ورد:

\_ شايف إني مفروض أعمل إيه دلوقتي؟

اعتدل سعد في جلسته وأجابه:



\_\_ أولاً يا سيدي تعذرلي إنك لبستي السلطانية الفترة دي كلها.

\_\_ ياعم حقك على راسي بس وعهد الله ما فايقلك.

\_\_ همشيه اعتذار ماشي، أما بالنسبة لتعمل إيه، فسكتك حالياً لازم توديك لملاذ، لازم تفهم منها اللي حصل، وبعدها أنت اللي هتحمك تعمل إيه.



دقاته المتعالية على باب منزلها لا تجد إجابة، وقف مضطرباً يشعر بالقلق، يعلم أنها لا تنتظم في عملها هذه الأيام، كما أن زياراتها العائلية لأقاربها مُنعدمة، وذاك القابع بين أضلعه ينبأه بما يرفض عقله استيعابه؛ لقد غادرت!

ليسكت صوت قلبه عاود دق بابها، تمنى الباب في تلك اللحظة لو يُرفع عنه الحجاب فينطق، يبوح بسر صاحبه التي تركته دون وداعٍ لائق، يُخبره أنه الآخر حزين ويشتاق لطلتها كل صباح ومساءً، لكن ليس بيده سوى استقبال كف يده الغاضب، مُصدراً ذاك الصوت العالي دون جدوى... لا أحد بالداخل يا أدهم، لا أحد.



\_ خلاص يا قمر، استنزف كل فرصه معايا، تماماً زي ما  
استنزف مشاعري!..

قالتها وهي تُحدث صديقتها الوحيدة، تبثها آخر التطورات في  
قصتها معه، وتُعلمها بقرارها الأخير:

\_ أنا هسافر مع خالتي!..

أنهت مكالمتها بعد العديد من توسلات قمر، والتي لم تلقَ صداً  
في قلبها، كانت قد كتبت القرار، وأخذت عليه أختاماً موثقة من  
كل خليةٍ بها، لا سبيل للتراجع الآن!.

أطلقت تنهيدةً عميقة وكأنها تختم بها أفكارها المضطربة، مر  
يومين منذ وصلت الإسكندرية بعد مُكالمة ضحى غير المتوقعة؛  
عمل والدها زي الطبيعة المتقلبة تصادف هذه العطلة أن يكون  
مقره في مصر، وكانت تلك حجة مناسبة لخالتها وبنيتها  
لمرافقته في رحلة عمله، وعلى الفور هاتفها ضحى عند

وصولهم ولم تكن تدري أنها في أمس الحاجة لهذه المكالمة،  
وهذا الفرار الجديد.

ابتسمت بضعف، هي لا تفعل شيئاً منذ التقت به سوى أن تفر،  
تُجيده كما يُجيد الطير طيرانه، ترى نفسها امرأةً جبانةً، عاجزة  
عن الوقوف والمواجهة بشجاعة، هي صاحبة الحق والأحجة  
هنا، وما عاهدت يوماً صاحب حقٍ يخاف ويهرب!

مما تهرب؟! إنه خائن كاذب، تستطيع صفعه بالحقيقة بمنتهى  
السهولة، لكنها تعلم أن ذاك شيءٌ سهلٌ عند كل الناس، ما عداها  
هي، ستضعف أمامه كما تضعف في كل مرة، وقد تُصدق أكاذيبه  
الجديدة أيضاً، لم تعد تثق لا بقلبها ولا بعقلها، لذا... فبمجرد أن  
وانتهت فرصة أخرى للانسحاب، سرعان ما لملت مشاعرها في  
حقائب وراحت ترقد، هاربةً منه، ومن أكاذيبه، وقلبها الأحمق،  
ومنها هي ذاتها!.

سمعت صوت دقات متفرقات على باب غرفتها، بعدها دلفت  
ضُحى مبتسمة تحمل بين أيديها صينية يستقر فوقها كأسا  
عصير، هتفت وهي تدخل بمرح:

\_\_ إوعى العصير الفرش يا جالامد.

وضعت الصينية على المنضدة، ثم ناولتها أحد الكأسين وهي  
تُكمل:

\_ عملتك بقى حبة عصير ليمون ينعشوك في الحر ده.

ابتسمت لها ملاذ، تعلم أنها تحاول التخفيف عنها بعد ما أخبرتها  
به، كالعادة أجادت ضُحى دورها كمُستمعة حانية، لا تُنغص عيش  
من يُفرغ محتويات عندها، فقط تمد يدها الدافئة وتربت فوق  
أكتافها، تصل "طبببتها" لقلبها، فيرتاح!.

\_ تسلم ايدك يا ضُحى، بس متعمليش عصير تاني.

انتفضت الفتاة قائلة:

\_ بقى كدة ياست ملاذ، هي دي شكراً اللي بتقولها.

\_ أغشك يعني؟! ده مُر أكثر من حياتي يابنتي.

رنت إليها لتربت على كتفها وهي تقول:

\_ ربنا يبعد أي مُر عنك يا ملاذ.

\_ مش بيبعد يا ضُحى، ومش قادرة أبطل تفكير.

\_ في إيه؟

طالعتها ملاذ ناظرة لعينيها وردت:

\_ إنتي عارفه.

\_ لاء، عاوزة أعرف بتفكري في إيه تحديداً، في كلام رنا  
وحملها وكذبه... ولا فيه؟!!!

انتفضت ملاذ لتقف في مكانها، توجهت للشرفة على الفور،  
سيرته باتت تسحب الهواء من رئتيها، تشعرها بالاختناق وأنها  
لو تنفست أوكسجين العالم كله فلن يُسعفها!  
وقفت ضحى خلفها وأكملت:

\_ لازم تكوني صريحة مع نفسك.

\_ أنا بكرهه.

\_ ملاذ!!

نزلت دموعها على خديها وهي تُكمل:

\_ بكرهه لأنني بحبه، لأنني واقفة قدامه عاجزة، مش عارفه أبدل  
مكانته جوا قلبي، بس... بس مبقتش متقبلاه خلاص.

استدارت تواجه ابنة خالتها، شعرت أنها تواجه نفسها، لذا نطقت  
بصدق:

\_ مش معنى إني لسة بحبه إني ينفع أكمل معاه، هو جاي على  
مقاس قلبي لكنه ضيق أوي على حياتي.

\_ والحل؟!!

\_ اللي أنا بعمله ده أسلم حل يا ضُحي، طالما قررت أنتزعه من  
حياتي، يبقى لازم كمان أنتزعه من قلبي، ودي حاجة مش  
هتحصل إلا لما أبعد عنه، وبعد نهائي.

اقتربت ضحي أكثر، دققت النظر بمقلتيها وهي تسأل:

\_ يعني إنتي متأكدة من قرار سفرك معانا؟!!

تنهدت ملاذ وعادت تُطالع البنائيات القابلة للشرفة، إنه قرار  
صعب، ليس على قلبها فحسب، بل على الجانب العلمي من  
حياتها، إذ ستضطر للبدء من جديد في الدراسة الجامعية، لكنها  
تكره حياتها بمصر التي صارت مرهونة بوجود أدهم فيها.

الشخص الذي كانت تُحبه باتت اليوم تخشاه، تخشى قُربه،  
وتخشى حُبه، وتكره ضعفها في حضرته، وحضرة كذباته التي  
تبتلعها كما يبتلع الطعم السمك، قالت بيأس:

\_\_ متأكدة يا ضحى.

\_\_ طب تسمحي لي بكمان سؤال؛ هو إنتي ليه متأكدة أوي كدة من  
كلام رنا مراته.

عاودت النظر لها وهي تُجيب:

\_\_ لأن دائماً رنا معاها الدليل، معاها الإثبات اللي بيرضي العقل،  
أما هو... فمش هاخذ منه غير حبة كلام بيعرف يضحك بيه على  
قلبي.

\_\_ ما يمكن يكون معاه الدليل المادي يا ملاذ، وانتي اللي  
مدتهوش فرصة يوريهولك.

\_\_ مكنش ينفع أراهن رهان زي ده، لأنني كدة أبقي واحدة أنانية  
وبعرض حياة طفل للخطر لو خسرت الرهان.

لانت نظرات ضحى وردت:

\_ الراجل اللي قابلته يا ملاذ مرة واحدة، وشوفت نظراته ليك  
مرة واحدة، يستحيل يكون نفس الراجل اللي هدد مراته وطلب  
منها تنزِيل ابنه من بطنها.

\_ يعني إيه يا ضُحى!؟!

\_ يعني انتِ اتسرعتي، ورننا... هي المُجرمة الوحيدة في القصة  
دي!.

شعرت باضطراب نبضات قلبها، يُسارع في تأكيد إدانة تلك  
المرأة، وبأنه لم يرتح لها رغم شففته على الصغير، فيسرع  
العقل بالتدخل من جديد، إن كان حقاً كما قالت ضُحى فأين هو؟!  
لم لم يُهاتفها على الأقل عبر الهاتف؟! رحيلها كان رد فعل  
طبيعي على ما وصلها من رنا، لكن رد فعله على رحيلها ليس  
طبيعياً إطلاقاً، خاصةً منه هو. قالت:

\_ لو كان كلامك صح، فهو فين؟ أنا هنا من يومين، معقول  
ملاحظش غيابي كل دة؟!!

\_ الله أعلم بالظروف اللي منعتة.

\_ ليه حساك بتدافعي عنه يا ضُحى!..



\_\_ ببساطة لأن حكاية مراته دي مدخلتش دماغى ولو برقع جنيه،  
دي حتى فكرتني بفيلم عربي قديم، الله يرحمها شادية وعبد  
الحليم عملوها قبلكم.

\_\_ بظلي تظلمي الناس، مش لازم إحساسك يطلع صح دايمًا.  
مدت ضحى يدها أمامها، وبرد فعل طبيعي رفعت ملاذ هي  
الآخرى كفها ليستقر في راحتها، أردفت ضحى:

\_\_ طب وشبكة العشرة دول الولية الحيزبونة دي هتطلع في  
الآخر الشريرة في روايتك إنتي وأدهم!.



وقف أمام باب منزلها بعد أن أكله اليأس من أن يُفتح، أخرج  
هاتفه وحاول الاتصال بها مراراً لكن هاتفها غير مُتاح، فكر في  
مُحادثتها عبر تطبيق التواصل الاجتماعي فيسبوك، وسرعان ما  
اكتشف أنها أضافته إلي قائمة الحظر!!

قاد سيارته من جديد، وجهته كانت منزل أمه، لا طاقة له اليوم  
للذهاب إلى رنا والحديث معها، كل ما يهمه أن يعرف أين ذهبت  
تلك المجنونة.

أضاعت في رأسه فكرة، وأنها ربما ذهبت إلي الاسكندرية من جديد، سرعان ما خبي ضوءها وهو يتذكر سفر خالتها خارج البلاد منذ أشهر، إذا أين ذهبت؟!!

انتشله صوت الهاتف من شتات أفكاره، طالع شاشته ليجد المتصل غير مُسجل لديه، تجاهله حتى انقطع صوته، أوشك أن يفعل وضع الطيران لكن سرعان ما على صوت الهاتف من جديد بين يده، شك أنه ربما تكون هي المتصلة وهذه الفكرة وحدها دفعته لتلقي المكالمة بلهفة إذ قال:

\_\_ ملاذي؟!!

سمع صوت ضحكة أنثوية على الطرف الآخر، لكنها ليست ملاذه، كاد أن يتكلم لكن الفتاة سبقته قائلة:

\_\_ ولما أنت مُتلهف عليها أوي كدة كنت فين من تلت أيام؟

\_\_ مين بيتكلم؟!!

\_\_ ضُحى، أعتقد فاكرنى.

أوقف السيارة وقد دقت الراحة أبواب قلبه أخيراً، إنها ذات البنت التي تعرف عليها في الإسكندرية الشتاء الماضي، ابنة خالتها

المُسافرة، وبما أنه تلقى المُكالمة من رقم محلي الآن... إذا؛ فملاذه  
ذهب إلى الإسكندرية بالفعل!

\_ يعني جنابها سيياني أدور عليها هنا وهي في اسكندريه؟!

\_ وإنت لسة ملاحظ غيابها دلوقتي؟ طب حتى اتصل اطمئن عليها.

\_ اتصلت يا أختي، بنت خالتك حطاني في قائمة الحظر؛ اتصال  
وفيسبوك.

ضربت ضُحى على الطرف الآخر جبينها، إذا لماذا تشتكى الحمقاء  
نسيانه لها وهي من أغلقت الأبواب في وجهه؟! سمعته يُكمل:

\_ وبالنسبة لسفرها فأنا معرفتش بيه إلا النهارده؛ أمي كانت تعبانة  
ومحجوزة في المستشفى وكنت معاها.

تتهدت بعد أن اطمئن قلبها ولو قليلاً، أنه على الأقل امتلك عذراً  
قوياً كهذا للغياب، نظرت حولها تتأكد أن لا أحد في الجوار، لو  
عَلِمَت ملاذ بما فعلته، وبأنها انتظرت دخولها إلي الحمام لتسرق  
رقم هاتفه من ذاكرة هاتفها، وبأنها تُحادثه الآن حتى تشي له بما  
سبق وأخبرتها هي به؛ لدفتها حياً بالتأكيد، لكنها لا تستطيع  
تمرير الأمر بهذه الطريقة، لا تستطيع السماح لها بالسفر معهم

قبل أن تتأكد من صحة حُب هذا الرجل لها، وبالتأكيد ستسامحها ذات يوم.

\_ شفاها الله وعافاها، عامة أنا مش مكلماك عشان أعاتبك.

\_ أنا متوسم في مُكالمتك خير.

\_ إنها تكون خير أو شر، فدي حاجة ترجعلك وف ملعبك دلوقتي.

\_ مش فاهمك!

\_ وأنا هفهمك..



(31)

غضبه الهادر أعمى بصيرته، وقبضته كادت أن تخلع مقود السيارة من عزم ما يفتعل بها من غضب، كان قد غير وجهته بعد أن أنهى تلك المُكالمة؛ حبل النجاة الذي رُمي إليه من علٍ، بحكمة قدرية بات شاكرًا لها كثيراً مؤخراً، كاد أن يصطدم بإحدى السيارات من شدة سرعته لكنه تفادها بمهارة رغم عقله الغارق في التفكير..

رنا؟! رنا تكذب كذبة كبيرة كتلك؟!!

وهو الذي كان يشعر بالشفقة عليها مع اقتراب طلاقه منها، تلعب عليه مثل هذه اللعبة التي كادت أن تضرب حياته في مقتل، الآن يعذر ملاذ، لقد تحملت منه الكثير، حتى أتت زوجته لتخرجه أمامها بأبشع الصفات التي قد تتواجد برجل، زفر بعنف، يتمنى لو يطوى الطريق بسرعة، لو يرى عنقها أمامه الآن لدكه دكاً دون أدنى ندم.



"\_ هه، ده مبيحوقش فيه حاجه يا شيخة، هوا فيه أمر من كل اللي عملته فيه؟!!"

" مهى بعدت عنه أهو وبردو لسة دايب ف دبادبها "

" يا ماما والله زهقت، بس على الأقل مش هيطولها لآخر حياته "

...

كان قد فتح الباب ودخل دون أن يدق من شدة استعجاله، سمعها تتحدث عبر الهاتف بتلك العبارات التي زادت من تدفق الدم في عروقه ..تقدم أكثر نحو غرفتها وسمعها تكمل :

\_ وفيها إيه لما يعرف إن محدش لمسني قبل كدة، كان هيبقى اتدبس خلاص، ثم دوت ضحكة مجنونة منها وهي تكمل :

\_ تصدقي يا ماما نفسي أشوف وشه لما يعرف أنه مغتصبنيش وإن الحكاية كلها تمثيلية!!

صُعق في مكانه ..مرت عليه ذكريات هذا العام سريعًا..توقف عقله عند تلك الليلة البشعة التي أفاق فيها على صراخها وادعائها اغتصابه له، شعر أنه سينفجر ..سمعها تكمل خلال ذلك :

\_ ولا الغبية اللي مصدقة إني قال إيه حامل ..

لم يستطع أن يتمالك نفسه أكثر من ذلك، اقتحم الغرفة عليها  
للتنتفض في مكانها، مظهره أنبأها بأنه سمع آخر كلماتها، وعينيه  
يخبرانها بما ينوي فعله الآن!!

صرخت عبر الهاتف :

\_ الحقيني يا ماما!

كتم صوت صراخها بيده قائلاً :

\_ أنا هوريكي أنا هعمل فيكي ايه ..

جاء صوت لبني على الجهة الأخرى تقول في هلع:

\_ "رنا، رنا إيه اللي بيحصل عندك، هاا ده صوت أدهم"

انتشل منها الهاتف وأحكم قبضته بيده الأخرى عليها، رفع الهاتف  
على أذنه ورد هادراً :

\_ انتي حسابك معايا بعدين يا ..هه، يا خالتي، بس حالياً أقدر  
أقولك إن بنتك هتوحشك ..

\_ أدهم متجننش، هيا عملت كدة عشان بتحب..

أغلق المكالمة ورمى بالهاتف على الحائط ليتكسر، نظر لرنا التي وقفت خائفة ترتجف .. عيناه تشعان بالحقد والشر .. قال من تحت أسنانه:

\_ تمثيلية اغتصاب جبارة .. ووجت ف وقتها تماماً، قدرتي بيها تقنعينا كلنا إنك كنتِ ضحيتي ... وفرقتيني بيها عن ملاذ، البنت الوحيدة اللي حبتها، ومكتفتيش بكدة لاء سيادتك روحتي أقنعتها إنك حامل مني .. إنتي ايه يا شيخة .. شيطاااان؟! !!

نفضت يده عنها ونظرت له والغضب يتطاير من عيناها، قالت :

\_ أنا حبيتك، دي كل المسألة، حبيتك وانتا مسألتيش فيا .. شوفتك بتجري ورا واحدة بيئة مفيهاش أي ميزة وساييني بجري وراك مش عارفه ألحقك .. كان لازم أرجعك ليا بأي طريقة ... وكدة كدة أنا مخسرتش حاجة ..

صفعها بقوة لترتطم بالحائط .. قال بصوت هادر :

\_ لا خسرتي يا هانم، خسرتي كرامتك واحترامي ليك للأبد، أنا عمري ما شوفتك غير بنت خالتي، وحالياً مش شايفك غير حشرة قذرة ملهاش مسمى ولا انتماء ..



نهضت، نظرت له لتجده يفك رباط عنقه ويخلع سترته، تقدم نحوها  
وعيونته تنطق بالشر، قالت بفرع :

\_ هتعمل ايه ؟

\_ مش إنتِ قولتي إني اغتصبتك، أنا بقى هنولك الشرف العظيم  
ده!!!



نائمةً على الفراش، شعرها مُشعث وهناك ضربات متفرقة على  
وجهها وجسدها، ملابسها ممزقة نوعاً ما، أما هو... فيقف بجوار  
الفراش لم يخلع شيئاً من ملابسها، فقط ينظر لها ويشعر أنه قد  
شفى بعضاً من غليله ...

جلست متألّمة، نظرت له وابتسمت بتهكم قائلة :

\_ يعني منولتنيش الشرف !!

\_ اللي زيك ميستحقش إني المسه، وبعدين مين قالك إنك لسة  
محافظة على شرفك، شرفك فقدتاه يوم ما خلعتِ معظم هدومك  
عشان تدبسيني فيك، يوم ما اتجراتي وقلعتي راجل هدومه .. يوم

ما جرأتك زادت ونمتي جمبه ف سرير واحد وقولتي إنه اغتصبك  
...شرفك ضاع من يومها يا شريفة يا عفيفة ..

نزلت دموعها تحرق وجهها المتورم ..

\_ ورقتك هتوصلك على بيت أمك اللي بالمناسبة قوليلها إني  
معدش ليا خالات خلاص، تقومي دلوقتي تلمي هدومك وتمشي  
ومااشوفش وشك لآخر حياتي وحياتك، واحمدي ربنا إني اکتفیت  
بالعلقة السخنة دي، ده اكراما بس لخالتي .. آه ..اللي كانت خالتي  
..

نزلت من على الفراش متأمة، حاولت احتضانه لكنه تراجع للخلف  
باشمنزاز وقال متمنعاً :

\_ ده بتاع واحدة تانية غيرك، واحدة بس وملهاش بديل أو شريك  
فيه ..

تركها تبكي في أرضية الغرفة ولم يشفق بحالها فهذا جزاء ما فعلته  
به وبملاذه، سرعان ما غادر المنزل والمبنى بأكمله، يشعر أن  
الهواء قد نفذ من صدره بوجودها.

أخيراً صار حراً؛ حُراً منها، ومن أكاذيبها، ومن عذاب ضميره  
الذي يأكله على قيد الحياة مذ حادثة اغتصابه الكاذبة لها!.

تنفس بعمق، تتم بكلمات الحمد والشكر ألف مرة، يشعر أنه ملك  
الكون بعدما تبرأ أمام نفسه من هذا الذنب العظيم، لا ينقصه الآن  
سوى أن يتبرأ منه أمامها، أن يلقاها بروحه الطاهرة التي لم تُلوث  
كما ظنت، وكما ظن، أن يتخذها ملاذاً لآخر ما تبقى من عُمره..



خرج من باب منزله صباح اليوم التالي، يحمل على أكتافه حقيبة  
سفر مُعتدلة الحجم، كان قد تحدث مساء الليلة المنصرمة مع  
والدته بكل ما جد من أحداث، لم يفزعها شيء كما أفزعها فِعلة  
أختها وابنتها، يعلم أن قلبها لم يتعافى كلياً بعد لكن لا مناص من  
الحقيقة، كان عليها أن تعلم كل شيء، فهو عاجزٌ عن نسيان  
نظرتها تجاهه في تلك الليلة المشؤومة، أراد أن يستبدلها، أن يرى  
غيرها من نظرات الحمد والشفقة على وليدها مما حيك من وراء  
ظهره.

تفاجأ بتلك الفتاة صديقة ملاذ تعبر البوابة الخارجية لبيته وتسير  
تجاهه في الممر الطويل الفاصل بينهما، ابتسم وتقدم نحوها يُقلس  
المسافة؛ يبدو أن كل من يعرف ملاذ يُجيد الفتنة!.

وقفت أمامه تلتقط أنفاسها إذ بدا أنها جاءت على عجلةٍ من أمرها،  
قالت من بين أصوات لهاثها:

\_ أتوبيسين، وتاكسي عشان أقف قدامك الوقفة دي، اديني فرصة  
أتنفس.

ابتسم لها، وإخلاصها لصديقتها، فما حاءت من أجله قد سبق  
وعلم به من ضحى، المُخلصة هي الأخرى، قال بابتسامة:

\_ خدي وقتك.

انتفضت مسرعة ترد:

\_ لا مفيش وقت، المجنونة هتسافر آخر الأسبوع ده! .

سكوته أعطاهها فرصة لتأمله، إنه لا يرتدي تلك الثياب الرسمية  
المعتادة على رؤيته بها في الجامعة، بل مجرد بنطال وتيشيرت  
قصير الأكمام يُناسبان السفر أكثر، على رأسه فُبعة تقيه حر  
الشمس، وعلى أكتافه حقيبة!.

فتحت فمها تكاد تتكلم، لكنه عاجلها قائلاً:

\_ آه، عرفت ورايحلها!.

اتسعت ابتسامتها رويداً رويداً حتى احتلت صفحة وجهها كلها،  
احتلت السعادة الغامرة قلبها وهي تقول:

\_ الحمد لله، أبوس إيدك خلص القصة دي بقى لأنا خلاص جبت  
أخري منكم.

\_ بنت!!

\_ خلاص بقى يا دكتور أنا بقيت منكم وعليكم.

ضحك على كلامها ثم ودعها قائلاً:

\_ ملاذ متعرفش إني رايحلها، مفهوم!؟!

أدت له التحية العسكرية وهي ترد ضاحكة:

\_ عِلْم وَيُنْفِذ يَا أَفْنَدَم!



(32)

الاسكندرية

يوليو، 2019

« شايف البحر شو كبير..

كبر البحر بحبك

شايف السما شو بعيدة؟

بعد السما بحبك»...

استدارت مُسرعة لضُحى، جلستهما للرسم على البحر تُعادُ الآن،  
باختلاف الفصول، واختلاف المشاعر، الأغنية اللعينة ذاتها تصدح  
من سماعات هاتفها، تصب عليها ذكرياتها صباً، وتكاد تعدها  
بذكريات أخرى جديدة اليوم.

صاحت بتبرم:

\_ عارفه لو مسكتيش الولية اللي على تليفونك دي، هخليكي تنزلي  
البحر بنفسك وتشوفي كبره اد ايه!.

ضحكت ضحى على صراخها الغاضب، تعرف سر غضبها الكبير  
هذا، لدرجة أنها قصدت إثارته بعدما تلقت مُكالمة هذا الصباح من  
أدهم يُخبرها فيها أنه قادمٌ لاستعادة ملاذه! .

أوقفت الأغنية مضطرة بعدما لمحت نذير دمعات تُطل في مُقلتيها،  
نظرت إليها وتنهدت، تود لو تُخبرها بالأمر لتتني عذابها هذا،  
لكنها لا ترغب في أن تجور على حق أدهم في تبرئة نفسه بنفسه  
أمامها.

\_ هترسمي إيه النهاردة!؟

\_ لسة مش عارفه.

طالعت ملاذ البحر من أمامها، أمواجه هادرة ومرتفعة، تُذكرانها  
أيضاً بذاك اليوم، يبدو أن هناك تحالفاً بين أمواجه والأغاني  
ليذكرانها به، ما كان عليها أبداً أن تصنع ذكرى كتلك معه هنا؛ أنى  
لها أن تنسى!؟

الشاطئ من حولهما يكاد يكون خالياً بسبب الموج العالي، اللهم إلا من بعض العائلات المتناثرة هنا وهناك يستمتعون بالجو الرائع، ونسمات البحر العليقة.

عادت للوحتها الخالية، تكذب لو قالت أنها رأت بها غير وجهه، سرعان ما تبدد هذا الوجه البرئ ذو الغمازتين الغائرتين، وحل محله صورة طفلٍ صغير يبكي، يلعن حظه الذي أتى به في أحضان أبٍ لا يريد...

نفضت رأسها تُصارع أفكارها، ينبغي أن تغرق مع فرشاتها وألوانها، لا مع ذكرياتها الكئيبة!.

على الفور راحت تدمج ألوانها وتصبغ بها ألياف لوحتها، بعيونٍ شاردة حيناً، وحالمة أحيين أخرى، تتخيل لو أن اليوم هو ذات اليوم قبل عام، لو تُعاد عقارب الساعات والأيام لتستقر بها فيه من جديد، لو تراه يتقدم، يغرق بالفعل، لو تملك حق إعادة الزمن لما وقفت عنده أبداً... لتركته يغرق قبل أن تغرق هي!

\_ غريبيق، غريبيق!!

أيقظها صوت صياح رجلٍ من خلفها، يُشير إلي نقطة بعيدة في البحر تلتهمها الأمواج!!



انتفضت في مكانها على الفور هي وضحي، يا إلهي! لقد تمت  
بالفعل لو يعاد اليوم، لكن ليس بغريق حقيقي هذه المرة!..

\_ رايحة فين يا مجنونة استني!..

صاحت بها ضحى وهي ترقد خلفها على الشاطئ.

\_ هنادي فرق الإنقاذ، خليكي إنتِ هناك عشان الأدوات.

استدارت تتابع طريقها بلهفة، يبدو أن القدر يُعطيها الإجابة على  
سؤالها وتمنيها السابق؛ لو تكرر اليوم ألف مرة، لن يصدر عنها  
إلا نفس ردة الفعل هذه!..

تهادى إلي أذنيها صوت مألوف، يخرج من البحر خلفها أعقبه  
هدوء أصوات الرجال الصائحين، قال ضاحكاً:

\_ فرق إنقاذ تاني يا ملاذ، هتدحدري سمعتي في السباحة تاني؟!!

لا تدري كيف استدار جسده له، بلهفة حقيقية عجزت عن تخبئتها  
خلف أسوار قلبها وعينيها، وقفت تتنفس الصعداء وقد بدأ الجمع  
من خلفه بالانفضاض، وحدها وقفت ضحى تطالعهما مُبتسمة،  
تستغرب هذا الرجل كثيراً، أكان عليه أن يفتعل كل هذه الحيلة  
ليسترعي انتباهها؟!..

\_ أدهم؟! هو أنت!

\_ تعرفي مجنون غيري يدخل البحر وهو كدة؟

هاجمتها الذكرى التي نستها بالفعل عندما رأته، استعادت زمام الأمور من قلبها الأحمق، ليخفت الضوء في عينيها وهي ترد:

\_ جيت ليه يا أدهم؟

اقترب منها أكثر حتى بات لا يفصله عنها سوى خطوة، حجب بجسده الضخم ضوء الشمس عنها، لا تُنكر على روحها الحنين إلي هذا القُرب، والدفء الذي لم تشعر به إلا في وجوده، لكنها عاجزة عن تقبله بعد كل كذباته السابقة، بعد أن شعرت بمقدار سذاجتها في عينيهِ، وهي رغم كل ذلك لا تملك البوح!.

\_ جيت عشان نحط نقط كتيرة على الحروف يا ملاذ، وقبل ما تتزني في اختراع كذبة جديدة بعد كذبة سعد، فحابب أقولك إن رنا مش حامل، وحياة حبي ليك مش حامل.

اعترتها الصدمة، تسارعت دقات قلبها لتدفعه في صدره مُهاجمةً له، صاحت ودموعها تملأ عينيها:

\_ أجهضتها؟! هان عليك ابنك يا أدهم!!

اعتدل في وقفته بعد دفعتها القوية والمباغثة، جاءت ضُحى ترقد  
من خلفهما بعد ما رآته، صاحت بملاذ:

\_ استني اسمعي كل كلامه يا مجنونة.

\_ يبقى إنتي اللي قولتيله يا ضُحى! ذنب الطفل البريء ده في  
رقبتك.

مسح أدهم وجهه بباطن يده، يريد لها فقط أن تسكت وتتيح له  
الفرصة بالكلام، لكنها استمرت في رميه بكلماتها القاسية، مما  
دفعه لأن يقول بالنهاية:

\_ رنا مكنتش حامل من أصله يا ملاذ، وهتحمل إزاي وهي أصلاً  
لسة أنسة؟!!



وقفت عند الغروب تراقب أمواج البحر التي بدأت تهدأ أخيراً، كأن  
البحر بتقلباته مرآة تعكس ما يفتعل بصدرها، يموج لاضطرابها،  
ويهدأ لهدوئها!..

الساعات المنصرمة حملت لها مفاجآت من العيار الثقيل، من كان  
يُصدق أن كل ما فات بُني على أنقاض كذبة حقيرة كتلك؟!!

تنهدت بعمق، شعاع الشمس البرتقالي يغوص في عينيها ويبحر،  
وبحوارها ذاك الرجل الذي يُصر على مكانته داخل قلبها.

\_ مصدقاني؟! \_

ابتسمت له، رغم أنه لا يملك أي دليل الآن، لكن كلامه مع مشاعره  
وسابق مواقفه معها يثبت صدقه دون برهان، ردت عليه:

\_ مصدقك يا أدهم.. \_

اتسعت ابتسامته هو الآخر، ارتاح قلبه في صدره بعد أن برأ ساحته  
أمامها، الآن.. وفي هذا المكان، يشعر أنه يحظى ببدايةٍ جديدةٍ  
معها، وكأن كل ما فات لم يحدث .

\_ تعالي نبدأ من جديد يا ملاذ، وفي نفس المكان! \_

استدارت لتواجهه سعيدة وهي تمد يدها أمامه قائلة ببشاشة:

\_ اتشرفت بيك، محسوبتك ملاذ. \_

ضحك بينما تناول كف يدها بين أحضان كفيه حتى توارى عن  
الأنظار داخلهما وهو يرد:

\_ ملاذي، ملاذي الوحيد من كل اوجاع الدنيا! \_

اقتحم خلوتهما صوت ضحى الضاحك إذ أردفت:

\_ وأنا بقى هادمة اللحظات الحلوة، تشربوا ليمون؟!!

استدارت ملاذ لها ضاحكة، تناولت منها كأساً وأعطته لأدهم و  
وقفت لتراقب رد فعله، تعلم أن ابنة خالتها آخر شخص في الدنيا  
مسموح له بدخول المطبخ، وأرادت إثبات ذلك لها بدرس عملي.

\_ تسلم ايدك يا ضحى، بس متعمليش عصير تاني.

قالها أدهم بينما غرقت ملاذ في أمواج ضحكاتهما على الفتاة التي  
راحت تُدافع عن نفسها أمامهما، لا تُصدق أن يومها ينتهي نهايةً  
سعيده كهذه، بوجوده في جوارها، خالياً من ذنوب الماضي،  
يقتبص لها من الأحلام أجملها! .



## خاتمة:

القاهرة،

يوليو 2019

أصرت على مُرافقته إلى بيت خالته، أرادت لقاء تلك الأفعى التي خربت لها حياتها، ظن أدهم في البداية أنها لم تصدق حديثه، لكنها أقسمت لها على تصديقها إياه، وإلا لما كانت لتترك خالتها وتعود معه عادلةً عن قرار السفر.

جلست أمامهما برأسٍ مُنكس، ووجهٍ متورم لا يزال يحتضن آثار كدمات أدهم، شعر هو بالخزي من رؤيتها على هذه الحال، يعلم أنه تسرع بضربها لكنه ماكان ليملك سلطاناً على غضبه وقتها، طالعه ملاذ بعيونٍ لائمة، فأسكتها بنظراته المُحذرة.

\_ زي ما كذبتِ الكذبة، آه آسف الكذبتين، لازم ظلوقتي تقولي الحقيقة، من أولها لآخرها.

رفعت رأسها نحوهما، احترق قلبها عندما رأتها متجاورين، هناك مسافة فاصلة بين جسديهما، لكنها تعلم تمام العلم أنه لا يوجد أي

فاصل بين قلوبهما، كان ينبغي أن تدرك ذلك منذ البداية، وأن كل محاولاتنا ستبوء بالفشل، كما يحدث الآن..

\_ هتكلم يا أدهم، مش خوفاً منك بعد اللي عملتهولي، لكن لأنني خلاص مبقتش عايزاك!..

روت تفاصيل الحادث أمامهما، وبافتعالها اغتصابه لها حتى تورطه فيها، وتبعده عن ملاذ، تتابع كلامها دون اكرات بالغضب النافر في عيونهم، بل شعرت بتلذذ لهذا الغضب، وصلت للجزء الذي يحوي أسماء، ابنة العم الفاضلة، وللعجب لم تستغرب ملاذ من ذلك الجزء، باتت تُدرك مؤخراً أن أبعد الاحتمالات صارت ممكنة.. انتهت رنا كلامها وهي تقول:

\_ أدهم عمره ما لمسني، لا قبل ما أكون مراته، ولا حتى بعد!.. يابختك لاقيتي اللي يخلصك ف أشد الظروف، هه، مقولكيش أنا كمية المغريات اللي قدمتهاله ..

نهضت ملاذ من مكانها، تقدمت نحوها في هدوء ينذر بالكثير، فجأة رفعت كفها لينزل على خدها بقوة !!..

وقف أدهم مندهشاً قائلاً:

\_\_ ملاذي..

ردت موجهةً الكلام لـرنا:

\_\_ خربتيلي حياتي .. بسببك بعدت عنه واتجبرت اتخطب لغيره،  
بقيت بشوفه كل يوم وبعد ما كان بتاعي، ليا لوحدي بكل كيانه  
.. بقيت بجبر نفسي على البعد عنه .. حتى بعد ما خلاص نسيت  
عملتك وسامحته عليها وكنا هنتجوز، جيتيلي وقولتيلي إنك حامل  
منه .. وتقارير الحمل اللي وريتهالي، أكيد حد زيك بايع ضميره  
ضربهوملك مش صعب عليك مش كدة، أنا نفسي أقولك ربنا بنتقم  
منك بس مفيش انتقام اكرم اللي انتي وصلتيه دلوقتي؛ إنك تقفي  
شايفانا سوا بعد كل اللي عملتیه وكل اللي خططيله، إنك تشوفي  
حبنا لسة عايش وبيكبر كل يوم عن اليوم اللي قبله، ربنا يهديكي  
ويبعدك عن طريقنا..

نظرت رنا لها بحقد، لم تقو على الرد، باتت تخشى أدهم فما فعله  
بها لم يكن هيناً ومن الصعب نسيانه ..

تدخل أدهم في الحوار قائلاً :

\_\_ إنتي طالق يا رنا، طالق من علاقتنا المشروخة من بدايتها ومن  
كل حياتي !..



نظر لخالته الواقفة تأكلها نار الحقد وأكمل:

\_ وبالنسباك يا ست لبني، فأنا مش هينفع أمنعك عن اختك، لكن ممنوع أشوفك ف بيتي تاني، عاوزة تقابلها ولو إني أشك إنها ترضى بعد اللي عرفته عنك ..تقابلها برا بيتي، يلا يا ملاذ!..



بعد شهرين:

جلست بجواره في سيارته، يتخذان طريق العودة إلي دياره الحبيبة، كان حفل الزفاف صاخباً كما تمنيا له أن يكون، بحضور الأحباب فقط، الذين يتمنون لهما السعادة من قلوبهم دون إضمار أي شر، لم تتوقع قدوم سعد بعد ما سببته له من جراح، لكن يبدو أن صداقته بأدهم كانت أعمق من أي شيء آخر، كما يبدو أن نورا تمكنت من تطيب كل جراحه القديمة!..

اتسعت ابتسامتها وهي تتذكر تفاصيل الحفل، إمضائها على عقد زواجها منه، ثم احتضانه لها عنوةً وسط تصفيق وتهليل الحضور!

لا تصدق أن القدر قد من عليها أخيراً لتحيا معه هذا اليوم الذي طالما تمنياه، طالعه مُبتسمة، تحتضن تفاصيل جانب وجهه الوسيم لتغرق به أكثر وأكثر، استدار يُطالعها هو الآخر، لا تقل ابتسامته عن ابتسامتها، ولا فرحته عن فرحتها..

تسلل كف يده من خلف المقود، ليلتقط كفها الموضوع على فُستانها ناصع البياض، يراها اليوم ملكة تُزف إليه فتجعله ملكاً هو الآخر، تشابكت أصابعه مع أصابعها وهو يختطف النظرات من حينٍ إلى آخر صوب عينيها الخلابتين، قال بحب شديد يُغلف صوته:

\_\_ وأخيراً يا ملاذا!.

ابتسمت له لا تجد ما ترد به، رفع عنها الحرج إذ أكمل:

\_\_ هناك، في بيتنا اللي حلفت محدش يدخله غيرك، لوحة متعلقة من الشتا اللي فات، من يوم ما علقتها وأنا مديها وعد، إن صاحبته هتجيلها قريب..

والنهاردة وفيت بو عدي يا ملاذي!



# نمت بحمد الله

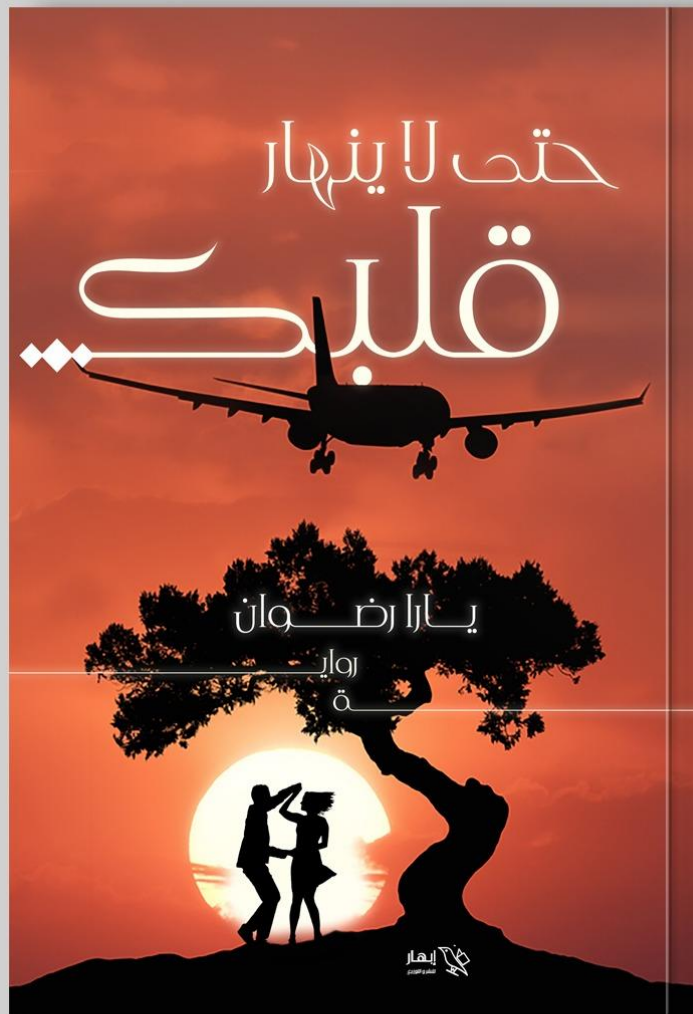


للتواصل مع الكاتبة، رابط الملف الشخصي عبر الفيسبوك:

<https://www.facebook.com/profile.php?id=100007188242469>

صدر للكاتبة رواية ورقية بعنوان:

حتى لا ينهار قلبك



Behance.net/elkonsool3

## نبذة عن الرواية:

تقاطعت أقدار وعد، مع سيف الدين بمحض الصدفة، فتفاجأت بالمدير المتسلط هو نفسه المالك الجديد للمنزل الملاصق لمنزلها ، وبعد مدة من الشد والجذب بينهما تسلل الحب رويداً رويداً حتى تمكن من دق أبواب قلوبهما، ولكن \_ وفي الوقت الذي قررا فيه الاستجابة لهذا الحب \_ يحدث ما يجبر هذه العلاقة على الانتهاء، ويوضع سيف أمام قلبه موضع اختيار؛ هل يفلت يداه عنه وعن حبه الذي يتسرب منه أم يتمسك به ويستقر بين أضلعه للأبد؟! هنا \_ في هذه الرواية \_ تجد الاختيار الوحيد الذي يفلح دائماً؛ حتى لا ينهار قلبك .